# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

رقم ٦٦ — ايار ( مايو ) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ؛ ص.ب ١٦٦١ ؛ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ؛ برقيا مرابحاث ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي داقيال

ثمن العدد : ٢/١ ٣ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٢/١ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وامريكيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة
اميل

# المحتويات

صفحة ٤ **انيس صايغ · الى اللقاء ···** محمود درويش ·

٥ **المجلس الوطني الفلسطيني : هزيمة المخاوف والشكوك** ، بلال الحسن ·

١٨ **المجلس الوطني الفلسطيني ، نحو دولة فلسطينية مستقلة** ، صبري جريس ·

٣٠ **آفاق المرحلة : « سلام » يبتعد ·· وثورة تقترب** ، غازي الخليلي ·

٤١ **تدويل الازمة اللبنانية : اغراضه ، ابعاده واحتمالاته** ، د· محمد المجذوب ·

٦٠ **التطورات العسكرية في جنوب لبنان** ، خليل بركات ·

٦٩ **هل من جديد في سياسة امريكا العربية والفلسطينية** ، د· ابراهيم ابو لغد ·

٨٠ **افريقيا ٧٧ ·· الحتميات والاحتمالات** ، سمير كرم ·

٩٦ **السيطرة على البحر الاحمر : ضرورة استراتيجية** ، محمود عزمي ·

١١٠ **القيامة والطفل الضائع** ( شعر ) ، احمد عبد المعطي حجازي ·

صفحة ١١٥ **ساحة الملك** ( قصة ) . الياس خوري ٠

١٣٤ **الادب والسياسة : علاقة تلاقي ام علاقة اغتصاب** ، د٠ فيصل دراج ٠

١٤٥ التركيب الاقتصادي لشرق الاردن : مقدمات التطور المشوه ( ١٩٢١/١٩٥٠ ) القسم الثالث : **السكان ووضع الاقتصاد التقليدي** هاني حوراني ٠

١٧٥ **الوصايا العشر ٠٠ من قانون فرسان الملك** ، صخر ٠

١٩٧ **تقريران** : (١) المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، أ٠ خ٠ (٢) لجنة حقوق الانسان في دورتها الثالثة والثلاثين في جنيف ، شوقي ارملي ٠

٢٠٤ **اسرائيليات** : (١) الانتخابات ، بيريس مرشح حزب العمل لرئاسة الحكومة المقبلة ، حنه شاهين ٠ (٢) خلاف اميركي ـ اسرائيلي حول التسوية ؟ حمدان بدر ٠ (٣) سلطات الاحتلال الاسرائيلية ماضية في تغيير معالم القدس ، توفيق فياض ٠

ـ **جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١ ـ ١٩٧٧/٣/٣٠** ، مروان حميد ٠

شؤون فلسطينية

# انيس صايغ الى اللقاء ...

يذهب الدكتور أنيس صايغ في مهمة · لا نقول : وداعا · نقول : الى اللقاء. ونلتقي· انه يضع القلم ذاته على الورق ذاته ·سيشرف على مراكز البحوث·وفي وسعه الان ، وهو يعبر الفاصلة القصيرة ، ان يرى احدى عشرة سنة من التأسيس والانتشار اضاءت للفلسطيني وسواه،وفتحت للحقيقة الفلسطينية افاقا من الارتياد والاقتحام · وفي وسعه ان يفرح وهو يرى الى محصول الفلاحة في الارض الوعرة ·

خرج جريحا ومنتصرا · هذه جراحه : ثلاث اصابع · ستون بالمائة من النظر · وثمانون بالمائة من السمع · وهذه انتصاراته : انه يواصل البحث ··· ننظر الى الوراء قليلا ، من أجل التحية ، فنرى حقلا من البذور وقد اطلقت ، والعناوين وقد انتشرت · ونرى تراثا لا ينتهي من كفاح الحقيقة الفلسطينية التي حاول الغزو المسلح ، بالنار والحبر ، ان يحجبها عن الضمير وعن التاريخ · ويكون انيس صايغ جندي الصبر والمتابعة في عملية قهر الخرافة الصهيونية التي حاولت ان تغطي الزمن الفلسطيني والأرض الاجمل · وننظر الى الامام ، دائما ، من اجل الامل والنصر ، فنرى بوادر التحول الكبير في النظرة والوعي ، ونرى زواج البندقية والمعرفة · فيكون القتال انضج ، وتكون الكتابة أكثر فاعلية ، ولا تكون العلاقة بين السلاح والقلم علاقة منافسة ، بل علاقة دفع واندفاع في مسيرة الثورة ، حيث تتحول المعرفة الى سلاح ·

وحين يذهب انيس صايغ في مهمته التي لا تنفصل عن توحده في مركز الابحاث و« شؤون فلسطينية » ، فانه يستطيع النظر الى الوراء باعتزاز حين يرى جهوده العلمية المعمدة بالدم وقد فعلت · وينظر دائما الى امام ، ويرى خطاه تشتبك بسياج فلسطين ، ويرى نفسه واحدا من الذين انجزوا ، بجدارة ، طريقة امتلاك فلسطين · وهو الان يتابع المهمة ذاتها التي تستغرق العمر كله · وفي كل موقع يبقى انيس صايغ امتدادا خلاقا لمركز الابحاث الذي هو بيته وعائلته · ولا تنفصل المؤسسة عن المؤسس · ويعرف ··· يعرف جيدا ان مهارة الزارع تتجلى في قدرة الغرسة على النمو والحياة خارج اليد التي غرست · وهو لم يشأ لها ان تكون ظلا ، بل اصلا ·

وفاؤنا لانيس صايغ هو ان نمضي في تطوير مركز الابحاث « وشؤون فلسطينية » · كل شيء من أجل فلسطين · وطريق فلسطين هي الثورة ·

**محمود درويش**

# المجلس الوطني الفلسطيني :
# هزيمة المخاوف والشكوك

بلال الحسن

كل مجلس وطني فلسطيني له دائما قضيته المركزية التي يقف عندها ، يبحثها ويتخذ في شأنها القرار الذي يرتئيه ، وغالبا ما تكون هذه القضية اختيارا فلسطينيا بحتا في مواجهة حدث معين ٠

وكل مجلس وطني فلسطيني يجد نفسه دائما في مواجهة ضغوط عربية أو دولية تحاول دفعه باتجاه قرار ما ، ينسجم مع مصالح هذه الجهة او تلك ٠

ولكن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة الثالثة عشرة ، كان فريدا من نوعه ، من حيث نمط الضغوط التي كان معرضا لها ، وهو من هذه الناحية يمكن اعتباره ذا اهمية خاصة ٠

فقد سبقت المجلس اجواء عربية ودولية وفلسطينية ، لم تكن تستهدف الضغط السياسي فحسب ، انما وصلت الى حدود المس بشرعية القيادة الفلسطينية وزحزحتها عن موقعها ، والى حدود الطلب بتغيير المنطلقات الاساسية للنضال الفلسطيني ٠ وتحديد هذه الاجواء ، والقاء الضوء عليها ، يشكل مفتاح فهم أبعاد دورة المجلس الاخيرة ، ومغزى القرارات التي صدرت عنها ٠

**عربيا :**

فعلى الصعيد العربي ، سبقت انعقاد المجلس حملة تطالب بتغيير قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ٠ في مرحلة من المراحل كان هدف الحملة احداث انشقاق فلسطيني وانشاء منظمة تحرير بديلة لمنظمة التحرير بقيادتها الفدائية المعروفة ٠ وفي مرحلة تالية انصبت هذه الحملة على المطالبة بتغيير الرموز القيادية برموز قيادية جديدة ٠ ثم تراجع أصحاب الحملة الى حل وسط طالبوا فيه بابعاد هذا الشخص أو ذاك من موقع القيادة ، داخل منظمة التحرير أو داخل التنظيم الذي ينتمي اليه ، كشرط لاستمرار الدعم العربي لمنظمة التحرير ٠

وهكذا ٠٠٠ ولاول مرة منذ العام ١٩٦٨ ، وهو العام الذي تسلمت فيه

فتح والقيادة الفدائية الفلسطينية منظمة التحرير ، وجدت القيادة الفلسطينية نفسها في موقع صعب ، يشكك فيه الحلفاء بشرعيتها ويطالبون بتغييرها ، ويسعون لفرض هذا التغيير من الخارج ٠

ولم تكن المسألة هنا مسألة تنظيمية ، ولا مسألة شخص او أشخاص يسهل وجودهم أو غيابهم عن الساحة قضية التعامل الفلسطيني مع الوضع العربي٠ ففي هذا الاطار تتضاءل أهمية الاشخاص ٠ كانت القضية في جوهرها قضية سياسية ، وخلافا سياسيا بين منظمة التحرير ومجموع الوضع العربي ، خلافا حول مفهوم التسوية السياسية المطروحة لحل أزمة الشرق الاوسط ودور الشعب الفلسطيني فيها ٠

وفي هذا الخلاف ، كانت الاطروحات كثيرة ومتعددة ٠ بعض الاطروحات ، كان يتحدث عن فشل القيادة الفلسطينية المتكرر : فشلها في عمان ١٩٧٠ وفي لبنان ١٩٧٦ ، ويحملها تبعة كل المخططات المضادة التي تعرضت لها ، وينكر عليها حق تسجيل المكتسبات الكبيرة التي توصلت اليها ، ويطالب بالتالي بمحاسبتها وتغريمها وابعادها ٠

أطروحات أخرى ، كانت تحمل القيادة الفلسطينية مسؤولية التصلب السياسي ، والعناد ، وعدم الحسم الداخلي ، الامر الذي ادى الى تغلغل « اليسار » في صفوفها ، وجعل بالتالي ، امكانية الحصول على تأييد دولي (غربي) لمطالبها امرا صعبا ٠ وهي اما أن تحسم هذه المسألة جذريا وتطهر صفوفها من العناصر اليسارية ، أو أن تتنحى لصالح قيادة من نوع اخر تتولى انجاز هذه المهمة ٠

وكان ثمة نوع ثالث من الاطروحات ، اكثر ذكاء وعملية ، يتجنب طرح موضوع القيادة وتبديلها ، ويسعى لاستيعابها سياسيا وتطويعها لمخططه ٠ والمطالب هنا كانت عملية ومحددة :

ـ الاطراف الدولية ( الاميركية ) لا تريدكم في مؤتمر جنيف ، فلا بد اذن من ذهابكم ضمن وفد عربي موحد ، ولا ضرورة هنا للتمسك بشعار « الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين » ، فهذه قضية عربية تحل بين العرب انفسهم ٠

ـ الاطراف الدولية ( الاميركية والاسرائيلية ) لا توافق على انشاء دولة فلسطينية مستقلة ، فلا بد اذا من صيغة اتفاق قانونية مسبقة بينكم وبين النظام الاردني ، قبل الذهاب الى مؤتمر جنيف ٠ ولا بد بشكل ادق من اقتسام التمثيل للشعب الفلسطيني بينكم وبينه ٠

وأمام هذه الاطروحات ، كان الجواب الفلسطيني مطلوبا بحرارة ٠ كان عليه ان يبين استجابته لهذه الاطروحات او رفضه لها ٠

**دوليـــا :**

ولم تكن صورة المطالب الدولية عشية انعـقاد المجلس الوطني الفلسطيني اقل تواضعا من المطالب العربية ، فمن الولايات المتحدة الاميركية الى اسرائيـل الى الامم المتحدة ممثلة بفالدهايم كان هناك مطلب يتكرر باستمرار ، يدعـو او يتوقع تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني ، وازالة كل ما ورد فيه عـن ازالة الكيـان الصهيوني والتحرير الكامل لفلسطين · وكانت هذه المطالبة بتعديل الميثـاق ترد احيانا في تصريحات رسمية لكبار المسؤولين ، وترد في اغـلب الاحيان من خـلال حملة اعلامية منظمة ساهمت فيها كبرى الصحف والمجلات ووكـالات الانباء ، وهي تتحـدث مرارا وتكرارا عـن التعديل المنتظر للميثاق · واستغلت هذه الحملة في بعـض الاحيان الحديث الفلسطيني عـن دولة في الضفة الغربيـة وقطاع غـزة كشعـار مرحلي ، لتضعـه مقابل شعـار « دولة فلسطيـن الديمقراطية » · وشاعـت هذه الحملة الاعـلامية الى حد القول بأن القيـادة الفلسطينية تملك بيدها مفتاح تسهيل او تعقيد المحادثات التي يمكن ان تبـدأ لحـل أزمة الشرق الاوسط ·

وقد نجحت هذه الحملة الاعـلامية بقلب المسألة المطروحة رأسا على عـقب ، فبدلا من الحديث عـن الاحتلال وضرورة ازالتـه ، وبدلا من الحديث عـن الشعب الفلسطيني وضرورة نيله لحقوقه الوطنية ، أصبح المطروح تنازل الشعب الفلسطيني عـن مطالبه المبدئية ، وضرورة ان يقدم هذا الشعب اعترافا بوجـود دولة اسرائيل ، والا فان التسوية السياسية كلها مهـددة بالخـطر ، بسببه هو ، لا بسبب اعتداءات اسرائيل · وقد زاد من حدة المشكلة ، أن بعض الاطـراف العربية لم تكن لتجد فيهذا المطلب الاميركي ـ الاسرائيلي أية غضاضة ، وتحاول بشكل أو باخـر ان تشجع منظمة التحرير عـلى أن تكون أكثر واقعية في مواجهة المشكلات القائمة !!

وهنا أيضا ·· كان الجواب الفلسطيني مطلوبا بحرارة · وكان عـليـه ان يجد مخرجا أمام مطلب تعديل الميثاق او تحمل تبعة تعطيل التسوية !

**فلسطينيا :**

وعلى الصعيد الفلسطيني ايضا نشأ وضعخاص متميز عنالاوضاع التي كانت تسبق المجالس الوطنية الفلسطينية السابقة · فلاول مرة منذ العام ١٩٦٨ ، بـرز جو مـن القلـق الشعبي الفلسطيني مـن امكانيـة رضـوخ قيادة المنظمة للضغوط العربية والدوليـة التـي تتعرض لهـا · وانتقـل هـذا القلـق مـن اوساط الجماهيـر الى اوساط اعضاء المجلس الوطني ، وخاصـة الاعضاء الجدد منهـم ·

ويعود هذا القلق في جانب اساسي منه الى الالحاح العربي في مطالبة المنظمة بمواقف سياسية معينة ، والى الحملة الاعلامية الدولية التي شنت على نطـــاق واسع ومتكرر · ولكن الموضوعية تقتضي القول انه كانت هناك مواقف فلسطينية، وتصريحات فلسطينية ، شجعت عـلى بروزه ، امـــا لخـــطأ هـــذه المواقـف والتصريحات، او لتجاهل القيادة ضرورة شرح الممارسات السياسية لجماهيرها، وكسب التأييد الجماهيري لهذه الممارسات قبل الاقدام عـليها · وقد اوجد غياب هذا الشرح شرخا في العلاقة بين القيادة وجماهيرها كان يهدد بأوخم العواقب ·

كانت الاوساط العربية تطالب المنظمة باقتسام تمثيل الشعب الفلسطيني مـــع النظام الاردني ، وفي هذا الجو ، بدأت المباحثات الرسمية مع النظـام الاردني ، ولم يكن هناك شرح لاسباب هذه المحادثات ولا للمبادىء التي تقوم عليها ·

وكانت الاوساط الدولية تطالب بتعديل الميثاق كمقدمة للاعتراف باسرائيل ، وفي ظل هذه الحملة تسربت الانباء عن اجتماعات سرية يعقدها موفدون فلسطينيـون مع اطراف اسرائيلية ، وجرى الربط بين الطلب والاتصالات في غياب اي شـــرح او تبرير لهذه الاتصالات ·

وفي الوقت الذي اذاع فيه كرايسكي مستشار النمسا ان مذكرة فلسطينية قدمت اليه تتضمن اعترافا ضمنيا بدولة اسرائيل ، كان هناك من القادة الفلسطينيين من يصـرح معلنا استعداده لعقد هدنةمع اسرائيل ·مضيفا الى ذلك اعلان الاستعداد للذهاب الى جنيف ضمن وفد عربي موحد ومعترفا في الوقت نفسه بالاتصـــالات السرية التي تجري مع بعض الاطراف الاسرائيلية ·

وقد تجمعت هذه الوقائع كلها ، واتخذت لنفسها تركيبا معينا صب في مجـــرى الشك والتخوف ، وكان على المجلس الفلسطيني ان يقدم جوابا على ذلـــك كله ، وكان الجواب مطلوبا بحرارة ، فاما ان يتعزز الشك ، او ان تتعزز اللحمـــــة الوطنية من جديد ، خاصة وان هناك من كان معنيا بالقول ، ان الموقف الفلسطيني على وشك الانقسام العلني الواسع ، وانه بسبب هذه المواقف والخلافات حولها، سينشق المجلس الوطني الفلسطيني على نفسه ، وستعلن جبهة الرفض انسحابها، وربما تشكيل منظمة تحرير بديلة ، وسيكون هناك من الدول العربية من يدعم هذا الانشقاق ويغذيه · وعند ذلك يكون المجال مفتوحا للقول بان منظمة التحريـــــر منقسمة على نفسها ، وهي بمواقفها المتعددة ، والمتناقضة لا تمثـــــل الشعـب الفلسطيني ، وان هناك ممثلين اخرين يمكن التعامل معهم ، قد يكونون في الاردن، او في الاراضي المحتلة ·

**المناقشـــات :**

هذه هي ابرز الاجواء السياسية التي كانت تحيط بدورة المجلس · والان ··· نستطيع القول بجلاء ، ان المجلس تصدى لهذه الاجواء كلها مباشـرة ودون اي

مواربة ، وحدد بصددها اجوبة صلبة وصريحة · وقد حدد اجوبته هذه على مستويين :

حددها اولا من خلال النقاش الذي ركز على الضغوط والشكوك القائمة واعلن رفضه لهـا ·

وحددها ثانيا من خلال القرارات ، التي لم تكتف باعلان رفض الضغوط ، وازالة الشكوك ، بل رسمت بالمقابل خطة عمل تتيح التمسك بالمواقف المبدئية الصلبة ، دون ان تعزل نفسها عن الحركة السياسية العربية والدولية ، حتى لا يكون هناك مجال لاي تصرف بالقضية الفلسطينية في غياب ممثليها الشرعيين ، او حسب اسس تتناقض مع الاسس التي يتمسك بها هؤلاء الممثلون · ·

ومن الضروري ان نشير هنا الى ان الذين بادروا ، سواء من خلال النقاش او القرارات ، الى مواجهة الضغوط وازالة علامات الشك ، كانوا هم انفسهم ، الذين استهدفتهم الحملات الاعلامية العربية والدولية ، ورشحتهم لان يقودوا عملية التراجع المبدئية والسياسية ·

لقد جرت العادة على القول دائما ، بان هناك فريقا معتدلا في الساحة الفلسطينية ، يخاف من الكشف عن مواقفه المعتدلة ، بسبب وجود فريق آخر متصلب ورافض ، وقد حدث في المجلس الوطني الثالث عشر ان نسفت هذه النظرية تماما ، فقد بادر «المعتدلون» في منظمة التحرير الى مواجهة ودحر حملات الضغط والتشكيك ، مؤكدين ان القيادة الفلسطينية هي المحافظ الشرعي والامين على « مبادىء » النضال الفلسطيني ، وان عملية الحفاظ على هذه المبادىء تنطلق من قناعات القيادة نفسها ، دون ان تتأثر بمواقف او ضغوط الفريق المتصلب · وقد كان لهذا الامر تأثيره العملي في النتيجة ، على مواقف اطراف الفريق المتصلب، كما سنرى بعد قليل ·

لقد افتتح المجلس الوطني مساء يوم ١٢ آذار ، وفي ١٣ اذار جرى في جلستين صباحية ومسائية، انتخاب رئيس المجلس واقرار جدول الاعمال، وفي اليوم الثالث تلا فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية ، التقرير السياسي للجنة التنفيذية ·

ان تسجيل هذه الوقائع مهم من أجل التأكيد على ان التقرير الذي حدد كثيرا من المواقف الاساسية والمبدئية والعملية ، قد تم قبل بدء النقاش العلني ، هذا النقاش الذي عكس بصراحة ووضوح وجرأة ، كل المخاوف والشكوك التي اشرنا اليهـا ·

**تعديل الميثاق :**

لقد كان الهاجس الاساسي الذي يخيم على المجلس هو تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني ، تعديله كمطلب اميركي · وقد اثار فاروق القدومي في تقريره صراحة

الى ذلك حين قال ( ص ٣٢ ) :

« من خلال تصريحات فانس وزير خارجية الولايات المتحـــدة خلال زيارتـه للمنطقة ، والتي طالب فيها بضرورة تغيير الميثاق الوطني الفلسطيني ، نلمس ان العدو يعمل على ان يجعل من العنصر الفلسطيني رقما جديدا مضافا الى بعـض الارقام في مسيرة التراجع والتنازل والانهزام ، ظنا منه ان الثورة الفلسطينيـة اصبحت في وضع لا يؤهلها لمقاومة المشاريع الامبريالية الاميركية ـ الصهيونية» ٠

وخرج فاروق القدومي عن النص ليقول :« ان تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني في هذه المرحلة ٠٠ خيانة » ٠ ثم حدد ( ص ٣٣ ) اسس العمل السياسي لمنظمـة التحرير في المرحلة المقبلة مبتدئا بالقول « العمل على تعزيـز الوحـدة الوطنية بين فصائل الثورة الفلسطينية ٠٠٠ في اطار منظمة التحرير ، والالتزام بميثاقهـا ومبادئها وقراراتها » ٠

وانزاح بذلك هم اساسي كان يسيطر على اجواء المجلس ، وتبدد خوف اساسي نجحت الحملة الاعلامية الاميركية في فرضه « نفسيا » على الكثيرين ٠

وكانت القيادة الفلسطينية ، هي التي بادرت لتفعل ذلك من تلقاء ذاتها ، وقبل ان يبدأ النقاش الذي حذر من خطورة هذا التعديل المطلوب ٠

**القرار ٢٤٢ :**

وكان الهاجس الثاني المسيطر على اجواء المجلس هو الخوف من الموافقـة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واعلان الاستعداد لحضور مؤتمر جنيف علـى أساسه ، انطلاقا من التحليل القائل بأن ما تعرضت له الثورة الفلسطينية مـن ضربات خلال السنتين الماضيتين ، يجعلها عاجزة عن الاستمـرار في اعـلان معارضتها لهذا القرار ٠ وهنا أيضا حصل العكس تماما ، اذ جدد تقرير اللجنـة التنفيذية رفضه لهذا القرار في اكثر من موقع :

في الصفحة الثانية قال التقرير : « ان احد بنود خطة العمل السياسية للمنظمة خلال السنوات الثلاث الماضية كان ٠٠ افشال المحاولات التي استهدفت ربـط القضية الفلسطينية بمنطوق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » ٠

ثم شرح التقرير مطولا العمل السياسي الفلسطيني الذي استهدف تخطي هذا القرار ، واستصدار قرار آخر يضمن الحقوق الفلسطينية الوطنيـة الثابتة ، للاستناد اليه في اية معالجة للقضية الفلسطينية في اي محفل دولي ٠

واوضح التقرير انه تم التوصل الى هذا القرار المطلوب في الـدورة الـ ٢٩ للجمعية العامة للامم المتحدة ، وهو القرار ( ٣٢٣٦ ) الذي ينص على :

حق الشعب الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك :

١ ـ الحق في تقرير المصير ٠

٢ ـ الحق في الاستقلال والسيادة الوطنية ٠

٣ ـ حق الفلسطينيين المشروع في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم ٠

٤ ـ حق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بجميع الوسائل ـ طبقا لاهداف وميثـاق الامم المتحدة ٠

ثم اوضح التقرير ( ص ١٨ ) ان القرار رقم ٢٤٢ قد فقد اهميته الدولية عندما رفض مجلس الامن في يناير ١٩٧٦ تأكيده مرة اخرى ، كما ان قرارات الجمعيـة العمومية قد تجاوزتـه ٠

لقد قضت هذه المواقف الواضحة على كل بذور الشك التي سعى الكثيـرون لفرضها ، وهنا يصح التساؤل ، هل يمثل هذا لقاء بين المعتدلين والمتصلبين فـي منظمة التحرير ؟ هل يمثل هذا لقاء بين القابلين والرافضين حسب التسميـات الشائعـة ؟

حسب الظاهر يمكن ان نقول نعم ٠ اما في الجوهر ، في العمق ، فان نهجيـن مختلفين لا زالا قائمين في الساحة الفلسطينية ٠

منهج « المتصلبين » و « الرافضين » الذين يتوقفون عند حدود القول بـان الظروف الراهنة لا تتيح الفرصة لانجاز تسوية وطنية لصالح شعبنا ، ومنهـج « المعتدلين » و « الواقعيين » اي الثوريين ، الذين يتقدمون خطوة الى الامام ، ويضعون خطة عمل لتجاوز الظروف والوقائع « التي لا تتيح الفرصة لانجـاز تسوية وطنية لصالح شعبنا » ، خطة يكون مضمونها السعي لانتزاع قـرارات لصالح شعبنا تكون بديلا لقرار ٢٤٢ ٠ وقد تم ذلك فعلا بالقرار ٣٢٣٦ ٠ امـا الترجمة العملية لذلك فهو ما عبر عنه فاروق القدومي في رده على المناقشات التي تلت تلاوة التقرير حين قال :

« لقد رفضنا جنيف ٢٤٢ بطريقة اخرى ٠ وضعنا شروطا تجعل الاخريـن يرفضون ذلـك » ٠

وحين اضاف :

« ان موقفنا هو حضور جنيف بشروطنا ، وهي قرارات الامم المتحـدة الاخيرة » ٠

رفض شروط الآخرين ٠

او رفض شروط الاخرين والعمل حسب شروطنا ٠

هذان هما المنهجان السياسيان المتصارعان في الساحة الفلسطينية · وقد تصارعا في المجلس الوطني الثالث عشر · وسيستمر صراعهما ، وهو صراع ايجابي ومثمر وبناء ، اذا احسنت ادارته بطريقة تسهم في اغناء الفكر السياسي الفلسطيني ، اي باستمرارهما ، دون توقف عند تخوم الاتهام والاتهام المضاد فحسب ·

**النظام الاردني :**

وكان الهاجس الثالث في المجلس موضوع المفاوضات مع النظام الاردني ، والتخوف من ان تكون هذه المفاوضات رضوخا من قيادة المنظمة للضغط العربي الذي تواجهه ، والذي يستهدف مصادرة حق تمثيل منظمة التحرير للشعب الفلسطيني لصالح النظام الاردني· والذي يستتبع نتيجة لذلك أمرين :

اولا : الموافقة على فكرة الوفد العربي الموحد لمؤتمر جنيف ، اذا عقد هذا المؤتمر ·

ثانيا : الموافقة على «مشروع المملكة المتحدة» بديلا عن شعار السلطة الوطنية الذي اقره المجلس الوطني في دورته السابقة ·

وقد حسمت هذه القضية بضجة اقل بكثير من الضجة التي احاطت بالقضايا الاخرى التي نوقشت في المجلس · وكان حسمها من خلال التأكيد على ان هذه المفاوضات تتم ، من وجهة نظرنا ، حسب قرارات قمة الرباط ، وتطبيقا لها ، وهي لن تحمل ، من وجهة نظرنا ، اي معنى مخالفا لذلك · وبالنسبة للمخاوف النابعة من هذا التفاوض ( الوفد الموحد ، ومشروع المملكة المتحدة ) ، فقد جرى توضيح الموقف منهما في القرارات السياسية ، دون اشارة الى موضوع المفاوضات مع الاردن بالذات وحين تجاهلت القرارات التطرق الى موضوع الاردن بالاسم ،كانت تشير بذلك الى ان المفاوضات مع الاردن موضوع سياسي طارىء ، قد ينجح وقد يفشل ، ولكنه لا يرقى الى مستوى تسجيله كبند ملزم من بنود خطة العمل الفلسطيني في المرحلة المقبلة ·

وبازالة هذه المخاوف يبقى ان نشير الى حجة اساسية اثيرت ضد مبدأ المفاوضات مع النظام الاردني ، وليس ضد المخاوف المرتبطة بهذه المفاوضات فقط · وكانت هذه الحجة تقول ان التفاوض مع النظام الاردني يشكل خروجا عن قرارات المجلس الوطني السابق ، الذي دعا الى تشكيل جبهة وطنية فلسطينية ـ اردنية تعمل لانشاء نظام وطني ديمقراطي بديلا للنظام الملكي الراهن ·

وهذه الحجة صحيحة · كما ان القول بان قيادة منظمة التحرير قد خالفت قرارا من قرارات المجلس ، صحيح ايضا ·

ولكن لا بد هنا من توضيح نقطتين :

النقطة الاولى ، ان هذه المخالفة ليست مخالفة مزاجية ، بل هي تعود في جذورها الى مؤتمر القمة العربي في الرباط ، وهو المؤتمر الذي أقر بموافقةالنظام الاردني ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وهو المؤتمر الذي وعد ايضا بتقديم كل دعم ومساندة لمنظمة التحرير من اجل تمكينها من أجل بناء كيانها السياسي · وقد شكلت هذه القرارات منذ ان صدرت تخطيا موضوعيا لقضية الصراع الفلسطيني مع النظام الاردني ، من زاوية القضية المركزية التي كان يدور حولها هذا الصراع ، وهو : من يمثل الشعب الفلسطيني، ومن يكون مسؤولا عن اية ارض فلسطينية يتم استرجاعها · وبهذه القرارات استطاعت الدبلوماسية الفلسطينية ان تحل الاشكال الاساسي الذي كان الصراع دائرا بسببه مع النظام الاردني ، وهي عملت منذ ذلك الوقت بما ينسجم مع تلك القرارات دون ان يكون هناك اي صوت فلسطيني معارض لها ·

والنقطة الثانية في هذا السياق ان خروج القيادة الفلسطينية على قرار المجلس الوطني السابق لم يكنموقفا تعسفيا اقدمت عليهدون تمسك بالاصول الديمقراطية، اذ من المعروف ان المجلس المركزي الفلسطيني ، الذي يمثل المجلس الوطني في فترة غيابه ، هو الذي قرر بدء التفاوض مع النظام الاردني ، وهو الذي حدد في حينه شروط هذا التفاوض وثبت انها تسعى لتحقيق اهداف القمة العربية في الرباط ·

لقد جرى العرف على ان يجري التأكيد دائما ، على ضرورة واهمية الالتزام بميثاق وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني ، ولكن الهدف من ذلك هو الرغبة الدائمة في التركيز على وحدة الموقف الفلسطيني ، وليس الهدف ابدا ان تصبح القيادة الفلسطينية اسيرة قراراتها السياسية · فالقرارات توضع من اجل خدمة هدف معين ، وفي ظرف سياسي معين ، وهي ليست وثنا يستعصي على التطوير او التغيير ، اذا تغيرت الظروف التي استدعت وجودها ·

**الاتصالات :**

ونأتي الآن الى الهاجس الرابع الذي سيطر على المجلس الوطني ، وكان اكثر هذه الهواجس اثارة للجدل والنقاش الحاد والمتوتر ، ونعني به قضية الاتصالات السياسية مع المنظمات الصهيونية ·

وقد بدأ نقاش المجلس حول هذه القضية مبكرا ، فمنذ جلسة العضوية طلب « ناصيف عواد » من جبهة التحرير العربية التحفظ على عضوية اثنين من اعضاء المجلس قيل انهما اجريا الاتصالات ·

وبعد تلاوة التقرير السياسي طلب عبد الوهاب الكيالي (ج·ت·ع) توضيحا حول الاتصالات وما اذا كانت قد تمت بعلم القيادة او بتفويض منها ؟

ومع بدء المناقشة العامة طلبت الجبهة الشعبية ( تيسير قبعة ) بمحاسبة العضوين المذكورين وان يكون المجلس الوطني بمثابة محكمة لهما ٠

وحين تحدثت الصاعقة ( محمد خليفة ) اعلنت رفضها للاتصالات مع العدو الاسرائيلي مباشرة او غير مباشرة ٠ ومع انها اكدت انها لا تتهم احدا ، الا انها طالبت بمحاسبة من يخطىء ٠

وقد قدم الرد الاساسي محمود عباس ( ابو مازن ) ، الذي سبق له واعلن قبل انعقاد المجلس معرفته بوجود اتصالات مع هيئات اسرائيلية معادية للصهيونية ٠ وكشف ابو مازن في رده عن خطة فلسطينية هدفها تشجيع اليهود العرب على ترك اسرائيل والعودة الى البلاد العربية التي هاجروا منها ، وبين ان هناك مساع ناجحة مع بعض الحكومات العربية لاستصدار قوانين تحمي هؤلاء اليهود عند عودتهم ، كما بين ان هناك خططا معدة لتوفير ما يلزم من اموال لتغطية نفقات عودة من يرغب من هؤلاء اليهود ، وتمكينهم من الاستقرار والعيش من جديد ٠ واكد ابو مازن ان الهدف من هذا العمل هو السعي لتفتيت المجتمع الاسرائيلي من الداخل ٠ وقد كان ابو مازن في اطار هذا العرض موفقا جدا ومقنعا جدا ٠ الا ان « ابو مازن » ختم حديثه هذا بالقول ، وبايجاز شديد ، ان الاتصالات التي جرت كانت مع منظمات غير صهيونية ، وتمت من اجل انجاح قضية التهجير ، فخلط بذلك بين قضيتين : قضية التهجير ، وقضية الاتصالات السياسية ، وهما قضيتان مختلفتان لا علاقة لاحداهما بالاخرى ٠

وقد تناول هذه النقطة بالرد سامي العطاري ( صاعقة ) ، فقرأ بنودا من برنامج « حركة السلم الاسرائيلية » وهي الحركة التي تمت الاتصالات الاساسية معها ، محاولا تبيان الطابع الصهيوني الواضح لهذه المنظمة ٠

ثم عاد احمد اليماني ( الشعبية ) فاعلن رفضه لهذه الاتصالات ، ورفضه كذلك للرد الذي قدمه « أبو مازن » ٠

وفي النهاية ، وفي الرد الموسع على المناقشات الذي قدمه ياسر عرفات ، تطرق مرة اخرى لهذه المسألة ٠ دافع عرفات عن الاتصالات وقال ان الهدف منها هو تشجيع الهجرة الاسرائيلية المضادة ، ودافع عن عصام صرطاوي بالاسم وشرح موضوع الرسالة التي قدمها الى فيلكس بوانييه رئيس ساحل العاج ، وابرز الرسالة في المجلس داعيا من يريد للاطلاع عليها ، مؤكدا انها لا تتضمن اي خروج عن اهداف منظمة التحرير ٠ واوضح عرفات في رده ان الرسالة ليست رسمية لانها كتبت على ورق الفندق الذي كان يقيم فيه عصام صرطاوي ٠ وانها قدمت بمبادرة فردية منه ٠ واشار الى ان الصرطاوي ربما يكون قد اخطأ ، وذهب الى ابعد مما كلف به ٠ وختم حديثه قائلا « لكننا نحن الثوار مثل الملائكة ندخل في الوحل ولا نتلوث » ٠

وكان قد اتضح من خلال المناقشات انه ليس هناك معارضة من حيث المبـــدأ للاتصالات مع القوى الاسرائيلية الديمقراطية والتقدمية ، وخاصة تلك القـــوى التي تؤيد الحق الفلسطيني وترفض سياسة التوسع الصهيونية ، وان المعارضـــة تنصب حول الاتصال بقوى ذات طبيعة صهيونية واضحة · ولذلك ··· جـــرت محاولة لضبط هذه المسألة في البرنامج السياسي الذي اكد على « اهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية والتقدمية فيداخل الوطنالمحتل وخارجه والتي تناضل ضد الصهيونية كعقيدة وممارسة » · ومع ان هذه الصيغة توفـــر الضوابط الكافية لعدم الخروج بالاتصالات عن الاهداف المرجوة منها ، الا ان هذا لم يكن كافيا لان يلغي قلق الكثيرين من اعضـــاء المجلس ، خاصة وان هـــذه القضية كانت القضية الوحيدة التي شعر الاعضاء ان النقاش حولها لم يأخـــذ مداه حتى النهايـــة ·

**برنامج المرحلة :**

وبوصول المناقشات الى هذا الحد من الوضوح والتصلب المبدئي تجاه ابـــرز واهم القضايا التي اثيرت ، شاع جو من الارتياح داخل المجلس اصبح من الممكن معه الانتقال بروية وهدوء الى اعمال اللجان دون ان تكون هناك عقبة قادرة على ان تقف عائقا في وجه الوصول الى توصيات اجماعية · لقـــد انتفى جو الشك ، وتبددت المخاوف ، وكانت القيادة الفلسطينية هي التي بادرت لذلك ، ومـــن خـــلال مواقف واضحة مبدئية ·

وعلى قاعدة من الوضوح ، والتصلب ، والتمسك بالميثاق ، ورفض الضغـــوط الدولية والعربية ، تركز العمل على بلورة برنامج سياسي يستطيع ان يندفع خطوة الى الامام ، وان يشكل ردا عمليا على المطالب والضغوط ·

لقد اكدت القرارات بوضوح :

- ☐ التمسك بالميثاق ·
- ☐ رفض قرار مجلس الامن ٢٤٢ ورفض التعامل علىاساسه عربيا ودوليا ·
- ☐ رفض جميع اشكال التسويات الاستسلامية الاميركية ·
- ☐ رفض الصلح والاعتراف بدولة اسرائيل ·

وجنبا الى جنب مع هذه القضايا المبدئية ، قرر المجلس :

☐ تطوير شعار « السلطة الوطنية » الذي جرى اقراره في المجلس الوطنـــي الثاني عشر ، الى شعار « الدولة الوطنية المستقلة » ، ردا على كل محاولة تسعى للقفز من فوق هذا المطلب ، او استغلال عمومية شعـــار « السلطة الوطنية » للحديث عن كيان سياسي ما للشعب الفلسطيني يمكن ربطه او احتواؤه داخل اي

كيان عربي آخر ، بدون الارادة الحرة للشعب الفلسطيني ٠

□ تأكيد قضية الوفد الفلسطيني المستقل والمتكافىء مع بقية الوفود ، في جميع المؤتمرات والمحافل الدولية المعنية بقضية فلسطين ، ردا على فكرة الوفد العربي الموحد التي يريد البعض منها مصادرة حق منظمة التحرير في ان تكون الممثل الشرعي الوحيد لشعبها ٠

□ التأكيد على ان قرار الامم المتحدة رقم ( ٣٢٣٦ ) الصادر عام ١٩٧٤ هو الذي يعبر عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وهو الذي يحدد حركة منظمة التحرير ، مقابل قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) ٠

□ ربط شعار « الدولة الوطنية المستقلة » بحق العودة لشعبنا الى الاراضي التي انتزعت منه العام ١٩٤٨ ، لتأكيد الربط بين الشعار المرحلي والشعار الاستراتيجي ٠

وبهذه القرارات استطاع المجلس الوطني ان يخرج بمعادلة تلائم بين التمسك الصلب بالمبادىء ، وطرح خطة عمل واقعية تضعه في صلب النضال السياسي العربي والدولي ، ضد كل نظريات العزلة « اليمينية » او « الثورية » ٠

**تحالفات جديدة :**

وقد انعكست هذه النتائج على اللحمة الداخلية بين فصائل المقاومة الفلسطينية بشكل متميز عن اي مؤتمر سابق منذ بروز « جبهة الرفض الفلسطينية » ٠

فبدلا من ان يكون هناك خلاف سياسي بين القيادة الرسمية لمنظمة التحرير وبين جبهة الرفض ، برز هذه المرة خلاف بين اطراف جبهة الرفض نفسها ، وانحازات ثلاثة فصائل من جبهة الرفض الى جانب القيادة الرسمية ، مقابل فصيل واحد هو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ٠ وقد صوتت هذه الفصائل الثلاثة ( جبهة التحرير العربية ـ الجبهة الشعبية القيادة العامة ـ وجبهة النضال الشعبي ) مؤيدة القرارات السياسية التي صدرت عن المجلس ، والتي عارضها فقط ١٣ عضوا ، ١١ من الجبهة الشعبية واثنان من المستقلين ٠ كذلك فان هذه الفصائل الثلاثة رفضت فكرة الانسحاب من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، بينما اصرت الجبهة الشعبية منفردة على موقف الانسحاب ٠

فهل يمكن بناء على ذلك القول بان « جبهة الرفض » قد انتهت من الساحة الفلسطينية ؟

من المبكر الرد على هذا السؤال بالايجاب ، بانتظار فسحة كافية من الزمن نراقب فيها مواقف اطراف جبهة الرفض التي انحازت الى جانب القيادة الفلسطينية لنرى ابعاد هذا الانحياز وطبيعة فهم هذه القوى له ، وهل هو محاولة منها لمنع الانشقاق الفلسطيني ، ام انه يتجاوز ذلك الى حد الموافقة الكاملة على

خطة العمل التي تم التوصل اليها ؟

ولكن مهما كانت النتيجة على ضوء التجربة ، فان تحولا مهما قد طرأ على طبيعة التحالفات داخل منظمة التحرير ، تعززت فيه الوحدة الوطنية اكثر مما كانت عليه في السابق · وقد حدث ذلك في الوقت الذي كانت فيه الحملة الاعلامية المضادة تصور الوضع الفلسطيني وكأنه يقف على ابواب الانشقاق الواسع ،وتهيء الجو لكي تقطف ثمار هذا الانشقاق ·

لقد بدأ المجلس الوطني ، والمحاولات جارية لاسقاط القيادة الفلسطينية ، او اضعافها واحتوائها سياسيا ·

وانتهى المجلس الوطني ، وقد تعززت شرعية القيادة ، وشرعية منظمةالتحرير كمؤسسة تمثل الشعب الفلسطيني ، وسقطت كل محاولات الاحتواء ، والاحتواء السياسي في مقدمتها ·

بل ان المجلس الوطني ذهب الى ابعد من ذلك حين سجل « ان علينا واجباقوميا تجاه امتنا، الا وهو ايقافالتراجع العربيامام الامبريالية الاميركية والصهيونية، وكشف خداعهما وعجزهما عن فرض التسوية الاميركية ـ الاسرائيلية » حسبما ورد في التقرير السياسي (ص ٢٠) ·

# المجلس الوطني الفلسطيني :
# نحو دولة فلسطينية مستقلة

صبري جريس

صدر عن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة ( دورة الشهيد كمال جنبلاط ) ، المنعقدة في القاهرة ، خلال ١٢ـ ٢٠ آذار ( مارس ) ١٩٧٦ ، برنامج سياسي مؤلف من ١٥ بندا ( انظر النص في العدد السابق من «شؤون فلسطينية » ص ٤ـ٦ ) ، يحدد الاهداف المرحلية للنضال الفلسطيني ، في ضوء الاوضاع الدولية والعربية والفلسطينية الراهنة ، ويرسم خطوط العمل الرئيسية لتحقيقها ٠

ان قراءة سريعة للبرنامج السياسي تمكننا من تقسيمه الى جزئين ، اولهما « تقليدي » ـ وهذا العرض لا يقلل ابدا من اهميته ـ وثانيهما جديد ٠ أما « التقليدي » فيتلخص في تأكيد المجلس على « ان قضية فلسطين هي جوهر الصراع العربي ـ الصهيوني وأساسه » ، و« ان النضال في الاراضي المحتلة بكافة اشكاله العسكرية والسياسية والجماهيرية يشكل الحلقة المركزية في برامجه النضالية » ، ثم اشارته الى « اهمية وضرورة الوحدة الوطنية عسكريا وسياسيا بين جميع فصائل الثورة الفلسطينية في أطار منظمة التحرير الفلسطينية » ، والى « ضرورة تقوية الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية وتعميق التلاحم مع جميع القوى الوطنية العربية» ، واخيرا « اهمية تعزيز التعاون والتضامن مع البلدان الاشتراكية والدول غير المنحازة والدول الاسلامية والدول الافريقية ومع جميع حركات التحرر الوطنية في العالم » ٠ كذلك يضم هذا الجزء « رفض المجلس لقرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ ٠٠٠ ورفض التعامل على أساسه عربيا ودوليا » لانه « يتجاهل الشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة في وطنه » ، ثم « رفض جميع أشكال التسويات الاستسلامية الاميركية وكافة المشاريع التصفوية »٠ أما الجديد في البرنامج السياسي فيتلخص ، دون شك ، في البند الحادي عشر منه ـ ونصه : « يقرر المجلس الوطني الفلسطيني مواصلة النضال من اجل استعادة الحقوق الوطنية لشعبنا وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة فوق تراب وطنه » ـ والبنود الاخرى المكملة له ٠ وحتى نقف على مغزى هذا التجديد ومداه ، لا بد من العودة قليلا الى الوراء ، عند بداية طرح الحلول الداعية الى اقامة دولة فلسطينية ٠

## من « دويلة » ... الى دولة

كان اقتراح اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منهما مع باقي الاراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ضمن تسوية شاملة لازمة الشرق الاوسط ، قد طرح في مطلع السبعينات ، اي قبل نحو سبع سنوات . واثار هذا الاقتراح في حينه ردود فعل عنيفة لدى الفلسطينيين ، على اختلاف تنظيماتهم ووجهات نظرهم ، ووصف بأبشع النعوت . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل انبرى بعض الذين نصبوا انفسهم قيمين على ما يسمونه « وطنية » فلسطينية في مراقبة الناس واحصاء سكناتهم عليهم ، خشية من ان « يفلت » أحدهم ويتحدث عن « الدويلة المسخ » او يذهب في « استسلامه » و« تخاذله » الى ابعد من ذلك . ولن نستطيع هنا ، بالطبع ، اثبات كل ما قيل من ذم في ذلك الاقتراح وتشهير به وبمؤيديه ، ولا حتى تلخيص ذلك ـ نظرا لكثرة ما قيل ـ وليس هذا هو المجال او الوقت المناسب للقيام بذلك . ولهذا سنكتفي فقط بما ذكرته بعض المجالس الوطنية السابقة في هذا الصدد . فالدورة السابعة للمجلس الوطني ( القاهرة، ١٩٧٠ ) ، مثلا ، تبنت بيانا ـ اتفاقا ، صادرا في ١٩٧٠/٥/٦ في عمان وموقعا من كافة فصائل المقاومة واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، جاء فيه « ان شعب فلسطين وحركة تحرره الوطنية يناضل من اجل التحرير الشامل ويرفض كافة الحلول السلمية والتصفوية والاستسلامية بما فيها المؤامرات الرجعية الاستعمارية لاقامة دولة فلسطينية على جزء من الارض الفلسطينية ... » . أما البرنامج السياسي الصادر عن الدورة الثامنة للمجلس ( القاهرة ، ١٩٧١ ) فقد دعا الى « الوقوف بحزم ضد دعاة اقامة دويلة فلسطينية فوق جزء من التراب الفلسطيني ، وعلى اعتبار ان السعي لاقامة مثل تلك الدويلة انما يقع في نطاق تصفية قضية فلسطين ... » . كذلك استنكرت القرارات السياسية الصادرة عن الدورة التاسعة للمجلس ( القاهرة ، ١٩٧١ ) « دعوات اقامة الدويلة الفلسطينية في جزء من ارض الوطن ... » . والشيء نفسه ينطبق أيضا على قرارات الدورتين العاشرة والحادية عشرة للمجلس الوطني (القاهرة، ١٩٧٢ و١٩٧٣)، اذ ادانت كل منهما الدعوات الهادفة الى اقامة « دويلة فلسطينية » ( انظر ، لمزيد من التفاصيل ، نص القرارات في كتاب « مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ، ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤ » ، اعداد راشد حميد ، مركز الابحاث ، بيروت، ١٩٧٥ ، ص ١٦٦ و١٧٧ و١٨٥ و١٩٩ و٢٢٩ ) .

غير ان تغييرا ملحوظا طرأ على هذه المواقف بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، اثر الاوضاع الجديدة التي نشأت آنذاك . فقد اقرت الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني ( القاهرة ، ١٩٧٤ ) برنامج النقاط العشر ـ وفحواه الموافقة

على « اقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها » · ولكن من الخطأ الاعتقاد ان هذا البرنامج اسفر عن تغيير كبير بالنسبة للمواقف السابقة ، اذ جاء في مقدمته ان هناك « استحالة اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة دون استعادة شعبنا الفلسطيني لكامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير مصيره على كامل ترابه الوطني » ـ والتشديد على كلمة «كامل» · كذلك جاء في النقطة الرابعة من البرنامج « ان اية خطوة تحريرية تتم هي لمتابعة تحقيق استراتيجية منظمة التحرير في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المنصوص عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة » · و « الدولة الديمقراطية » ـ بحسب قرارات المجالس السابقة ـ هي تلك التي ينبغي ان تقام في فلسطين بعد « التحرير الشامل والكامل للتراب الفلسطيني من احتلال الصهيونية وقاعدتها اسرائيل » ·

والواضح من مقارنة بسيطة بين العبارات التي اوردناها وتلك التي ينص عليها البرنامج السياسي الجديد ، ان تغييرا ملموسا وجوهريا طرأ على الموقف الفلسطيني · فالبرنامج الجديد لا يذكر كلمات « دولة ديموقراطية » او « سلطة وطنية » او« دويلة فلسطينية » ، بل يتحدث عن« دولة وطنية مستقلة » ، اي ـ باختصار ـ دولة فلسطينية مستقلة على جزء من ارض فلسطين ·

ماذا حدث خلال السنوات السبع الماضية حتى تحولت « الدويلة» المستنكرة الى « دولة وطنية » ، رغم عدم وجود فروق كبيرة بين المعطيات الجغرافية والسكانية التي كان من المفروض ان تنشأ « الدويلة » بموجبها وبين تلك التي قد تقوم « الدولة » على أساسها ؟ حدثت ، بالطبع ، أمور كثيرة على اصعدة عدة وجرت تغييرات وتطورات أثرت ، اولا ، على تعميق الواقعية والعقلانية في الساحة الفلسطينية عامة ، وتركت بصماتها على التفكير السياسي الفلسطيني الجماعي · كذلك حدثت أمور أخرى ، محددة للغاية ولكنها ايضا مهمة للغاية ، اذ أفهم الفلسطينيون ـ من قبل اكثر من دولة ، كبيرة او متوسطة او صغيرة ، من بين الدول المؤيدة لهم او المتعاطفة معهم ، ان سقف النضال الفلسطيني في هذه المرحلة ـ وحتى لا نخدع انفسنا ، هذه المرحلة قد تمتد ، على الاقل ، حتى نهاية القرن ـ هو دولة فلسطينية مستقلة على جزء من ارض فلسطين ، وأنه ليست هناك دولة واحدة ذات شأن على استعداد لان تسير معهم الى ابعد من ذلك · كما اوضح العديدون للفلسطينيين انهم اذا ارادوا السير على هواهم فما عليهم الا ان يتحملوا مسؤولية اعمالهم ويواجهوا مصيرهم لوحدهم · ويبدو انه كان لهذه « النصائح » تأثيرها ، خصوصا في ضوء تجربة لبنان ١٩٧٦ ، فجاء البرنامج السياسي هذه المرة واضحا وواقعيا ومعقولا الى ابعد مدى ممكن ·

## قـرارات الامـم المتحـــدة

ولا يقلل من وضوح البرنامج السياسي وواقعيته في دعوته الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة عـلى جزء من ارض فلسطين ، مطالبة المجلس الوطنـــي « بتحقيق حقوقنا الوطنية غير القابلة للتصـرف ، وهي الحقوق التـي اقرتـها الجمعـية العـامة للامم المتحـدة منذ سنة ١٩٧٤ وخاصة القرار ٣٢٣٦ » ،ثم محاولة البعض تفسير ذلك على انه ينص علـى اقامة الدولة الفلسطينيـة فـي فلسطين بأكملها ـ أذ ليس هناك في قرارات الامم المتحدة ما يؤيد ذلـك · ولكن قبل الحديث عن هذه القرارات لا بد من اثبـات تساؤل حـول الاسبـاب التي حدت بالمجلس الى حصر استناده على قرارات الامم المتحدة في تلـك الصادرة « منذ سنة ١٩٧٤ وخاصة القرار ٣٢٣٦ » · لقد اصدرت الامم المتحـدة ، منذ تأسيسها وحتى اليوم ، عـددا لا بأس به من القرارات حول قضية فلسطين، ومن ضمنها قرار التقسيم أياه ، الذي يدعـو الى اقامة دولة فلسطينية تزيـد مساحتها عـن مساحة تلك التي يمكن ان تقام حاليا · فلماذا تجاهل هـذا القرار ، مثـلا ، والقرارات الاخـرى الداعـية الى عـودة اللاجئين الـى ديارهم والتعويض عـلى من لا يريد العـودة منهم ؟ ثم اذا كنا قد احتكمنـا الى قرارات الامم المتحدة « منذ سنة ١٩٧٤ » ، باعتبار ان تلك القـرارات صادرة في مرحلة جديدة من تاريخ المنظمة الدولية ، فلماذا التشديد علـى القرار رقم ٣٢٣٦ فقط ، وتجاهل القرارات الاخرى التي تبعته · ان العـرف والعـادة يقضيان بأنك اذا احتكمت الى هيئة دولية ، عليك قبول حكمهـا بكامله ، ولا يمكنك ان تختار منه ما يفيدك وتتغاضى عـما لا يروق لك ·

غـير انه ، من ناحية ثانية ، ليس هناك ما يدعـو الى التشديد على القرار رقم ٣٢٣٦ بحد ذاته والاشارة اليه في نص البرنامج السياسي باعتبـاره وثيقة مهمة مؤيدة للفلسطينيين ـ وهو ليس كذلك · ان فحوى هذا القـرار هو الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، بما في ذلك حقهم في السيـادة والاستقلال الوطني · كذلك يعترف القرار بحق الشعـب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائـل ، ويناشد كل الدول والمنظمات الدولية تقديم دعـمهـا للفلسطينيين لاستعـادة تلك الحقوق · ولكن ذلك يجب ان يتم بموجب « غايات ومبادىء ميثاق الامم المتحدة » · وميثاق الامـم المتحـدة لا يسمـح بالمس بسيادة دولة عضو فيها ، واسرائيل ـ كما هـو معـلوم ـ عضو في الامـم المتحدة · ومن هنا ، يظهر واضحـا ان التشديد عـلى القرار رقـم ٣٢٣٦ لم يكن في محلـه تماما ·

ويقتضي التنويه ايضا ، بالاضافة الى ذلك ، ان القرار رقم ٣٢٣٦ ليس القرار المركزي في مجموعـة القرارات والتوصيات والوثائق التي صدرت عـن الامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية « منذ سنة ١٩٧٤ » · ففي الدورة الثلاثين

للجمعية العمومية ( ١٩٧٥ ) صدر أيضا قرار آخر ، دعا الى تشكيل لجنة سميت « لجنة تحقيق الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني » (وتعرف أيضا باسم « لجنة العشرين » ، وهي مؤلفة من مندوبين عن عشرين دولة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة ) · وقد عقدت هذه اللجنة ، خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٦ ، نحو ٣٥ اجتماعا ، تنفيذا للمهمة التي اوكلت اليها ، وأصدرت تقريرا ضمنته رأيها حول حقوق الشعب الفلسطيني وطرق تنفيذها · وعرض هذا التقرير على الجمعية العمومية في دورتها الحادية والثلاثين ( ١٩٧٦ ) فصوتت الى جانبه ١٢٢ ( مائة واثنتان وعشرون ) دولة ، وهذا ـ على حد علمنا ـ اكبر عدد من الدول يصوت الى جانب قرار مؤيد للفلسطينيين · أما فحوى تقرير لجنة العشرين فهو الدعوة الى عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم ، على ان يتم ذلك على مرحلتين ـ الاولى عودة اللاجئين من المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، والثانية عودة اللاجئين القدامى ، ثم انسحاب اسرائيلي من المناطق المحتلة وتمكين الفلسطينيين من تقرير مصيرهم بأنفسهم ، واقامة « كيان فلسطيني » · ويظهر من قراءة ذلك التقرير بوضوح ان المائة واثنتين وعشرين دولة ، التي صوتت الى جانبه ، تعتبر اسرائيل امرا واقعا ، بل وتطالبها بالانصياع لقرارات الامم المتحدة وتمكين الفلسطينيين من التمتع بحقوقهم · كذلك يستند التقرير بشكل بارز على قرارات الامم المتحدة الصادرة « قبل سنة ١٩٧٤ » · وما نريد ان نقوله ـ باختصار ـ هو ان الاستناد الى قرارات الامم المتحدة منذ سنة ١٩٧٤ كان في غير محله ، وأن الاعتقاد بأن هذه القرارات تعطي الفلسطينيين اكثر من دولة مستقلة على جزء من ارض فلسطين هو اعتقاد لا أساس له · وكان من الاحسن التركيز في البرنامج على المطالبة بأقامة دولة فلسطينية مستقلة ، مع الاشارة الى قرارات الامم المتحدة ، بشكل عابر وبصورة عمومية ، وترك احتمالات المستقبل مفتوحة ·

## « الممثل الشرعي الوحيد »

بالاضافة الى مطالبته الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني « في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة فوق ترابه الوطني » ، أكد المجلس الوطني أيضا ، في برنامجه السياسي ، « حرصه على حق منظمة التحرير الفلسطينية بالاشتراك بشكل مستقل ومتكافىء في جميع المؤتمرات والمحافل والمساعي الدولية المعنية بقضية فلسطين وبالصراع العربي ـ الصهيوني ، بغرض تحقيق حقوقنا الوطنية غير القابلة للتصرف » · كذلك اعلن المجلس « ان اي تسوية او اتفاق يمس حقوق شعبنا الفلسطيني في غيابه باطلة من أساسها » · والواضح ان المجلس ، بعد ان تخلى عن طريقة بياناته واعلاناته السابقة، اي تلك الطريقة « التقليدية » التي كانت تكتفي برفض هذا واستنكار ذلك وشجب

ذاك ، دون ان تقـول ماذا تريد ، كان لا بـد له من استنتاج النتيجة المنطقية المترتبة عـلى موقفه المشار اليه والمطالبة بأن تكون منظمة التحرير الفلسطينية طرفا في اية مساع دولية تتعـلق بقضية فلسطين ، بأعتبارها الممثل الشرعـي الوحيد للشعـب الفلسطيني · والواضح أيضا ان المجلس الوطني أحسن صنعا بأعـلانه هذا ، فقضى بذلك عـلى البلبلة ، التي كانت سائدة لدى دوائـر عدة في العـالم ـ والعديد منها من المناصرين للفلسطينيين ـ حول حقيقة الموقف الفلسطيني ، اذ لا بـد « للمثـل الشرعـي الوحيد » من ان يقول كلمتـه ، علانية ، في مثل هذه الامور · كذلك لم يكن بد من الاعـلان ان اي تسويـة او اتفاق يمس حقوق الشعب الفلسطيني في غيابه باطلة من اساسها، خصوصا في ضوء المساعـي المستمرة التي تبذلها هذه الجهة او تلك للوصول الى حلول للقضية الفلسطينية عـلى هواها ·

## الدولة الفلسطينية المستقلة : مناصروها ومعارضوها

ان المطالبة بأقامة دولة فلسطينية مستقلة من ناحية ، والاعـلان عن حـرص منظمة التحرير الفلسطينية عـلى الاشتراك بشكل مستقل ومتكافيء في جميـع المؤتمرات والمساعـي الدولية المعنية بقضية فلسطين من ناحية ثانية ، لا يعني ـ بالطبـع ـ ان تلك الدولة أصبحت قاب قوسين او ادنى ، او ان الجميـع يرحب بأعـلان المنظمة عـن نيتها بالاشتراك في المساعـي الدولية المعنيـة بالقضية الفلسطينية ، بل قد يكون العكس هو الصحيح · ان الموقف الفلسطيني الجديد هـذا ، العـقلاني والواقعـي ، يحظى بتأييد وتعاطف اغلبيـة دول وشعـوب العـالم ، وتكاد تكون الشرعـية الدولية التي تواكبه شبه اجماعية ـ وهذه بحد ذاتها عناصر مهمة للغاية ، وقد تكون هـي فـي النهايـة التـي سترجح كفة الميزان نحو ايجاد حـل عادل للقضية الفلسطينية · غير انـه ، على الرغـم من ذلك ، هناك قوى عـديدة ، اجنبية وعربية ، تعارض هـذا الاتجاه في العـمل الفلسطيني ، او تعارض اي اتجاه فلسطيني واقعي ومعقول، قد يساعـد الفلسطينيين للحصول عـلى بعـض حقوقهم · بل ان البعـض قد يعتبر هـذا الاتجـاه الجديد دليل ضعـف لدى الفلسطينيين · ولذلك علينا ان نأخذ بالحسبان قيام هذه القوى المعادية بتكثيف جهودها وحياكة المؤامـرة تلو الاخرى ضد الثورة الفلسطينيـة · ولا شك ان هـذه المؤامرات ستـزداد عمقا واتساعا وشراسة ، كلما لاحت في الافـق بوادر انتصـار فلسطيني ، او بداية تحركات دولية تهدف الى حل ازمة المنطقة · وحتى نكون واضحيـن لا بد من وضع النقاط عـلى الحروف وتسمية الاشياء بأسمها ، والاشارة الى ان القوى المعـادية لاقامة دولة فلسطينية تضم ثلاث فئات رئيسية : المحتـل الاسرائيلي ـ الصهيوني ، بعـض الانظمة العربية و« فلسطينييها » والامبرياليين الاميركيين · ومصالح هذه الفئات الثلاث ليست متطابقة ومتجانسة دائما ، بالطبع ، ولكن ذلك لا يمنـع من التقائها ، عـن قصد او غـير قصد من حين

الى اخـر ، للعـمل ضد الفلسطينيين ومصالحـهم · ومن المستحسن ان تبقى العين مفتوحـة لمراقبة تصرفات هذه القوى ومخططاتها ·

## الموقف الاسرائيلي

ان اسرائيل ، كما هو معـلوم ، هي اولى القوى المعارضة لاقامة دولـة فلسطينية مستقلة ، وأشدها شراسة في معارضتها هذه ، وذلك لسبب « بسيط» للغاية : ان دولة فلسطينية مستقلة ، عـلى جزء من ارض فلسطين ، هـي بداية النقيض ـ البديل للكيان الصهيوني في فلسطين ·

ان الموقف الاسرائيلي ، عـلى تعقيداته ، ليس مبهما · فاسرائيل تريـد تسوية ـ ولكن بموجب شروطها · وتختلف هذه الشروط بأختـلاف الطـرف الآخـر ، المرشح للاشتراك في التسوية · فبالنسبة لسوريا ومصر ، تطالـب اسرائيل بضم جزء من اراضيهما المحتلة اليها : معـظم اراضي منطقة الجولان، وجزء من سيناء ، عـلى شكل شريط من الارض يمتد بمحـاذاة الحـدود الفلسطينية ـ المصرية ابتداء من العريش حتى خليج العقبة ، ثـم يتجه جنوبـا حتى يصل الى شرم الشيخ · وبالاضافة الى ذلك ، ينبغـي على هاتيـن الدولتين اقامة علاقات سلم طبيعـية مع اسرائيل والاعتراف بها ·

أما بالنسبة للفلسطينيين ، فأن المشكلة اكثر تعقيدا · فاسرائيل لا تريد ضـم الضفة الغربية وقطاع غـزة اليها ـ ولو ارادت ذلك لفعلته منذ سنوات ـ خشية من ان يؤثر ازدياد عدد السكان العرب على « نقاوة » الدولـة اليهوديـة ، اذ لا تزال الاسس الصهيونية العنصرية تتحكم في عـقلية حكام اسرائيل · ولكن ، في مقابل ذلك ، ليست هناك نية للانسحاب من تلك المناطق ، بل عـلى العـكس الاحتفاظ في السيطرة عـليها ، عـلى الاقل ، وأيجـاد نوع مـن الحـلول او الترتيبات الدائمة الهادفة الى تأمين المصلحـة الاسرائيلية في تلـك المناطق من ناحية ، وتصدير المشاكل الناجمة عـن ذلك الى طرف اخـر مـن ناحية ثانية · فالتخطيط الاسرائيلي يقضي ، مثـلا ، بالاحتفاظ بالسيطـرة العسكرية على تلك المناطق ، « للحفاظ عـلى الامن » ، وأبقائها مفتوحـة امام الاستيطان اليهودي ، بالاضافة الى تحويلها الى سوق لبضائـع اسرائيل ومستودعـا للقوى البشرية العاملة التي قد يحتاج اليها تطورها الاقتصادي · كذلك يفترض ان تشكل تلك المناطق ، وخصوصا الضفة الغربية ، عـازلا يمنع اي تأثير ضار عـلى اسرائيل ، في حـالة الوصول الى « السلم » الذي تطالـب به ، وقاعـدة للتسلل الاقتصادي الى الدول العربية ، بواسطة الجسور المفتوحة· ولكن هذا التخطيط يحتاج الى طرف ثالث يساعـد على تنفيذه · وهنـا ياتي دور الاردن « المسكين » ، الذي يفترض فيه ان يوافق عـلى تحويل نفسه الـى اداة لتنفيذ هذا المخـطط ، فيتحمـل المشاكل الناجمة عـنه ، لان سكان الضفة الغربية من مواطنيه ( واسرائيل عـلى استعـداد للموافقة عـلى اضفاء هـذه

الصفة على سكان قطاع غزة أيضا ) ، دون ان يستطيع لعب اي دور مؤثر في تلك المناطق ٠

## « لا صلح ولا اعتراف »

وليس هذا هو الدور الوحيد المطلوب اسرائيليا من الاردن ان يلعبه ، اذ ان هناك مشكلة التمثيل الفلسطيني أيضا ٠ وكانت هذه المشكلة قد ثارت بشكل حاد في اعقاب حرب تشرين ، عندما اضطر حزب العمل الاسرائيلي الحاكم الى ان يعلن ، في برنامجه الانتاخبي ، انه لا بد من ايجاد حل لمشكلة « الهوية الفلسطينية » ٠

ان الاعلان عن النية في ايجاد حل لمشكلة « الهوية الفلسطينية » لا يعني، عمليا ، اي تغيير جوهري في الموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين ، وهو الموقف المتجاهل لوجودهم والمتنكر لحقوقهم ، خصوصا وان الاعلان جاء نتيجة لضغوط داخلية وخارجية لم يكن في وسع حكام اسرائيل تجاهلها ٠ ولذلك سرعان ما جاء الشرط الاخر المكمل له : على هذا الحل ان يتم في اطار المفاوضات مع الاردن فقط ، دون الاعتراف بأية جهة اخرى كممثل للفلسطينيين كائنة من كانت ٠

وجذور هذا الموقف الاسرائيلي عميقة للغاية وتعتبر من الركائز الاساسية للسياسة الاسرائيلية تجاه الفلسطينيين والعرب ٠ لقد قامت اسرائيل على أساس تجاهل الفلسطينيين وعدم الاعتراف بحقوقهم القومية ، واعتبارهم مجرد « سكان في ارض ــ اسرائيل » ، يفقدون حقوقهم في العيش في فلسطين حال مغادرتها ٠ ولهذا فان الاعتراف بحقوق قومية للفلسطينيين ووجود ممثلين شرعيين لهم ، مهما كانوا « معتدلين » ، يعتبر مسألة خطيرة للغاية من وجهة النظر الاسرائيلية ، اذ قد يؤدي ذلك الى اعادة فتح الدفاتر القديمة واثارة القضية الفلسطينية من جذورها ، اي منذ بداية الغزو الصهيوني لفلسطين ٠ ولذلك فان اسرائيل ليست على استعداد للاعتراف بأية جهة فلسطينية كطرف في المفاوضات معها ، مهما كان تشكيلها ، لانه ليس هناك من ضمان يكفل عدم لجوء ممثلي الفلسطينيين ، بعد الاعتراف بهم بهذه الصفة ، الى طرح القضية من جذورها ، وبشكل يشمل « كامل التراب الفلسطيني » ( وربما المياه الاقليمية ايضا ) ــ على حد ما جاء في قرارات المجالس الوطنية السابقة ٠ وكان رابين قد علق على مسألة رفض الاعتراف الاسرائيلي بالفلسطينيين بقوله ، بطريقة ابناء الصابرا التصويرية : « ليست هناك سيدة شبه حامل ، اما انها حامل او غير حامل » ٠ واسرائيل « غير حامل » بأي نوع من الاعتراف بالفلسطينيين ٠ ومن هنا التشديد الاسرائيلي على دور الاردن في المفاوضات ، اذ ان الاردن لا يملك ، دوليا ، اية حقوق

في فلسطين ويكاد ، بصعوبة ، يمثل الضفة الغربية التي ضمها اليه بعد حرب ١٩٤٨ ، ولذلك لا يستطيع اثارة اية قضايا اخرى · وما الاقتراحات الاسرائيلية ، التي تقدم من حين الى اخر ، بشأن امكانية ضم عدد من الفلسطينيين الى الوفد الاردني الذي قد يفاوض اسرائيل ، الا نوعا من ذر الرماد في العيون ، اذ لن يكون مثل هؤلاء الفلسطينيين الا مجرد زينة·

انطلاقا من هذه الاسس والقيود الاسرائيلية ، يمكننا ان نفترض ـ بل ان نكون شبه متأكدين ـ ان اسرائيل لن تعترف بأية هيئة فلسطينية ، بما في ذلك ـ او خصوصا ـ منظمة التحرير الفلسطينية ، ولن تتعامل مع كل من له علاقة رسمية بها ، وهي لذلك لا تريد اي اعتراف فلسطيني بها ( بل تسعى الى اعتراف عربي فقط ) · فالاعتراف ، كالزواج ، لا يمكن الا ان يكون متبادلا ، ولان اسرائيل غير مستعدة للاعتراف بالفلسطينيين ، فانها لا تريد أيضا اعترافهم بها ، مهما كانت صفتهم او صبغتهم · ويلاحظ ان المسؤولين الاسرائيليين قد توقفوا مؤخرا حتى عن مجرد مطالبة منظمة التحرير الفلسطينية ، في تصريحاتهم ، بالاعتراف باسرائيل ويكتفون بالتأكيد انهم لن يتعاملوا معها · بل ان رابين وألون اخبرا الدكتور كورت فالدهايم ، امين عام الامم المتحدة ، اثناء زيارته للمنطقة ، خلال شهر شباط ( فبراير ) الماضي ، ان اسرائيل قد اخطأت عندما اعلنت انها تريد اعترافا من المنظمة بها ، وهي حقيقة لا تريد ذلك الاعتراف ولا تسعى اليه ، ولن تعترف بالمنظمة ، في اية حال من الاحوال ، حتى ولو اعترفت الاخيرة بها ·

ان موقف « لا صلح ولا اعتراف » متشابه اذن ، لدى كل من اسرائيل والفلسطينيين · وقد يعني ذلك انعدام امكانية الوصول الى اية تسوية في المنطقة · ولكنه قد يعني أيضا ، من ناحية ثانية ، امكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة ، لا تعترف باسرائيل ولا تعترف اسرائيل بها · ولا شك بان هذا بالذات هو ما تخشاه اسرائيل ، وتخشى اي موقف قد يؤدي اليه · والموقف الذي اعلنه المجلس الوطني الفلسطيني اخيرا هو من نوع هذه المواقف ، خصوصا وانه يدعو الى اقامة دولة وطنية مستقلة من ناحية ، ويؤكد حرص منظمة التحرير الفلسطينية على الاشتراك بشكل مستقل ومتكافىء في جميع المؤتمرات والمحافل والمساعي الدولية المعنية بقضية فلسطين وبالصراع العربي ـ الصهيوني من ناحية ثانية · وخطورة هذا الموقف ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، تكمن في مدى التأييد الدولي العارم الذي يحظى به ، مما قد يساعد على تبنيه من قبل قوى متعددة ، وبالتالي تنفيذه · ولا شك بان ما تريده اسرائيل فعلا من الفلسطينيين هو التشبث بالمواقف فوق ـ المتشنجة ، العاطفية والفضفاضة ، التي تساعدها على عرضهم أمام العالم كمجموعة من القتلة المتعطشين للدماء ، وبالتالي كسب عطف العالم عليها من جهة وكرهه وخوفه من الفلسطينيين من جهة ثانية ، لتستمر في تحقيق اهدافها ·

واذا كان الاتجاه نحو اقامة دولة فلسطينية مستقلة يثير هلع اسرائيل ، فينبغي علينا ان نتوقع قيامها بكل ما في وسعها لافشاله بل ـ ربما ـ السعي الى احتواء المطالبين به او القضاء عليهم · ان مثل هذه الخطر الداهم ، الذي قد يؤدي الى مخاطر أشد وأقوى على الوجود الاسرائيلي ، لا يمكن السكوت عليه · وعلى وجه العموم ، لم تتوان اسرائيل في الماضي عن القيام بكل ما وسعها لضرب القوى الفلسطينية المقاتلة او تضييق الخناق عليها بكل الوسائل · وقد اتخذ هذا النشاط الاسرائيلي المعادي اشكالا مختلفة في الماضي ، ابتداء من محاولات ابادة القوة العسكرية الفلسطينية، مهما كان حجمها ، مرورا بقصف مخيمات اللاجئين بواسطة الطائرات وانتهاء بمحاولات التصفية الجسدية للقادة الفلسطينيين· وخلال العامين المنصرمين تجسد هذا النشاط في مؤامرة اسرائيلية ـ امبريالية ـ عربية تهدف الى سحق الثورة الفلسطينية في لبنان والقضاء عليها ، وقد رأينا بأم اعيننا الرصاص يصوب الى صدور الفلسطينيين والصواريخ تنهمر على مخيماتهم بواسطة ايد « عربية » · أما بالنسبة للمستقبل ، فمن المستحسن ان نتوقع تصعيدا في هذه المؤامرات ، بل ان الخطوط الرئيسية لبعضها واضحة للغاية ، وخصوصا تلك الهادفة الى تجزئة الوطن العربي، ابتداء من لبنان ، واقامة دول طائفية فيه · كذلك لا ينبغي ان نستبعد قيام اسرائيل بشن غزوات عسكرية او حروب مفاجئة ، لاحتلال مزيد من الاراضي للمساومة عليها او لضرب القوة العسكرية العربية · وقد تتخذ هذه المؤامرات أيضا طعما « فلسطينيا »، كأن توحي اسرائيل لبعض العرب بأنها على استعداد للاتفاق معهم وتقديم التنازلات لهم ، شرط ان «يتكفلوا» بالفلسطينيين ·

## المواقف العربية

ليست اسرائيل وحدها هي التي تعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة ، بل ان هناك اكثر من نظام عربي ينتهج السياسة نفسها ويعارض اقامة تلك الدولة ـ وكل لاسبابه الخاصة به ·

ان اي مطلع على تاريخ القضية الفلسطينية ، يدرك دون شك ان هذه القضية كانت منذ مطلع هذا القرن على الاقل ، مشكلة عربية أيضا ـ اي ان النشاط الصهيوني والامبريالي لم يكن لوحده كافيا للسيطرة على فلسطين لطرد أهلها منها ، ثم اقامة اسرائيل واحتلال باقي الاراضي الفلسطينية ، اذ ان بعض الانظمة العربية قد « ساهمت » في ذلك ايضا ،ان تم ذلك بسبب جهلهم وعدم ادراكهم لطبيعة المخططات الامبريالية او من خلال التواطؤ مع واضعي تلك المخططات والمشرفين على تنفيذها · ولسنا

بحاجة هنا الى تقديم عرض تاريخي للقضية الفلسطينية ، لنـدرك مدى «المساهمة» العربية في خلقها ، ولكن يكفينا ان نتذكر ما حدث خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها ، في مؤتمر الصلح ، مثلا ، ثم ردود الفعل على الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وكذلك احداث ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ، واخيرا ما وقع سنة ١٩٦٧ ، لندرك انه لولا التقصير او التخاذل او الجهل العربي لكنا الان في وضع يختلف كليا عن هذا القائم حاليا ٠

والتباين في المواقف العربية من القضية الفلسطينية لا يزال قائما حتى الان، رغم كل ما يقال عن تأييد للفلسطينيين وتعاطف معهم من ناحية ، او الظهور بمظهر الحلفاء الاستراتيجيين لهم من ناحية ثانية ٠ فهناك اكثر من نظام عربي له مفاهيمه الخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، ولذلك يتخذ مواقف لا تتلاءم مع تطلعات اكثرية الفلسطينيين او امانيهم ، وأن كان لا يعلن عن ذلك صراحة لاعتبارات مختلفة ٠ فبعض الانظمة يرى ، مثلا ، ان الفلسطينيين ليسوا الا مجرد تابعين له وعليهم الامتثال لاوامره ، وآخرون يرون فيهم جزءا من امبراطورية كبيرة يحلمون ببنائها ، بينما يعتقد غيرهم أنه ينبغي الاحتفاظ بهم في وضع « ثوري » لخدمة مخططات «التحرر» وغيرها ٠ وتعارض كل هذه الانظمة ـ حتى نكون واضحين ـ قيام اي كيان فلسطيني مستقل ، كما تعارض في الوقت نفسه تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية بتركيبها الحالي ، باعتبارها ممثلة للارادة الفلسطينية الحرة ، للشعب الفلسطيني وان كانت لا تقول ذلك علنا خوفا من الفضيحة ، على الصعيدين الدولي والعربي ٠ والواضح ان مواقف هذه الانظمة تشكل خطرا لا يستهان به على النضال الفلسطيني الساعي الى اقامة اي كيان مستقل للفلسطينيين ، نظرا للطعنات في الظهر التي يمكن ان توجهها له في اللحظات الحاسمة ٠ والواضح ايضا انه لا بد من العمل على تطويق هذه الانظمة ، دوليا وعربيا ، وبشكل محكم اذا اريد للنضال الفلسطيني ان يثمر ٠

## الموقف الاميركي

يشكل الموقف الاميركي الضلع الاخير في مثلث رفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ٠ ولا تقل خطورة هذا الموقف ، في رفضه للفلسطينيين ، عن خطورة الموقفين السابقين اللذين اشرنا لهما : الموقف الاسرائيلي ـ الصهيوني ومواقف بعض الانظمة العربية ٠

ولسنا بحاجة هنا ، على كل حال ، الى الدخول في تحليل واسع لطبيعة الامبريالية الاميركية ، اطماعها في المنطقة من ناحية ، وللمواقف المعادية التي تنتهجها تجاه الفلسطينيين خاصة والعرب عامة ، منذ فترة طويلة ، من ناحية ثانية ، لنقف على اسس الموقف الاميركي المناهض للفلسطينيين وتطلعاتهم ٠

ويكفينا ان نشير ، في هذا الصدد ، الى ان الولايات المتحدة كانت قد التزمت في احدى الاتفاقيات الاربع التي وقعتها مع اسرائيل ، نتيجة لاتفاق سيناء، « بالتقيد بسياستها الحالية حيال منظمة التحرير الفلسطينية ، أي انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية او تتفاوض معها ما دامت منظمة التحرير الفلسطينية لا تعترف بحق اسرائيل في الوجود ولا تقبل قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ · وستجري حكومة الولايات المتحدة مشاورات كاملة ، وتسعى الى توفيق موقفها واستراتيجيتها حول هذا الموضوع ، في مؤتمر جنيف للسلام ، مع اسرائيل » · وبالاضافة الى ذلك كانت الولايات المتحدة قد تعهدت لاسرائيل ، في تلك الاتفاقيات ، بتقديم مختلف انواع المساعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية لها، وبشكل ومدى يشك معهما فيما اذا كانت اسرائيل مضطرة للموافقة على اي اتفاق سلام في المنطقة ، يرضى عنه العرب · والموقف الاميركي هذا ، الذي اشرنا اليه ، لا يزال اساسا على ما كان عليه، رغم كل ما يقال عن ظهور بوادر لتغييره ، اذ يبدو ان هذا التغيير لم يطرأ الا على طريقة اطلاق التصريحات الاميركية ·

ان المصاعب والمعارضة التي اشرنا لها ، الاسرائيلية ـ العربية ـ الاميركية، لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ، لا تساعد كثيرا على تحقيق هذا الهدف ، بل وقد تؤدي الى نشوب معارك مختلفة بسببه ، تكون أشد شراسة من معارك الماضي · وقد يقول قائل : اذا كان الوضع على ما هو عليه من الصعوبة، فلماذا تقديم « التنازلات » او « التفريط » في الحقوق ؟ ـ والبعض ، أساسا ، لا عمل لديه الا الحديث عن « التنازلات » و« التفريط » و« الاستسلام » وغيرها من الالفاظ المجوجة · والجواب هو ان برنامجا سياسيا يدعو الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، في ضوء الواقع الحالي ، الدولي والعربي والفلسطيني ، لا ينم عن تنازل يذكر · واذا كان هناك من تنازلات ، فقد حدث ذلك في الماضي ، عندما سيطرت على العرب والفلسطينيين اجيال من «الطاهرين الفاشلين » ـ كما سماهم البعض ـ الذين قادونا الى ما نحن عليه حاليا · والذين يتحدثون عن التنازلات اليوم هم الورثة السياسيون لذلك الجيل من « الطاهرين الفاشلين » ـ ويبدو ان مصيرهم السياسي لن يختلف كثيرا عن مصير اسلافهم ·

ان اقامة دولة فلسطينية ليست عملية سهلة ، ولا يتوقع ان تقام بين ليلة وضحاها ، ولا بد من تقديم تضحيات كثيرة في سبيلها · ولكن الدعوة الى اقامتها ، باعتبارها حلا واقعيا ومعقولا ، تحظى بتأييد كبير في المحافل الدولية ـ وهو تأييد من شأنه ، ان احسن استغلاله ، ان يحسم الموقف لصالح ذلك الحل · لقد قال الفلسطينيون كلمتهم في هذا الشأن في آذار (مارس ) ١٩٧٧ فقط ، وكان من الافضل والاجدى قول ذلك قبل بضع سنوات ·

# آفاق المرحلة
# "سلام" يبتعد .. وثورة تقترب

غازي الخليلي

أكد كارتر في لقائه مع السادات ، خلال زيارة الاخير الى الولايات المتحدة ، على ضرورة بذل اقصى الجهود الممكنة من أجل السلام خلال العام الحالي ، وقال : « ان الامر سوف يتعذر في العام المقبل والعام الذي يليه » . والسؤال هنا ، هل هذه الاشارة من كارتر تعني ان النصف الثاني من العام الحالي سيشهد البداية في وضع ترتيبات واجراءات عملية لمزيد من الخطوات نحو تسوية الصراع مع العدو الصهيوني ، أم ماذا ؟

يبدو ان الرئيس السادات وعربا اخرين متفائلون بالوصول الى نتيجة ، تختم « تحركهم السلمي » بما يرضي « تطلعاتهم » . ويبرر السادات تفاؤله هذا بوجود علامات مشجعة كثيرة في الموقف الاميركي ، عبر عنها كارتر مؤخرا ، والتي من ابرزها اشارته الى وجوب « ان يكون هناك وطن قومي للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا سنوات كثيرة جدا » . وهي الاشارة التي وردت في خطابه الذي القاه في بلدة كلينتون في اذار ( مارس ) الماضي .

ولكن ، هل هذه الاشارة الغامضة والمبهمة جدا ، تجعلنا ندفن رؤوسنا في الرمال ولا نرى حقيقة الموقف الاميركي والسلام الذي تريده اميركا ؟

لقد تلقف كثيرون اشارة كارتر هذه ، واتخذوها دليلا على ان « تغييرا ما » طرأ على الموقف الاميركي من المسألة الفلسطينية . وتنبأوا ان يكون لهذا « التغيير » نتائجه الواضحة على مسيرة التسوية خلال الفترة القادمة . وافتوا ، ان ابرز هذه النتائج لن يكون فقط ، تناول المسألة الفلسطينية في خطوات تسووية قادمة بل وايضا ، دخول المسألة الفلسطينية مسار التسوية باعتبارها اساس الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وباعتبارها قضية شعب ووطن .

وعلى الرغم من ان النتائج التي اسفرت عنها زيارة السادات الى الولايات المتحدة جاءت لتثير الكثير من الشكوك حول تفاؤل وتنبؤات هذا البعض من العرب ، فأن موجة التفاؤل لا تزال تجد من يروج لها ، فالسادات كان حريصا في تصريحاته الصحفية بعد انتهاء زيارته ، على تبديد اي شعور بخيبة الامل من زيارته . واوضح ان محادثاته كانت « مثمرة وايجابية » في حين ان كثيرا من المصادر اشارت الى أن السادات لم يحصل على اي جواب محدد للاسئلة التي

اثارها ، وللطلبات التي تقدم بها · فكارتر كان متشددا في التأكيد على المفهوم الاميركي للسلام ، وهو السلام الذي يقوم على الحدود المفتوحة بين الدول العربية و « اسرائيل » وعلى حدود اسرائيلية يمكن الدفاع عنها · كذلك فقد كان كارتر حريصا جدا على ان يبقي مفهومه للوطن الفلسطيني غامضا ومبهما جدا ، سواء من الناحية الجغرافية ـ اين يكون هذا الوطن ـ او من الناحية السياسية ـ الجهة التي تقرر انشاء هذا الوطن وتعتبر مسؤولة عنه ـ اضافة الى ذلك فان جودي باويل ، الناطق الصحفي باسم البيت الابيض ، كان واضحا في تصريحه الذي ادلى به تعقيبا على تصريحات السادات حول الموقف الاميركي من منظمة التحرير الفلسطينية ، عندما اكد « ان الولايات المتحدة لا تزال ترى انه لا يمكن منظمة التحرير الفلسطينية ان تضطلع بدور بناء في محادثات السلام الخاصة بالشرق الاوسط ما دامت ترفض الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود » وقال « ان وجهة نظر الولايات المتحدة الاميركية من منظمة التحرير الفلسطينية لم تتغير »·

لقد حاول السادات خلال زيارته ان « يبيع » كارتر **معادلة فلسطينية ـ اردنية** « لتسهيل » مسألة التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف · بحيث تقوم علاقات خاصة ورسمية بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الاردني قبل عقد مؤتمر جنيف ، وتكون محصلة هذه العلاقات ، ان لا يجري بحث مسألة الكيان الفلسطيني الا بارتباط هذا الكيان مع النظام الاردني ، جغرافيا وسياسيا · وبهذا يمكن الاقتراب كثيرا من المعادلة الاسرائيلية لحل المسألة الفلسطينية · وفيما يتعلق بطبيعة التسوية ، فقد اوضح السادات استعداد بلاده لاجراء تعديلات طفيفة في الحدود ، ولاقامة علاقات عربية ـ اسرائيلية تنمي احتمالات التعايش المشترك والحدود المفتوحة ، وصولا الى تعايش طبيعي خلال عقد من السنين او اقل ·

ولكن على الرغم من كل هذه التنازلات ، فقد عاد السادات من زيارته « بخفي حنين » · عاد دون ان يحصل الا على وعود باحتمال بيع مصر اسلحة اميركية غير متطورة، ليس لدعم قدراتها العسكرية في مواجهة التفوق العسكري الاسرائيلي بل لمواجهة الوجود السوفياتي في افريقيا · والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا هو ، لماذا لا تتجاوب اميركا مع مبادرات السادات « السلمية » ؟ لماذا تبدو اميركا واسرائيل متصلبتين كلما بدت مرونة عربية او تراجع عربي ؟ اين يكمن الخلل في هذه المعادلة ؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة لا بد من التأكيد على ان هذه النتيجة لم تكن مفاجأة ، وكان التقدير منذ البداية ، ان المسار العربي نحو التسوية كما وضح بعد حرب تشرين « اوكتوبر » لن يؤدي في النهاية الا الى التسليم بالشروط الاسرائيلية ـ الاميركية للتسوية ، اذا كان لا بد من اتمام هذه التسوية ، لانه مسار افقد العرب الكثير من قدرتهم على المبادرة ، ودفعهم الى المراهنة على عامل وحيد اوحد ، وهو الدور الاميركي ، واسقاط ادوار كل القوى الاخرى الداخلة

في هذه التسوية ، او ذات التأثير فيها ★ · فالتسوية ، اية تسوية، قبل ان تقر وترسم معالمها وحدودها ، هي شكل من اشكال الصراع ، لانها تقوم بين اطراف هي بالاساس متصارعة ، وتهدف اما الى تهدئة هذا الصراع او انهائه ، بحلول مؤقتة او دائمة · وبما ان التسوية شكل من اشكال الصراع ، فانها لا تكون الا انعكاسا لموازين القوى بين اطراف الصراع · وخلال البحث عن الحلول او اشكال التسوية ، يحاول كل طرف ان يؤثر في موازين القوى السائدة بما يكفل له تسوية أفضل ، ولكن مدى تأثير اي طرف ، لا تتحكم فيه قدرة هذا الطرف او ذاك على المناورة ، بل تتحكم فيه القوى الفعلية ـ المادية ـ التي يمثلها كل طرف على ارض الصراع · ذلك ان ما يحد قدرة اي طرف على المناورة ، هي القوى التي يملكها ويستطيع التأثير بها، وهامش المناورة يضيق او يتسع امام اي طرف، بقدرته على استخدام ما يملكه من قوى · فالاستخدام الفعال والناجع للقوى يعطي مجالا للمناورة اوسع ، في حين ان الاستخدام الخاطىء ، والناجم عن السياسات الخاطئة والتقديرات غير الصحيحة يضيق من مجال المناورة ، لانه يجرد هذه القوى من امكانات فعلها الحقيقية · وعلى ضوء ذلك يمكن ان نفسر لماذا بدأت « استراتيجية السلام » العربية تفقد قدرتها على الفعل ، وتكاد تصبح استسلاما لاستراتيجية الطرف الاخر ، اي العدو ·

## « استراتيجية السلام » العربية ·

قامت « استراتيجية التسوية او السلام » العربية بعد حرب حزيران « يونيو » ١٩٦٧ على ركيزتين اساسيتين وهما : انسحاب اسرائيل الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧، وعدم التفريط بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني · وعلى الرغم من ان هذه الاستراتجية كانت بمثابة انقلاب على الاستراتيجية العربية في مواجهة العدو الصهيوني ، فانها شكلت مدخلا للتعامل مع النتائج التي اسفرت عنها هزيمة حزيران · وهو مدخل كان يبدو متلائما وامكانات ومواقف القوى الطبقية السائدة عربيا ، على رغم انه كان لا يرضي الطموحات الوطنية للقوى الطبقية خارج السلطة في البلدان العربية ·

وحتى حرب تشرين ، كانت كل المنافذ مغلقة لوضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ ، سلميا ، اي بوسائل سلمية · لقد اصطدم التحرك السلمي العربي ، بالتعنت الاسرائيلي وباللامبالاة الاميركية · فكانت حرب تشرين التي اراد لها منفذوها ان تفتح المنافذ المغلقة امام « استراتيجية السلام » العربية · ولقد افرزت حرب تشرين معطيات جديدة ، جعلت بالامكان اخراج التسوية من الطريق المسدود · فحرب تشرين كانت في احد جوانبها او مظاهرها ، تعبيرا عما للقوة العربية الكامنة من فعل ، في وقت كانت تنظر اليها اسرائيل واميركا ، باعتبارها

★ انظر مقالينا عن المسألة الفلسطينية والتسوية في شؤون فلسطينية، العددين، ٥٦و٦١.

قوة مجمدة وغير قادرة على الفعل ٠

ولكن ، يبدو لنا الان ، وبعد مرور ما يزيد عن ثلاث سنوات على حرب تشرين ، ان « استراتيجية السلام » العربية تقف امام المأزق من جديد ، وتواجه احد خيارين : أما مواجهة طريق التسوية المسدود بالبحث عن مخرج بوسائل عسكرية ، اي بالحرب ، أو بالخروج عن المسار العربي للتسوية ، والسير في مسار التسوية الاميركية ـ الاسرائيلية ٠

ويبدو لنا أن « عرب التسوية » يحاولون اغماض أعينهم عن رؤية هذا المأزق، ويراهنون على عدم الوقوع في مأزق احد الخيارين بالسير على حديهما، اي المناورة بخيار الحرب لفتح المنافذ المغلقة امام التسوية ٠ ولكن ، كما يبدو لنا ، فأن المناورة بخيار الحرب ، اي باحتمال اللجوء الى الحرب للخروج من « طريق السلام المسدود » ، باتت مناورة مكشوفة جدا ، بعد ان فقد « عرب التسوية » الكثير من اوراقهم الضاغطة ووضعوا كل بيضهم في السلة الاميركية ٠ وما يؤكد استنتاجنا هذا ، اقدام السادات مؤخرا على « تشذيب » الموقف العربي ، وقص اذرعه ، ليكون اقرب الى حجم القالب الاميركي ـ الاسرائيلي ، وذلك لتجنب الوقوع في مأزق خيار اللجوء الى الحرب كأمر لا بد منه ٠

غير ان هذا الموقف ـ الساداتي لن يحول دون مواجهة المأزق واللجوء الى احد الخيارين للخروج من الطريق المسدود ٠ لان هذا الموقف قد يعطي لصاحبه مجالا للحركة والمناورة فترة سنة او سنتين على اكثر تقدير ، او يتولد عنه حلول جزئية، ولكن لا يمكن الاستناد اليه كأساس للوصول الى تسوية سياسية شاملة ٠ ولهذا فاننا نقدر أن المأزق الذي يحاول « عرب التسوية » أغماض اعينهم عن رؤيته، سيكون من الوضوح خلال السنتين القادمتين ، بحيث لا يمكنهم تجنب رؤيته ٠

نقول ذلك ، على الرغم من كل ما يشاع حولنا من تفاؤل عن قرب الوصول الى تسوية شاملة او شبه شاملة ، لاننا نرى ان البدايات التي انطلق منها العرب منذ حرب تشرين حتى الان ، لوضع استراتيجيتهم السلمية موضع التنفيذ كانت بدايات خاطئة ، وقامت على تقديرات مغلوطة ٠ وهي تقديرات ـ لا نشك لحظة ـ انها تجد اصولها ومدلولاتها في طبيعة القوى الطبقية السائدة عربيا ، اي القوى الطبقية التي في مواقع الحكم والسلطة ٠ فالمقتل في هذه الاستراتجية هي اعتبار العرب ان اميركا تشكل مركز الثقل فيها ٠ لقد بنوا كل استراتيجيتهم على ان اميركا هي « مفتاح السلام » في المنطقة لانها تملك ٩٩٪ من اوراق اللعبة ، وذلك على حد ما يكرر الرئيس السادات دائما ٠ وبالتالي فان « السلام » او عدمه ، مرهونان في النهاية بالموقف الاميركي ٠ فأن شاءت اميركا كان هناك سلام ، وان لم تشأ ، فلن يكون هناك سلام ٠

وعلى الرغم مما في هذا القول من سذاجة وتبسيط لا حد له للامور ٠ فاننا نرى انه وليد تفكير قوى طبقية معينة ، وهي القوى الطبقية التي نمت خلال السنوات

العشر الماضية في اكثر من بلد عربي ، واستطاعت ان تتربع على السلطة في هذه البلدان ، دافعة ، من خلال تربعها على السلطة ، حلولها للمسألة الوطنية بما يتلاءم ومصالحها الطبقية الضيقة ٠

فالى ما قبل السبعينات ، كان الصراع مع العدو الصهيوني لا يرى الا مترابطا مع الصراع ضد الامبريالية ، وبشكل خاص الامبريالية الاميركية ٠ وذلك على اساس ان اسرائيل ليست الا امتدادا امبرياليا في الوطن العربي ، وان الترابط بين اسرائيل والامبريالية ، ليس ترابطا في المصالح فقط ، بل هو ترابط عضوي ، باعتبار ان اسرائيل جزء من الامبريالية العالمية ومخفر امامي لها ٠

وفي بداية السبعينات ، طرحت القوى الطبقية السائدة عربيا ، تحليلا للعلاقةبين اسرائيل والامبريالية الاميركية ، ينفي عن الاخيرة صفة العدو ، ويحصر «العداء» بالعدو الصهيوني فقط ٠ وعليه فقد « اجتهدت » هذه القوى للتأثير على العلاقة الوطيدة بين اسرائيل واميركا ، بان يقترب العرب من « الاميركان » ، وان يكونوا هم الحامون لمصالحهم والمدافعون عنها ٠ اي ان يلتف العرب على اسرائيل ، بان يكونوا هم اقرب الى « الاميركان » من اسرائيل نفسها ٠

وكتعبير عن هذه السياسة ، فقد جرت في عدة بلدان عربية ، تغييرات سياسية واقتصادية ، باتجاه الاقتراب من اميركا ٠ ولا شك ان اخر هذه التغييرات او ابرزها ، لن يكون فقط ، التوجه الى اميركا لتكون المزود الرئيسي للسلاح لعدد من الدول العربية ، ومنها دول عربية مواجهة لاسرائيل ، بل ستشمل هذه التغييرات امورا اخرى ، ومنها ما اشيع مؤخرا عن عزم مصر على ارسال جنود الى زائير ، للقتال ضد ما يسمى التغلغل السوفياتي في افريقيا ٠

ان جملة هذه التغييرات التي طرأت على عدد من البلدان العربية ، وبشكل خاص مصر ، كانت تعبيرا عن الاستجابة للمصالح الاقتصادية للقوى الطبقية السائدة في هذه البلدان ٠ فهذه القوى التي نمت في البداية كقوى رأسمالية طفيلية، وغدت الان القوى المهيمنة اقتصاديا وسياسيا ، بفعل ما تراكم لديها من رأسمال، لا تجد تعارضا بينها وبين الامبريالية ، بل تجد ان مصالحها تكمن في قيام علاقات وطيدة معها ٠ ولكن ما يؤثر على قيام هذه العلاقات الوطيدة هو المسألة الوطنية٠ وبدون حل هذه المسألة تبقى علاقاتها مع الامبريالية مهددة ٠ ولذا لا بد من حل هذه المسألة حتى تضمن هيمنتها الكلية والكاملة في الداخل ، وحتى تنمي علاقاتها مع الامبريالية بدون خوف ٠ ومن هنا برزت **المعضلة ـ الازمة** ٠ فهذه القوى لم تعد قادرة على حل المسألة الوطنية بالاندفاع نحو مواجهة العدو الصهيوني ، لان مواجهة كهذه ، تعني في جملة ماتعنيه ، ضرب علاقاتها مع الامبريالية الاميركية، وهو امر لا يتفق مع مصالحها الاقتصادية ومجمل توجهاتها السياسية ٠ وفي نفس الوقت فان اميركا غير قادرة على ان توفر لها حلا للمسألة الوطنية لا يخدش « كبرياءها » الوطني ٠ وللخروج من هذه الازمة ـ المعضلة ، وضعت هذه القوى

كل ثقتها في اميركا لايجاد حل ، باعتبارها القابضة على ٩٩٪ من اوراق اللعبة · فان فشلت اميركا ، فيكون الفشل لها وليس لهذه القوى ، كما عبر عن ذلك السادات مؤخرا ·

واميركا التي لا تخفي « اعجابها » بهذه الثقة ، تبدو تواقة وحريصة ، على ايجاد حل لهذه الازمة ـ المعضلة · فهي تبدو مرتاحة لما يجري من تغييرات في البلدان العربية لصالحها ، ولكنها لا تبدو مطمئنة الى ان القوى القابضة على الحكم في هذه البلدان، قادرة على الاستمرار فترة طويلة بما يضمن لها مصالحها، ويجنبها الهزات الاجتماعية التي تلوح نذرها ، والتي كانت الانتفاضة الشعبية في مصر احد التعبيرات الاولية عنها · فما هو المخرج ، وكيف الحل ؟

## كارتر : سلام شامل على مراحل

لقد كانت سياسة « الخطوات الصغيرة » التي ابتدعها كيسنجر ، نوعا من « المخدر » الاميركي لتهدئة الصراع العربي ـ الاسرائيلي وتفكيك الالغام الموقوته المزروعة على جنبات وفي قلب هذا الصراع ، كما كانت سياسة استهدفت زرع المزيد من الاوهام حول الدور الاميركي في تحقيق « السلام » ودفعا للمزيد من التغييرات في البلدان العربية باتجاه اميركا · والان وامام استنفاد « الخطوات الصغيرة » اغراضها، لا بد من سياسة تبقي الخيوط في اليد الاميركية ، وتبقي « العربات » العربية مشدودة الى الثور الاميركي ·

لقد عبر زبغنيو بريجزنسكي ، عن هذه السياسة عندما طرح **سياسة الحل الشامل على مراحل** ، وهي سياسة تختلف من حيث الشكل عن سياسة الخطوات الصغيرة ، ولكنها لا تختلف عنها من حيث المضمون والنتائج · وقد تبنى كارتر هذه السياسة وعبر عنها في تصريحاته الاخيرة خلال شهر اذار ( مارس ) الماضي (تصريحات كارتر عن الحدود الدفاعية والحدود السياسية لاسرائيل، وتصريحاته عن الوطن القومي الفلسطيني ) · ★

ومجمل هذه السياسة يقوم على اساس انه ليس بالامكان الوصول الى حل شامل الان ، وخلال فترة قصيرة ، وانه لا بد من مرور عدة سنوات ( ثماني سنوات او اكثر ) للوصول الى هذا الحل · ولكن لا يمكن انتظار هذه السنوات دون حل، فلا بد اذن من حلول مرحلية ، وهي حلول تختلف عن سياسة الخطوات الصغيرة · غير ان ما يعقد الوصول الى مثل هذه الحلول المرحلية هو تخوف اطراف الصراع من طبيعة الحل الشامل ومحتواه ، فكل طرف يخشى ان يخسر في الحل المرحلي

---

★ انظر نص هذه التصريحات كاملة في جريدة **تشرين** بتاريخ ١٦ـ٣ـ١٩٧٧ ، وفي جريدة **النهار** بتاريخ ١٩ـ٣ـ١٩٧٧ ·

اوراقا تفقده القدرة على التحكم في الحل الذي يلي · ولمواجهة هذه العقدة · لا بد للاطراف ان تتفاهم او تتفق على صورة الحل الشامل اولا ، ثم تجزىء هذا الحل الى مراحل · العرب يريدون الارض ، واسرائيل تريد السلام · فيجري التقايض بقطعة من الارض مقابل قطعة من السلام · والسلام الشامل او النهائي سيكون مقابل الارض المحتلة في العام ١٩٦٧ مع تعديلات طفيفة في الحدود · وهذه التعديلات كما عبر عنها مصدر اميركي قد تكون بعمق ١٠ـ١٥ كم ؟!

ولقد طرح كارتر تصور اميركا للحل الشامل هذا ، تاركا مرحلة هذا الحل واشكاله للتفاوض ، وابرز ما في هذا الحل ان مفهوم اميركا للسلام هو المفهوم الاسرائيلي نفسه ، اي حدود مفتوحة ، وحدود يمكن الدفاع عنها ، على ان تعود اسرائيل الى حدودها السياسية المتفق عليها تفاوضيا ، عندما يتم الوصول الى السلام النهائي ، اي عندما تقيم الدول العربية علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وسياسية مع اسرائيل · وفيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، فقد اعلن كارتر وجوب « ان يكون هناك وطن قومي للاجئين الفلسطينيين » ولم يحدد اين وكيف يقام هذا الوطن ، الا ان الفقرة الملحقة بهذا القول تجعل بالامكان تفسيره بانه يعني بالوطن الفلسطيني ، ارضا اخرى غير فلسطين ، والارجح انها الاردن، حيث يشير كارتر في كلامه بعد الوطن الفلسطيني الى ان « السبيل الصحيح لحل المشكلة الفلسطينية ، هو ان تكون المعالجة اولا من قبل الدول العربية · ثم من قبل الدول العربية المفاوضة لاسرائيل » اي انه اعتبر المسألة الفلسطينية مسألة عربية، ونفى عنها كونها الاساس في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، كما نفى عنها كونها الاساس في اية تسوية · واسقط عن الشعب الفلسطيني حقه في الانتماء الى ارضه ووطنه ·

ونحن لا نرى في هذا المشروع الاميركي الا مشروعا اسرائيليا ـ معدلا بعض الشيء ـ وبلافتة اميركية · وهو مشروع لا يرضي حتى الحد الادنى من مطالب « عرب التسوية » · ويسقط كليا الحد الادنى من المطالب الوطنية الفلسطينية ، اي اقامة الدولة الوطنية الفلسطينية على ارض فلسطين · فهل ينجرف « عرب التسوية » الى القبول بهذا المشروع كأساس للتسوية ، مدفوعين اليه برغبتهم في الخروج من المأزق الذي بات يحاصرهم ؟

لقد ارتفعت بعض الاصوات العربية لتزيين المشروع الاميركي ، بتجاهل سلبياته والتركيز على « ايجابياته » · وكما قال دبلوماسي مصري ، فلنركز على النقاط « الايجابية » في الموقف الاميركي ، ولنترك السلبيات او ما لا نوافق عليه الى المفاوضات والاتصالات الثنائية · وواضح جدا ان « اجتهادا » كهذا لا ينم الا عن رغبة قوية في التلاقي مع الموقف الاميركي ، ولو على حساب الحد الادنى من مطالب « عرب التسوية » ·

ولكن ، هل التلاقي مع المشروع الاميركي يخرج « عرب التسوية » من مازقهم

ويدفع باحتمالات نجاح الوصول الى تسوية سياسية شاملة ؟

لا نرى فيما يسود حولنا من اوضاع ، محليا وعربيا ودوليا ، ما يشجعنا على الاجابة بنعم ، حتى ولا نعم بتحفظ ، بل نرى ان الاوضاع السائدة تبشر بازدياد الصراع وارتفاع حدته خلال السنوات القادمة بشكل يدفع الى الخلف باحتمالات الوصول الى تسوية ، ويدفع الى الامام اكثر باحتمالات الحرب والثورة للخروج من المأزق · **واحتمالات الحرب لن تكون وليدة مواقف القوى الطبقية السائدة عربيا ، بل ستكون ـ الى حد كبير ـ وليدة مواقف القوى الطبقية ، من عمال وفلاحين وشغيلة وبورجوازية وطنية ، وهي القوى التي اخذت تتلمس طريقها بقوة اكبر في اكثر من بلد عربي ، للخروج من مازق « الانظمة » بالثورة ·**

ولا نقول ذلك كتمنيات ، بل نراه واقعا نعيشه ، ومؤشرات تطل برأسها على اكثر من صعيد ، وتسقط معها الكثير من الاوهام حول الدور الاميركي الوحيد والاوحد والارتهان الى اميركا « التي تملك ٩٩٪ من اوراق اللعبة » · **فاميركا** ، على الرغم مما حققته من مكاسب خلال السنوات الاربع الماضية في منطقتنا ، ليست هي صاحبة القرار الاول والاخير في المنطقة كما يروج « عرب التسوية » بل نجد على العكس من ذلك ، ان التحرك الاميركي بات يصطدم باكثر من عقبة ، وهو اصطدام يبشر بحدوث تغييرات كبيرة في موازين القوى السائدة محليا خلال السنوات القادمة لصالح القوى المناهضة للامبريالية الاميركية · فسياسة الانفتاح الاقتصادي التي راجت مع الانفتاح على اميركا والتلاقي معها ، سقطت وزادت في تفاقم الازمة الاقتصادية ـ الاجتماعية في البلدان العربية التي انتهجت هذه السياسة · وليس بمقدور اميركا ـ مهما تنوعت مساعداتها ـ ان تنقذ هذه البلدان من ازمتها · وتفاقم الازمة الاقتصادية ـ الاجتماعية فاقم من حدة التناقضات الطبقية في هذه البلدان ، بشكل ادى الى نمو النضالات الجماهيرية وطنيا واجتماعيا · اضافة الى ذلك ، فان ما يزيد من حدة هذه التناقضات ، ادراك اوسع الجماهير عجز « انظمة التسوية» عن حل المسألة الوطنية· فالمشروع الاميركي الاخير لا يقدم حلا سريعا لهذه المسألة ، اضافة الى انه يطرح حلا لا وطنيا لها ، وهو حل يتعارض مع الحد الادنى من المطالب الوطنية للجماهير العربية· وتبرز اهمية هذا التعارض مع التحرك السوفياتي النشط ازاء قضايا التسوية والصراع العربي ـ الاسرائيلي · **فالاتحاد السوفياتي** بات اكثر دعما للموقف الوطني الفلسطيني من اي فترة مضت كما تأكد ذلك بعد زيارة الاخ ابو عمار الاخيرة للاتحاد السوفياتي · كذلك فان الاتحاد السوفياتي يبدي موقفا اكثر تصلبا وتشددا ضد الابتزاز السياسي الاميركي على الصعيد الدولي · ولا شك ان الموقف السوفياتي النشط والمتشدد، سيجعل من الصعب جدا على الولايات المتحدة ، ان تنفرد باخراج حلول للصراع العربي ـ الاسرائيلي كما تريد وتتمنى ·

واذا اضفنا الى كل ذلك ، **المسارات المحتملة للموقف الاسرائيلي** خلال الفترة

القادمة ، على ضوء ما يجري من تطورات ، على الصعيد الاسرائيلي وعلى الصعيدين العربي والدولي ، نخرج بنتيجة مؤداها ، ان التسوية الشاملة بعيدة، وبعيدة جدا ، حتى ولو عقد مؤتمر جنيف خلال النصف الثاني من العام الحالي ·

فأسرائيل لا تبدو مستعدة خلال هذه الفترة **للخروج من اطار سياسة اللاقرار الى قرار بخطوة كبيرة نحو التسوية** · واذا كان احتمال خروج الموقف الاسرائيلي من اطار سياسة اللاقرار ممكنا قبل استقالة رابين ، فانه ، بتقديرنا ، ليس ممكنا بعد استقالته وتسلم شمعون بيريز زعامة حزب العمل · ليس لان شمعون بيرس من « الصقور » ورابين من « الحمائم » كما يشاع او يقال ، بل لان الانتخابات الاسرائيلية القادمة ، سينجم عنها ـ بتقديرنا ـ تغيير ليس بسيطا في خارطةالقوى السياسية داخل اسرائيل ، فقوة حزب العمل ستتأثر ، وسيعود الحزب الى الكنيست اضعف مما كان سابقا · ولذا فان عودته للحكم سيكون ثمنها الائتلاف مع قوى سياسية اسرائيلية يختلف معها ـوان بحدودـ حول التسوية وشروطها · ولن يقوم ائتلاف كهذا الا على قاعدة « التصلب والتعنت » ازاء الموقف العربي ، وهذا الوضع سيجعل اي حكومة اسرائيلية قادمة عاجزة عن اتخاذ قرار ، مما يضطرها الى الاختفاء وراء سياسة اللاقرار لاستمرار الائتلاف واستمرارها في الحكم · ونحن **لا نستبعد ان ينتج عن هذا الوضع سلسلة من الازمات الوزارية ، والتي قد تدفع في النهاية اسرائيل الى تصعيد نغمة الحرب والتهديد بها ، وربما اللجوء اليها كمخرج من ازمتها السياسية** ·

## صلابة الموقف الوطني الفلسطيني

على ضوء كل ذلك ، كيف ننظر الى قرارات المجلس الوطني في دورته الثالثة عشرة ( دورة الشهيد كمال جنبلاط ) التي عقدت مؤخرا ؟ وأين نحدد موقع هذه القرارات في مسار الاحداث ·

لقد راجت تكهنات كثيرة قبل انعقاد المجلس الوطني ، بأن تغييرات كبيرة ستطرأ على الموقف الفلسطيني ، وأن ابرز هذه التغييرات سيتناول تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني ، بشكل يمهد للاعتراف باسرائيل والقبول باقتسام الوطن الفلسطيني بين اسرائيل والشعب الفلسطيني · ولقد جاءت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني لتستبعد كليا تكهنات كهذه ، ولتؤكد من جديد على الموقف الوطني الفلسطيني على الرغم من كل الضغوطات التي مورست لصدور قرارات « معتدلة » ، تنسجم مع التحرك السياسي العربي العام ازاء التسوية · والقرارات التي صدرت تتعامل مع الوقائع المحيطة بنا واحتمالات تطورها خلال الفترة القادمة **بصلابة مرنة** · فقد أكدت القرارات التزام الموقف الفلسطيني بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني كما جرى التعبير عنها بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٣٢٣٦ للعام ١٩٧٤ ، كما

اكدت حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني ، من خلال منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثلة الشرعية والوحيدة للشعب الفلسطيني ٠

وهذا الموقف يتعارض ويصطدم مع التحرك السياسي الاميركي ـ الاسرائيلي ، والعربي ـ الى حد ما ـ ازاء المسألة الفلسطينية ٠ فالموقف الاميركي ـ الاسرائيلي يسعى الى تغليب المسار الاردني كأطار لحل المسألة الفلسطينية ،ويلقى هذا الموقف قبولا ـ بحدود ـ من بعض الانظمة العربية ، ولا سيما مصر التي ما فتئت تؤكد على ضرورة وجود ارتباط رسمي ومعلن بين النظام الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية قبل عقد مؤتمر جنيف، بحيث يكون الكيان الفلسطيني الذي يمكن أن يخرج من « رحم » التسوية جزءا من الاردن ، كما أوضح ذلك السادات خلال لقائه مؤخرا مع كارتر ٠ وتقديرنا ، ان هذا الموقف ليس الا مقدمة « لتنفيس » الموقف الوطني الفلسطيني وافراغه من مضمونه الوطني ، لانه يشكل عودة الى مشروع المملكة العربية المتحدة كما طرحت في العام ١٩٧٢ ٠

ونحن لا نعدم وجود بعض الاصوات الفلسطينية ، التي تحاول الاستناد الى « حقائق » الديموغرافيا والجغرافيا لتبرير مثل هذا الارتباط ٠ وهنا لا بد من التأكيد ان هناك فرقا واضحا وبينا ، بين حقائق الديموغرافيا والجغرافيا التي تفرض اعادة وحدة الشعبين ، الفلسطيني والاردني ، على أسس وطنية وديموقرطية ، وبين حقائق الديموغرافيا والجغرافيا التي يستند اليها البعض لتفريغ الموقف الفلسطيني من محتواه الوطني ، وجره الى مواقع الالحاق السياسي ٠ ولا شك بأن هذه النقطة ستشكل أحدى أبرز نقاط التعارض والتصادم بين الموقف الوطني الفلسطيني والتحرك السياسي العربي العام ازاء التسوية ٠ ولا نرى في الوضع السياسي القائم من حولنا ، ما يجعلنا نتهيب خوض الصراع حول هذه النقطة بما يؤكد الموقف الوطني الفلسطيني ٠

ونقاط التصادم الاخرى لن تكون اقل شأنا أو اهمية من هذه النقطة ، فشرعية ووحدانية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية كما أقرت بذلك قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط في العام ١٩٧٤ ، يحاول بعض العرب الالتفاف عليها وتفريغها من محتواها ، بأدخال « شركاء او وكلاء » عن المنظمة لتمثيل الشعب الفلسطيني ٠ كذلك تجري محاولات لضغط وقسر الوجود الفلسطيني في لبنان تحت مظلة تنفيذ اتفاقية القاهرة ، اضافة الى ما يجري من محاولات لاحداث شروخ في علاقات المنظمة ، كقائدة للشعب الفلسطيني ، مع جماهيرها في الارض المحتلة ، وفي الاردن تحديدا ٠

ان كل هذه المحاولات تجري تحت مظلة « تسهيل التمثيل الفلسطيني » في مؤتمر

جنيف ، حتى لا يتحـول الموقف الفلسطيني الى عقبة في طريق التسوية او فـي عقد مؤتمـر جنيف · ولكـــن التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف ، لا يمكـن ان يكون عـلى حساب الموقف الوطني الفلسطيني ، بل يجب ان يكون دعـمـا لهذا الموقف وتكريسا لـه ·

ان صراع الارادات حول المسألة الفلسطينية لا يزال هو السمة الابرز فيمـا يجري من احداث حول قضايا التسوية والصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وسيزداد هذا الصراع حدة خـلال الفترة القادمة ، وهو صراع سيكتسب مضاميـن أكثر ثورية مع التحركات التي تجري عـلى الارض العربية وبين الجماهير العربية ، لانه صراع يصب في المجرى العام لحركة التاريخ السائرة الى الامام ·

ان السنوات القادمة ستكون قلقة ، لا نشعـر ازاءها بأي خـوف ، لانهـا سنوات المخاض الذي يبشر بأشراقة قادمة ، اشراقـة الثورة التـي تقترب ، وسراب السلام الذي يبتعـد ·

# تدويل الأزمة اللبنانية : أغراضه وأبعاده واحتمالاته

الدكتور محمد المجذوب

في السابع من نيسان ( ابريل ) ١٩٧٧ ، وجهت « الجبهة اللبنانية » الى الملوك والامراء والرؤساء العرب نداء ( صيغ بأسلوب ادبي ، وتضمن غمزا من اكثر من قناة ) طالبتهم فيه باتخاذ تدبير عاجل لفرض « تنفيذ اتفاق القاهرة بالقوة »، ووضع حد « للتباطؤ والتردد والتمييع » ، لئلا تصبح « مسألة لبنان في حاجة الى معالجة غير هذه المعالجة » (١) ٠

وتساءل البعض عن المقصود بالجملة الاخيرة من النداء ، فأوضحه ، بعديومين اثنان من اقطاب « الجبهة » ٠ لقد سئل السيد كميل شمعون عن الاجراءات التي ستقوم بها « الجبهة » في حال عدم تطبيق اتفاق القاهرة ، فأجاب بان « هذا يتوقف ، الى حد بعيد ، على تصرف المنظمات الفلسطينية المسلحة ٠ اذا تصرفوا وكأنهم قبلوا بنصوص اتفاق القاهرة ، تكون الامور عادت الى نصابها ، والا يصبح الموقف دوليا ، ويصبح من الضروري عندئذ مراجعة الدول المسؤولة في مجلس الامن كي تتخذ التدابير الضرورية للمحافظة على سلامة لبنان وسلامة شعبه » (٢) ٠ وسئل الشيخ بيار الجميل عن الخطوات التي يمكن اتخاذها بعد صدور النداء ، فأجاب : « لقد اردنا ان نضع العرب في مستوى مسؤولياتهم ونلفتهم الى التزاماتهم نحو لبنان ٠٠٠ ونرجو الا نفقد الامل والثقة بقدرة الجامعة العربية لئلا نضطر الى اللجوء الى هيئات عالمية اخرى » (٣) ٠

فالمقصود ، اذن ، بالتحذير الذي ختمت « الجبهة » به نداءها هو التهويل او التهديد من جديد بفكرة التدويل ٠ ونقول « من جديد »، لانه سبق لاقطاب « الجبهة » أن لجأوا ، اكثر من مرة ، الى هذا الاسلوب خلال الاحداث الدامية واستخدموه كورقة ضغط لتحقيق اغراض معينة ٠

والعودة الى اثارة موضوع التدويل تطرح الاسئلة التالية :

١ ــ ما المقصود باصطلاح التدويل ؟

٢ ــ وما هي الاغراض الكامنة وراء التلويح بالتدويل ؟

٣ ــ وهل يحق للامم المتحدة ان تتدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء؟

٤ ـ وما هي السلطات المحلية او الدولية التي يحق لها التقدم بطلب التدويل؟

٥ ـ وهل من السهل بحث الازمة اللبنانية في الامم المتحدة ؟

★★★

## اولا ـ المقصود بالتدويل.

لاصطلاح « التدويل » ، في القانون الدولي العام ، معنى واضح ومضمون محدد · غير ان هذا الاصطلاح قد استعمل ، خلال الازمة اللبنانية ، للدلالة على مسألة سياسية خاصة · فالتدويل نظام ادارة تشترك فيه عدة دول ، بموجب اتفاقية دولية ، ويطبق على بعض المناطق او الاقاليم التي تكون موضع أطماع من قبل الدول الكبرى · فهذه الدول تعجز احيانا عن ابتلاع احد الاقاليم المتنازع عليها ، او تخشى تألب الدول الاخرى عليها فيما لو احتلت الاقليم بمفردها وضمته الى اراضيها ، فتختار اضمن المكاسب وتغري الدول الطامعة فيه بتقاسم الغنيمة · وبذلك يفصل الاقليم عن دولة الاصل ، وينقذ من مغبة الوقوع بين فكي دولة واحدة ، ويوضع تحت نظام ادارة دولية تشترك فيه عدة دول (٤) ·

وجميع الاقاليم التي خضعت لنظام التدويل في القرن العشرين استعادت اليوم حريتها وعادت الى حظيرة الدول التي سلخت عنها بالقوة · **فمرفأ دانتزج** ، أعيد الى بولونيا بعد الحرب العالمية الثانية · **ومنطقة طنجة** ، أعيدت الى الوطن الام ، في العام ١٩٥٦، بعد نيل المملكة المغربية استقلالها · **ومنطقة تريستا**، قسمت في العام ١٩٥٤ ، بين يوغوسلافيا وايطاليا · **ومقاطعة السار** ، ضمت ، في العام ١٩٥٥ ، الى المانيا الاتحادية ، بعد اجراء استفتاء فيها · **ومقاطعة ايريان الغربية** التي تشكل نصف جزيرة غينيا الجديدة ، اعيدت الى اندونيسيا في العام ١٩٦٩ (٥) ·

والتدويل ، في القانون الدولي العام ، لا يشمل الا جزءا من اقليم الدولة وليس الدولة بكاملها ، فالدولة المستقلة لا تدول ، اي لا تخضع للتدويل · وليس المقصود بالتدويل الذي دعت اليه « جبهة الكفور » سابقا ، و « الجبهة اللبنانية » حاليا ، تدويل الدولة اللبنانية ، اي اخضاع لبنان ، السيد المستقل ، لنظام ادارة دولية باشراف الدول الكبرى ، فمجرد التفكير في هذا الامر ( ولو تمناه البعض في لحظة انهيار او ضياع او انحراف ) هو ، في رأينا ، خيانة وطنية · ان المقصود بالتدويل هو تدويل الازمة اللبنانية ، اي نقل الازمة الى منظمة الامم المتحدة وعرضها على اجهزتها المختصة ومحاولة انتزاع قرار منها لصالح انصار التدويل (٦) ·

## ثانيا ـ التدويل تكتيك وتهويل

طرح اليمين اللبناني ، منذ بداية الازمة اللبنانية ، شعار التدويل واخذ يلوح به مهددا ، كلما وجد نفسه في مأزق ، او كلما شعر بهبوب الرياح ضده • ولم تخل التصريحات والبيانات الفردية الصادرة عن زعمائه ، في معظم الاحيان ، من اشارات وتلميحات الى التدويل •

وفي اول الصيف الماضي ، تحركت « جبهة الكفور » وهددت بطلب التدويل ، فندد المنظمات الوطنية بهذا الاسلوب الابتزازي ووصفته بالمؤامرة التي ترمي في النهاية الى فرض التقسيم • وكان الرائد عبد السلام جلود ، رئيس الوزراء الليبي ، يقوم آنذاك بمساع حميدة في بيروت ، فانفعل عندما بلغه حديث التقسيم والتدويل وصرح في أحد مؤتمراته الصحافية « بان هناك ثلاث قضايا نقاتل من أجلها بصورة انتحارية ••• هي حماية الثورة الفلسطينية ، ورفض التقسيم ، ورفض التدويل » (٧) •

وعبرت حكومة الرئيس رشيد كرامي ، في مناسبات مختلفة ، عن رفضها لفكرة التدويل • ففي النداء الذي وجهه الرئيس كرامي الى رؤساء حكومات السعودية والكويت ومصر وسوريا ، بمناسبة اجتماعهم في الرياض في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٦ ، قال :« اننا نرفض رفضا قاطعا فكرة التدويل التي يلوحون بها ••»(٨) • ويبدو ان رئيس الجمهورية ( سليمان فرنجية ) كان قد صمم ، في تلك الفترة، على التهويل بالتدويل فعهد الى المندوب الدائم للبنان لدى الامم المتحدة ( ادوار غرة) بالترويج لهذه الفكرة، مما اضطر رئيس الحكومة، بصفته وزيرا للخارجية بالوكالة ، الى الاعتماد على دبلوماسي لبناني آخر ( يحيى المحمصاني ) لمجابهة الفكرة في المنظمة العالمية وتوضيح موقف الحكومة اللبنانية منها •

وعندما عقدت الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ( جناح بدوي ابو ديب ) ، في نهاية حزيران ( يونيو ) ، مؤتمرا في عاصمة الاكوادور ، استغلت « الجبهة » هذه المناسبة وأوحت الى المسؤولين عن المؤتمر بوجوب اصدار توصية بمباركة التدويل ، فصدرت التوصية الاولى وهي تتضمن « ارسال برقية الى رئيس مجلس الامن الدولي وامين عام الامم المتحدة وكل من رؤساء الدول الاميركية يعلن فيها المؤتمر رفضه لقوات سلام اقليمية او فئوية أو ضالعة ••• وان الهيئة الوحيدة الصالحة والمحايدة التي في استطاعتها القيام بذلك والحفاظ على سيادة لبنان هي مجلس الامن » (٩) •

ولم يدع اركان « الجبهة » مناسبة تتعلق بالامم المتحدة الا وانتهزوها لتوجيه اللوم الى المسؤولين فيها بسبب عدم اكتراثهم بما يجري في لبنان • ففي ٦ تموز ( يوليو ) ، سئل رئيس حزب الوطنيين الاحرار عن رأيه في العمل الذي ارتكبته اسرائيل في مطار عنتبة الاوغندي ، فسارع الى ابداء استغرابه لتصرفات

مجلس الامن الذي كرس لهذه المسألة عدة جلسات ، كما خصص دورة كاملة للنظر في الخلافات العربية ، دون ان يبدي اي اهتمام حتى الآن بالازمة اللبنانية. واعتبر هذا الموقف دليلا « على فقدان الضمير الدولي وقصر نظر الامين العام للامم المتحدة » (١٠) .

وفي ٦ تموز ( يوليو ) ، تخلت « جبهة الكفور » عن لغة الرموز وتبنت رسميا ودون مواربة فكرة التدويل واعلنت انها اتخذت قرارها النهائي بتدويل المسألة اللبنانية ، وانها ابلغت قرارها للعقيد السوري محمد الخولي ، وان شخصيات سياسية ودبلوماسية ستنتدب لزيارة عدد من الدول الغربية للترويج لفكرة التدويل ، وانها اضطرت الى اتخاذ هذا الموقف بحجة « فشل المبادرات العربية ، وآخرها مبادرة جامعة الدول العربية ، واستمرار التصعيد العسكري » (١١) .

وحاولت « الجبهة » تجنيد بعض الحكومات الصديقة لمناصرة فكرة التدويل ومطالبة الامم المتحدة، عند الاقتضاء ، بمناقشة الازمة اللبنانية، فأجرت اتصالات مكثفة بالحكومتين الفرنسية والاميركية « لحملهما على تأييدها بالنسبة الى طرح الازمة اللبنانية على مجلس الامن ، وذلك في نطاق مشروع تدويل القضية »(١٢). وحاولت الاستعانة ببعض الشخصيات السياسية المسؤولة في الخارج ، فلم يبد اي مسؤول او صديق استعداده لدعم وجهة نظرها ، باستثناء عضو في مجلس الشيوخ الاميركي . ففي ٢٦ تموز ( يوليو ) ، قدم السيد جورج ماكغفرن طلبا الى الادارة الاميركية دعاها فيه الى ارسال قوة اميركية ودولية الى لبنان ، تعمل تحت راية الامم المتحدة ، اذا فشلت قوات الامن العربية في احلال السلام ووقف القتال (١٣) .

ولوحظ ، في هذه الفترة ، انه لم يكن يمر اسبوع ( واحيانا يوم واحد ) دون ان تزود المصادر المقربة من « الكفور » الصحافة بخبر يتعلق بموقف الجبهة من التدويل ، او بالنشاط الذي تبذله في هذا السبيل . ففي ١١ تموز ( يوليو ) ،لخص رئيس حزب الكتائب والاباتي شربل قسيس ، رئيس المؤتمر العام للرهبانيات ، موقف محور « الكفور » من مداولات وزراء الخارجية العرب في القاهرة بعدة نقاط ورد فيها « ان طلب السند الخارجي وارد ان لم تحزم المبادرة السورية امرها وتحسم الموقف نهائيا، لان عدمذلك معناه ان تسير الازمةفي طريق التدويل»(١٤). وكان الدكتور شارل مالك ( وهو من أركان الجبهة ) قد حاول ، في ٤ تموز ( يوليو ) ، حشر مسألة التدويل في دوامة التفلسف اللفظي عن طريق ايهام الرأي العام بان تعريب القضية اللبنانية يستتبع حتما تدويلها ، وتدويلها يستتبع حتما تعريبها ، دون ان يبين كنه العلاقة بين الامرين ، ودون أن يشرح كيف ان التعريب، في حال نجاحه، يستتبع التدويل، وكيف ان العكس صحيح كذلك (١٥).

وفي ٢٦ تموز ( يوليو ) ، برزت ظاهرة جديدة في مجال الدعوة الى التدويل ،

فقد ناشد رئيس الكتائب جامعة الدول العربية اعلان عجزها عن حل الازمة اللبنانية والاسهام في تدويلها ، اي « في وضع القضية بين ايدي الامم المتحدة » (١٦) · وفي ٢٧ منه ، دعا الى الاعتماد على هذه الجامعة وعلى مؤازرتها للاستعانة بالامم المتحدة على اطفاء الحريق ، وشدد على « ان تتم الخطوة بواسطة جامعة الدول العربية وبرضى اللبنانيين الصادقين في دعوتهم الى انقاذ البلاد ·· » (١٧) · وفي اليوم التالي ركز على هذه الناحية وتمنى النجاح للمبادرة العربية ، ولكنه اكد انه « في حال الفشل لا يبقى امامنا غير الامم المتحدة ··· لا يبقى لنا الا هذا الامل الطبيعي تساعدنا على بلوغه جامعة الدول العربية ويوافق الجميع في لبنان على التوجه بالقضية الى المنظمة الدولية ··· » (١٨) · وبررت اوساط حزب الكتائب الدعوة الى التدويل بان « الوضع في لبنان لم يعد يحتمل اختبارات وتجارب جديدة ، لان استمرار الاحداث يقلل يوما بعد يوم من فرص عودة التلاحم بين اللبنانيين ويمكن المتطرفين من تحقيق المعالم التنظيمية والادارية والعسكرية للدويلات المقسمة » (١٩) ·

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه رئيس الكتائب يكثر من أحاديثه عن التدويل ، كان رئيس الجمهورية يجتمع بالقائم بالاعمال الفرنسي والسفير البابوي ويبلغهما قرار « جبهة الكفور » بتدويل الازمة والطلب من دولتيهما دعم هذا الاتجاه في المحافل الدولية (٢٠) · كما كان الاباتي شربل قسيس يقوم بجولة اوروبية يزور فيها حاضرة الفاتيكان ويرفع الى قداسة البابا ، بواسطة مستشاره السياسي ، تقريرا وضعته لجنة الكسليك وتمنت فيه على البابا بذل جهوده الشخصية لنقل الازمة اللبنانية الى الصعيد الدولي « بحيث تضع الامم المتحدة يدها على لبنان ويرسل الكبار قوات اليه تضمن اعادة ترتيب الاوضاع بصورة جذرية بمعزل عن البلبلات الوافدة » (٢١) · وفي هذا الوقت كذلك كانت صحيفة « العمل » الكتائبية تشارك اقطاب « الكفور » في الدعوة الى التدويل ، عبر تشكيكها في قدرة جامعة الدول العربية على حل الازمة (٢٢) ·

وقبل انعقاد قمة الرياض بيومين ، القى المندوب الدائم للبنان لدى الامم المتحدة خطابا امام الجمعية العامة تضمن نقدا عنيفا للفلسطينيين ، فوجه رئيس الحكومة ( رشيد كرامي ) رسالة الى رئيس الجمعية العامة ، واخرى الى الامين العام للامم المتحدة ، انتقد فيهما موقف المندوب الدائم واكد ان خطابه لا يعكس سياسة الحكومة اللبنانية ، وانه يشوه الوقائع ، ويتغافل عن الاخطاء الكثيرة التي ارتكبها بعض المسؤولين اللبنانيين خلال الاعوام الماضية ، ويستهدف في نهاية الامر فتح الباب امام تدويل الازمة اللبنانية (٢٣) ·

وقبل ايام قليلة من مباشرة قوات الامن العربية لمهمتها الشاملة في لبنان ،ارتفع صوت قطبين في « الجبهة » يهدد ، في حال الفشل ، بامكان اللجوء الى التدويل · فرئيس الكتائب اعرب عن اعتقاده بان قوات الردع العربية هي الوسيلة الوحيدة

الآن لانقاذ لبنان وقال : « اذا فقدت وضاعت الثقة بها فهناك الكارثة ، وآنـــذاك يعذرنا الاخرون اذا ما لجأنا الى مقلب ثان من الارض لطرح قضيتنا · وآنـــذاك أيضا يكون الذين يعترضون على تدويل الازمة هم أنفسهم الذين حملوها بأيديهـم الى ساحة التدويل » (٢٤) · وأدلى النائب ادوار حنين بتصريح قال فيه : « انقوة الردع انشئت خصوصا لردع المعتدين لا المعتدى عليهم · وفي حال فشل الـــردع ننتقل الى التدويل ، وهو آخر الطب ، وتكون النهاية نهاية فعلية » (٢٥) ·

وعندما حصلت بعض الاشتباكات العسكرية الموجهة ضد قوات الردع فيالمناطق الخاضعة لسيطرة « الجبهة » ، تساءل الكثيرون عما اذا كان هناك ترابط بيـــن التصريحات المذكورة والاشتباكات الراهنة ، وعما اذا كانت تلك الاشتباكـــات مقصودة لاثبات فشل قوات الردع و « رفع الموضوع الى الامم المتحدة وتصويره اعتداء عربيا شاملا على لبنان يستدعي نجدة اجنبية معينة » (٢٦) · بل ان بعض الساسة قد اكد ان قصد الذين يشنون الهجمات على هذه القوات هو اثارة الازمة اللبنانية دوليا ، « اي رفع قضية لبنان الى مجلس الامن ممـــا يساعدهم علـى استقدام قوات دولية يستعيضون بها عن القوات العربية ، وبذلك يكونون قـــد خطوا خطوة اخرى نحو التقسيم ونحو قيام الدولة المارونية » (٢٧) · وهنـــاك من رأى « في تصعيد الموقف العسكري على الحدود والتلويح باجتياح اسرائيـلي للجنوب ما يهيىء المناخ لبروز دعوات استدعاء القوات الدولية ، اي تنفيذ حلقـة التـدويل » (٢٨) ·

★★★

والخلاصة ان « الجبهة اللبنانية » لم تتوقف ، منذ نشوب الازمة ، عن التلويح بالتدويل تارة والتهديد به طورا · وهي تفسر احجامها حتى الآن عن طلبالتدويل بحرصها على استمرار الصيغة اللبنانية ، ورغبتها في توفير الظروف الملائمة لانجاح المبادرات العربية ، وعلى رأسها المبادرة السورية ، ورفضها المبدئي ( الا مكرهة) لفكرة اي تدخل ( ولو كان من جانب الامم المتحدة ) في الشؤون الداخلية للبنان ·

واطلاع بسيط على سلوك « الجبهة » في هذا الصدد يثبت ان التلويح بالتدويل، او ابقاء موضوع التدويل قائما ، قد استخدم ( حتى الفترة الراهنة على الاقل ) كتهويل وتكتيك لتحقيق اغراض معينة ، او بانتظار تحقيقها · واهم هذه الاغراض:

١ ـ اخافة الفريق الوطني من نتائج التدويل والادعاء ، كما قال رئيسالكتائب، انه في حال فشل مبادرة جامعة الدول العربية « لا يعود امام الازمة اللبنانية سوى التدويل ، وهذه في نظرنا مغامرة خطرة » (٢٩) · ولعل الغرض من ذلـك طمس معالم المطالب الاصلاحية الوطنية التي رفعها الفريق الآخر ، والضغط عليهلانتزاع موافقته على معظم الشروط التي ترتئيها « الجبهة » ·

٢ ـ بث الذعر في قلوب العرب جميعا وايهامهم ، كما فعل رئيس الكتائب ، «بان الخطورة في تدويل القضية اللبنانية تكمن في انها قد لا تقتصر رداتها على لبنان وحده ، بل تتناول منطقة الشرق الاوسط كلها وتجعل المصير مجهولا » (٣٠) ٠

٣ ـ الرغبة في عرقلة اي مسعى يرمي الى تحسين العلاقات او توطيدها بين الحكومة السورية والحركة الفلسطينية والوطنية ٠ وهذه الرغبة تنبع من ارادة انتهاج سياسة مستقلة خوفا من احتمال حدوث اي تغيير في الموقف السوري او العربي ٠

٤ ـ المماطلة والتسويف في الوصول الى حل ممكن للازمة ، كسبا للوقت ، وانتظارا لحل شامل للقضية الفلسطينية ، وطمعا في انتزاع اكبر قدر ممكن من المكاسب والامتيازات ٠

٥ ـ رص الصفوف والتخفيف من حدة الخلافات الداخلية التي بدأت تحتدم بين اطراف « الجبهة » ، وذلك بتوجيه اهتمامها وتجنيد طاقاتها من اجل موضوع خارجي ٠

وبالاضافة الى هذه الاغراض فقد كانت هنالك عوامل من شأنها ان تؤدي الى تلكؤ « الجبهة » او ترددها في الاقدام على تنفيذ الفكرة ، واهمها :

١ ـ ارتباط مسألة التهويل بالتدويل (ولنقل : فورة التدويل) بالوضع السياسي والعسكري « للجبهة » ، ففي الوقت الذي كانت فيه نشوة الانتصارات تلغي او تطمس كل حديث عن التدويل ، كانت الهزائم تطرحه وتؤججه ٠

٢ ـ عدم اتفاق اركان « الجبهة » على المراد او المطلوب من التدويل : مناقشة الازمة فقط ؟ طلب التقسيم ؟ استدعاء قوات دولية ؟ اثارة موضوع وجود الفلسطينيين في لبنان ؟ توجيه تهمة العدوان او التدخل الى بعض الدول ؟

٣ ـ ادراك « الجبهة » سلفا بان نقل الازمة الى الامم المتحدة لن يؤدي ، في الظروف الراهنة للعلاقات والاوضاع المحلية والدولية ، الى اية نتيجة ايجابية ٠

★★★

## ثالثا ـ الامم المتحدة ومسألة التدخل في لبنان

فياواخر آذار ( مارس ) ١٩٧٦ ، وجه الامين العام للامم المتحدة كتابا الى رئيس مجلس الامن نبهه فيه الى خطورة الوضع في لبنان وتأثيره المحتمل في السلام العالمي ٠ غير ان بعض رجال السياسة والقانون في لبنان تسلحوا بالفقرة السابعة من المادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة ليثبتوا ان الاحداث اللبنانية مسألة داخلية لا يجوز للامم المتحدة ان تتدخل فيها ٠

فهل بامكاننا ، حقا ، الاعتماد على وجهة النظر هذه لننفي امكان تدخل المنظمة العالمية في الازمة اللبنانية ؟ وهل صحيح ان الميثاق الاممي يحرم على المنظمة معالجة اية مسألة تدخل في صميم السلطان الداخلي لدولة ما ؟ وهل بامكاننا الاستنتاج بان المنظمة سترفض مناقشة الازمة اللبنانية ، لدى عرضها عليها ، بمجرد ابداء الاعتراض والتلويح بالفقرة السابعة المذكورة ؟

للاجابة عن هذه التساؤلات علينا ، اولا ، ان نتعرف الى الفقرة السابعة ٠هذه الفقرة تنص على انه « ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للامم المتحدة ان تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، وليس فيه ما يلزم الاعضاء باخضاع مسائل من هذا النوع لاصول تسوية طبقا لاحكام هذا الميثاق٠ ومع ذلك فان هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع »٠

وتمثل هذه الفقرة مشكلة معروفة في التنظيم الدولي ، هي مشكلة الاختصاص بين المنظمة والدول الاعضاء ، او مشكلة التمييز بين الاختصاص الداخلي والاختصاص الدولي ٠ وتعرف كذلك بنظرية القطاع المحجوز للدولة ٠ وهي تعني ان الدولة ، عند اشتراكها في تأسيس منظمة دولية ما ، لا تتنازل عن جميع صلاحياتها وانما تحتفظ لنفسها بقدر معين ، او بقطاع معين من الصلاحيات لا يجوز للمنظمة ان تتدخل فيه ٠ والمشكلة هنا شبيهة بمشكلة حقوق الولايات في الدول الاتحادية ( الفدرالية ) ٠ وهي مشكلة تنشأ بسبب توزيع الصلاحياتبين الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات ٠

وعند انشاء عصبة الامم ، لم تثر هذه المشكلة اية صعوبة ، فقد اتفق المؤسسون على ان يقتصر اختصاص العصبة على الامور التي يعينها الميثاق لها ، كما اتفقوا على ان ترجح كفة سيادة الدولة عند حدوث اي شك او التباس حول توزيع الاختصاصات بين العصبة والدول الاعضاء ٠

ويبدو ان الاميركيين خافوا ، آنذاك ، من قيام حكومة عالمية تتمثل بالعصبة وتتدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء ، فحاول صائغو الميثاق تبديد مخاوفهم من اجل تشجيعهم على الانضمام الى العصبة ، فعمدوا الى ادخال فقرة على المادة ١٥ تتعلق بالتسوية السلمية للمنازعات ، وتتضمن شرطا ينص على انه « اذا ادعى احد الاطراف ، وثبت للمجلس ، ان النزاع يتعلق بمسألة يتركها القانون الدولي للاختصاص الداخلي المطلقلهذا الطرف، فان على المجلس ان يثبت ذلك في تقرير ، ولكن دون اتخاذ توصية بأي حل » ٠

وفي اجتماع مؤتمر سان فرنسيسكو ( نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٤٥ ) الذي انبثقت عنه منظمة الامم المتحدة ، وجد المؤتمرون ان اتجاه العصبة في هذا الصدد لا يتلاءم كليا مع المخطط الدولي الجديد الرامي الىتوسيع النطاق الوظائفي للمنظمة الجديدة ، فصاغوا الشرط الخاص بالاختصاص

الداخلي او الوطني للدول الاعضاء بطريقة تترك لهذه المنظمة اختصاصات اوسع· وجاء تالفقرة السابعة من المادة الثانية تمنع المنظمة من « ان تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما » ·

ومن هذا النص نفهم ان الميثاق يحتفظ بقطاع خاص من الصلاحيات للدولة ، ويقيم بالتالي حاجزا في وجه المنظمة العالمية يمنعها من التمتع بصلاحيات مطلقة (٣١) ·

وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف هذا النص ( مما ادى الى اختلاف الفقهاء في تفسيره ) ، فاننا نلمس ، من اطلاعنا على التصرفات الصادرة عن الامم المتحدة في هذا الصدد ، وجود اتجاه واضح نحو توسيع نطاق الموضوعات التي يحق لهذه المنظمة ان تعالجها ·

ولو اعتمدنا على الميثاق الاممي فقط لعثرنا فيه على اكثر من دليل على تكريس هذا الاتجاه · فلو كانت الامم المتحدة لا ترغب في اناطة مهمة معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بالمنظمة الاممية ، لما رضيت بانشاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، ولما جعلت منه فرعا رئيسيا من فروع المنظمة · ولو كانت تعتبر الاستعمار مسألة داخلية لا تعني الا الدول الاستعمارية ، لما وافقت على انشاء مجلس للوصاية ، ولما صدقت على ميثاق يتضمن تصريحا يتعلق بالاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي · ولو كانت تعتقد ان لكل دولة مطلق السيادة في معاملة رعاياها على اي نحو تريد· ( حتى وان يكن نحوا تعسفيا ) لما قبلت بنصوص الميثاق المتعلقة بحقوق الانسان ، ولما وافقت على الاعلان العالمي لحقوق الانسان·

ان موافقة الامم المتحدة على هذه الالتزامات التي القاها الميثاق على عاتقها برهان ساطع على التزامها بمفهوم واسع وشامل لمهمة المنظمة العالمية ·

ونذكر هنا ان احدى اللجان الفرعية قدمت الى مؤتمر سان فرنسيسكو مذكرة اقرت فيها بان مشكلة حقوق الانسان هي ، بصفة اولية ، مسألة داخلية ، وان كانت قد اكدت انه « اذا تعرضت الحريات الاساسية للافراد لانتهاك مخل بحيث يخلق ذلك ظروفا تهدد السلام ، او تعوق تطبيق نصوص الميثاق ، فعندئذ لا تصبح هذه المسألة من شأن الدولة وحدها » ·

ولقد تذرع بهذا المبدأ كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة · ففي العام ١٩٤٦ ، واثناء مناقشة المسألة الاسبانية ، اكد المندوب السوفياتي بان في وسع مجلس الامن ان يتدخل دون حرج في شؤون اسبانيا على اساس ان الظروف الداخلية لتلك الدولة تشكل تهديدا للسلام والامن الدوليين ·

وعند مناقشة القضية الاندونيسية قال المندوب الاميركي في مجلس الامن انه « عندما تطلق النيران ويقتل الناس ، فللمجلس كامل الحق في ان يأخذ بزمام

المسألة في يده » · واكد في الجمعية العامة ، لدى مناقشة مسألة فورموزا ، في العام ١٩٥٠ ، « ان هذه المسألة ليست من مسائل الاختصاص الداخلي لانها مسألة يمكن ان تفضي الى خلافات بين الدول ، بل ومن الممكن ان تؤدي الى اندلاع الحروب » (٣٢) ·

ومع ذلك فنحن نعترف بان تحديد المسائل التي تدخل في نطاق السلطان الداخلي للدولة يثير ، في أغلب الاحيان ، مناقشات طويلة وتفسيرات متفاوتة · ويحتدم الخلاف بين الفقهاء حول امكان احترام السلطان الداخلي للدولة في الحالات التي يعمد فيها ميثاق المنظمة الى تحديد صلاحيات المنظمة بشكل واسع ، او الى منحها صلاحيات شاملة · اذ كيف يمكننا ، مثلا ، تعيين القطاع المحجوز للدولة ، وبالتالي احترامه ، اذا كانت المنظمة ذات اختصاص في كل ما يتعلق بحقوق الانسان ، او بالتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، او بكل ما يهدد السلام العالمي بالخطر ؟

فمما تقدم نستنتج ان الامم المتحدة تتجه ، تارة بحذر وتردد ، وطورا بجرأة واقدام ، نحو توسيع الاختصاص الدولي على حساب الاختصاص الوطني ، ونلاحظ ان الجمعية العامة قد حاولت عدم التقيد بالنص المذكور لتتمكن ( وهي قد تمكنت فعلا ) من التدخل في جميع الشؤون الدولية والوطنية · فهذه الجمعية تعتبر نفسها برلمانا عالميا من صلاحياته الاهتمام بكل ما يحدث في العالم للحفاظ على السلام العالمي ·

ولعل خلو الميثاق من تعريف واضح للسلطان الداخلي جعل من الصعب تحديد المسائل التي تدخل في صميم هذا السلطان وشجع اجهزة الامم المتحدة على محاولة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء ·

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الدول ( وخصوصا الدول الكبرى ) تفسر ، في كثير من الاحيان ، مسألة الاختصاص باسلوب يتناسب مع مصالحها ، فتراها تتسلح بمبدأ الاختصاص الداخلي عندما يخدم هذا المبدأ اغراضها ، وتشهر به حينما يتعارض مع هذه الاغراض ·

★★★

وبعد هذا التوضيح لمعنى الفقرة السابعة من المادة الثانية ، ولملابساتها على الصعيد العملي ، نعود الى السؤال المطروح : هل بامكاننا ان نعتد بالفقرة المذكورة لنحول دون عرض الازمة اللبنانية على الامم المتحدة ؟ وهل يكفينا ان نؤكد بان ما حدث ويحدث في لبنان ليس سوى نزاع داخلي محض حتى نطمئن الى ان الامم المتحدة ستمتنع عن مناقشة الازمة واتخاذ القرارات المناسبة فيها ؟

ان طرح أزمتنا على الامم المتحدة لم يعد رهن ارادتنا · ان وجودنا في المنظمة العالمية يحتم علينا ان نعترف باتساع صلاحياتها وبحقها في مناقشة اية مسألة

ترى فيها خطرا على السلام او الامن الدولي · وينبغي ان نتذكر اننا كنا في طليعة الدول التي طالبت الامم المتحدة مرارا بمناقشة قضايا كانت تعتبر من صميم السلطان الداخلي لبعض الدول · وكنا دائما نبرر موقفنا هذا بفكرة الخطر على الامن او السلام العالمي ، او بفكرة حق تقرير المصير ، او ما شابه ذلك ·

ان في وسع اي عضو في الامم المتحدة ان يرفع الى مجلس الامن او الجمعية العامة اية مسألة ، ويصفها بانها نزاع او وضع من شأنه اثارة الخلافات بين الدول او تعريض السلام العالمي للخطر · واذا استطاع هذا العضو ان يحشد لها الاصوات اللازمة ادرجت المسألة في جدول الاعمال ونوقشت ·

ان تركيب الامم المتحدة يسمح بمناقشة اية قضية وباتخاذ قرارات فيها في كل مرة تتجمع فيها اصوات كافية لبحثها ومعالجتها · وعندما تتوافر الغالبية المطلوبة لذلك فلن يكون للاحتجاجات او المواقف او المبررات القانونية اي وزن يذكر ·

لقد قال الاستاذ الجامعي Clyde Eagleton ان « في وسع اي فرع من فروع الامم المتحدة ان يفعل الآن ما يشاء اذا حصل على الاصوات التي تتيح له ذلك» (٣٣) · وقال زميل له ، هو Inis Claude « ان التطور الدستوري للامم المتحدة قد تمخض ليس فقط عن اتجاه نحو توسيع الاختصاص الدولي على حساب الاختصاص الداخلي ، ولكن ايضا عن اتجاه نحو معركة مريرة حول مسألة توازن الاختصاص بين المنظمة الدولية والدول القومية » (٣٤) ·

والخلاصة ان الامم المتحدة تستطيع ، اذا شاءت ، ان تضع يدها على الازمة اللبنانية وتناقشها وتتخذ فيها القرارات الملائمة · ولكنها لن تفعل ذلك الا بطلب رسمي من احدى السلطات المختصة ، محليا او دوليا · فما هي هذه السلطات التي يمكنها طلب التدويل ؟ وهل يجوز « للجبهة اللبنانية » التي لا تني تهدد بالتدويل ، ان تلجأ بنفسها الى الاجهزة العالمية طالبة منها التدويل ؟

★★★

**رابعا ـ السلطات المخولة طلب التدويل**

ان طلب تدويل الازمة اللبنانية يمكن ان يصدر عن الحكومة اللبنانية ، او عن الامين العام للامم المتحدة ، او عن الجمعية العامة ، او عن احدى الدول الاعضاء في الامم المتحدة ·

١ ـ ان اي طلب يرفع الى الامم المتحدة ، بغرض تدويل الازمة ، يجب ان يصدر عن **الحكومة اللبنانية** · والحكومة او السلطة التنفيذية في دولة ما تعرف ، في حقل العلاقات الدولية ، من خلال ثلاث من شخصياتها : رئيس الدولة ، ورئيس الحكومة ، ووزير الخارجية · ومن المتفق عليه دستوريا انه لا يحق لرئيس الدولة، في النظام الديموقراطي البرلماني ، ان ينفرد بممارسة السياسة الخارجية ، او ان

يسمح لنفسه بكتم الامور المتعلقة بهذه السياسة عن اعضاء حكومته ٠

واذا كان رئيس الجمهورية في لبنان يتمتع بصلاحيات واسعة في حقل العلاقات الخارجية ، فان الدستور اللبناني ( الذي يستمد احكامه في هذا الصدد من قواعد النظام البرلماني ) اشترط عليه وجوب ممارسة هذه الصلاحيات بواسطة الوزارة المختصة بالعلاقات الدولية ( أي وزارة الخارجية ) وبموافقة مجلس الوزراء كذلك ٠ وقد حاول رئيس الجمهورية السابق (سليمان فرنجية) ، وخصوصا خلال الازمة ، ان يتفرد بالسياسة الخارجية ويروج لفكرة التدويل فلم يوفق في تحريك اي جهاز في الامم المتحدة للاهتمام بما يجري في لبنان ٠ واذا كانت آخر حكومة للعهد المنصرم قد تميزت بالنفور بين رئيسي الدولة والحكومة والتباعد بين اعضائها ، فان الحكومة الحالية للعهد الراهن تتميز بالانسجام والتلاحم والتفاهم ٠ واذا كان بعض الاعضاء في الاولى قد سعوا عبثا الى التدويل ، فان جميع الاعضاء في الثانية لا يسمحون لانفسهم بمجرد التفكير في هذا الامر ٠

ان الحكومة الحالية ، التي آلت على نفسها اعادة الاستقرار الى البلاد ، لن تفكر في التدويل ، لان طلب التدويل لا يمكن ان يفسر الا بانه اعتراف بالاخفاق الذريع المشين : اخفاق الحكومة في تنفيذ ما وعدت به ، واخفاق القوات العربية ( ومعها كل الحكومات العربية ) في المهمة الامنية التي تصدت لها ٠ والاخفاق هنا لن يكون الا دليل عجز وافلاس للعهد الجديد ، وضربة قاضية لكل محاولات التعريب في المستقبل ، اي لكل حل عربي للازمات والخلافات العربية ٠

فمن المستبعد اذن ، ان لم يكن من المستحيل ، ان تقدم الحكومة اللبنانية ، او احدى الحكومات العربية التي رأت الحل في التعريب ، على ارتكاب عمليةانتحارية من هذا النوع ٠ واذا كانت الحكومة ، على الرغم من انقسامها على نفسهاورغبة بعض اعضائها في تحقيق التدويل ، قد عجزت عن بلوغ هذا الهدف ، فمن الطبيعي ان يكون تماسك الحكومة الحالية التي تحظى بتأييد كلي في الداخل والخارج ، درعا واقيا لها ضد اغراءات التدويل وترهاته ٠

٢ ـ غير ان **الامين العام للامم المتحدة** يستطيع ، اذا اراد ، ان يقرع باب التدويل ٠ انه أرفع موظف في المنظمة العالمية ٠ والميثاق الاممي قد اعتبر الامانة العامة جهازا من الاجهزة الرئيسية فيها ، ابرازا لاهمية الدور الذي تقوم به في ميدان العلاقات الدولية ٠ ومن الصلاحيات التي منحها الميثاق للامين العام حق تنبيه مجلس الامن الى أية مسألة يرى انها قد تعرض للخطر حفظ السلام والامن الدوليين ( المادة ٩٩) ٠

وفي العام الماضي ، استخدم الدكتور كورت فالدهايم ، كما ذكرنا ، هذا الحق ووجه كتابا الى رئيس مجلس الامن حول الازمة اللبنانية ٠ ولكن الكتاب اكتفى بلفت نظر مجلس الامن الى خطورة الوضع في لبنان دون ان يطلب من الرئيس ،

رسميا ، دعوة اعضاء المجلس الى الاجتماع فورا لمناقشة هذا الوضع واتخاذ الترتيبات او القرارات الملائمة · وقد فسر الجميع هذا السلوك بانه تعبير واضح عن اقتناع الامين العام بان الوضع اللبناني لا يشكل تهديدا للسلام العالمي ، ولا يستوجب بالتالي دعوة مجلس الامن الى الاجتماع وتدويل الازمة · والبرهان على صحة هذا الاستنتاج ان الامين العام لم يعمد ، منذ ذلك التاريخ ، الى توجيه اي كتاب آخر مماثل الى رئاسة مجلس الامن ، ولم يدل بأي تصريح ينم عن رغبته في تكرار المحاولة ·

٣ ـ وتبنت **الجمعية العامة** نفس الموقف الحكيم عندما أمسكت ، لدى عقد دورتيها الاخيرتين ( في خريف ١٩٧٥ ، والعام ١٩٧٦ ) ، عن الخوض في موضوع الازمة اللبنانية ·

٤ ـ ومع ان الميثاق الاممي ، في المادة ٣٥ منه ، يمنح **كل عضو من اعضاء الامم المتحدة** ( وحتى كل دولة غير عضو ، اذا وافقت على بعض الشروط والالتزامات ) حق تنبيه مجلس الامن او الجمعية العامة الى اي نزاع او وضع قد يؤدي الى اندلاع خلاف او خصومة بين الدول ، فان اي عضو في الاسرة الدولية لم ير في الاحداث اللبنانية نزاعا بين لبنان ودولة او دول اخرى ، ولم يقدم بالتالي على طلب التدويل · ومع ان رئيس الجمهورية السابق واحد وزرائه ( الذي عينه وزيرا للخارجية بصورة مخالفة للاعراف الدستورية ) قد وجها الى بعض الدول اتهامات صريحة بالتدخل في الشؤون الداخلية للبنان، وتعمدا استعمال تعبير « عدوان » لتحريض الامين العام ، او اي عضو في الامم المتحدة، على الاسراع في طلب التدويل، فان مساعيهما لم تلق آذانا صاغية (٣٥)·

ومما تقدم نستنتج انه لا يحق « للجبهة اللبنانية » ان ترفع بنفسها طلبا بالتدويل الى الامم المتحدة · انها تحتاج ، لتحقيق ذلك ، الى مساعدة الغير · والغير لا يمكن الا ان يكون دولة او مجموعة دول تتبنى وجهة نظر « الجبهة » فتتقدم من الامم المتحدة بطلب التدويل ·

و « الجبهة » قد تقع على دولة او دول مستعدة لتنفيذ هذه المهمة · ومع ان هذا التصرف سيفسر بانه تنكر صريح للعهد وحكومة العهد من قبل « الجبهة » ، وبانه عمل عدائي للشرعية اللبنانية من قبل الدولة او الدول التي ستقدم على هذا العمل ، فعلينا ان نعد انفسنا لامكان تصور حدوثه · ان الاحداث والتجارب والسوابق الدولية علمتنا انتظار كل مستغرب وحدوث كل مستنكر ، فالعلاقات والروابط بين الدول تقوم ، في معظم الاحيان ، على المصلحة والعاطفة اكثر مما تقوم على التجرد والعقل ·

ولكن المهم هنا ليس التقدم بطلب التدويل ، بل امكان بحث الازمة اللبنانية واتخاذ قرار فيها · وسيكون ذلك حتما امرا صعب المنال ·

★★★

## خامسا ـ صعوبة بحث الازمة اللبنانية في الامم المتحدة

لو افترضنا ان طلبا بالتدويل رفع الى الامين العام للامم المتحدة ، وان الامين العام اقتنع بان الازمة اللبنانية تهدد السلام والامن الدوليين بالخطر ، فرفع الطلب بدورة الى الجهاز الاممي المختص ، فما هي الاصول التي تتبع عند ذلك لبحث الازمة ، وما هي النتائج المرتقبة ؟

في الامم المتحدة جهازان رئيسيان مخولان النظر في القضايا السياسية ، وخصوصا في قضايا السلام والامن ، هما : مجلس الامن والجمعية العامة ٠

ومجلس الامن مكون من ١٥ عضوا ، خمسة منهم دائمون ، وعشرة غيردائمين تنتخبهم الجمعية العامة لمدة عامين ٠ والدول الخمس الكبرى هي الدائمة في المجلس ٠ والمجلس هو الاداة التنفيذية للامم المتحدة ٠ وهو المسؤول الاول عن حفظ السلام وصيانة الامن في العالم ، وقمع اعمال العدوان ، وانزال العقوبات بالاعضاء المخالفين ٠

اما الجمعية العامة فهي بمثابة برلمان عالمي تتمثل فيه جميع الدول الاعضاء على قدم المساواة ٠ ومن حق الجمعية ان تناقش اية مسألة او أمر يدخل في نطاق الميثاق الاممي ، أو يتصل بصلاحيات او وظائف اي فرع من فروعها ، وان توصي اعضاء الامم المتحدة او مجلس الامن ، او كليهما ، بما تراه في تلك المسائل والامور ٠

وهذا الحق يضيق مداه في المجال السياسي ويتسع في المجالات الاخرى ٠ ففي الشؤون السياسية تتمتع الجمعية بحرية المناقشة دون ان تستطيع اتخاذ قرارات فاصلة بشأنها ٠ ان صلاحياتها هنا تقتصر على ابداء التوصيات وتنبيه مجلس الامن الى الاوضاع التي تجعل السلام والامن العالميين عرضة للخطر ٠ والمجلس هو الذي يقرر ما يجب اتخاذه ٠

وفي كل مرة تعرض فيها على الجمعية مسألة تقتضي اتخاذ عمل من اعمال المنع أو القمع يجب على الجمعية احالتها على مجلس الامن ٠ وعندما يباشر المجلس، بصدد نزاع أو وضع ما ، الوظائف التي خوله اياها الميثاق ، فليس للجمعية ان تقدم اية توصية بهذا الصدد ، الا اذا طلب المجلس منها ذلك ٠

غير ان الجمعية العامة استطاعت ان تتجاوز نصوص الميثاق وتوسع اختصاصاتها السياسية وتتعدى على اختصاصات مجلس الامن وتتسلح ، في العام ١٩٥٠ ، بقرار معروف باسم « الاتحاد من اجل السلام » ، يرمي الى التغلب على عجز المجلس عن اتخاذ القرارات العاجلة بسبب لجوء الدول الخمس الدائمة فيه الى كثرة استعمال حق النقض ٠

والقرار ينص على انه في حال وجود تهديد للسلام ، او اخلال به ، او حدوث

عمل عدواني ، وفي حال فشل المجلس في القيام بمسؤولياته لحفظ الامن الدولي نظرا لاختلاف الاعضاء الدائمين فيه ، فان للجمعية العامة ان تجتمع فورا ( ولو في دورة استثنائية طارئة ) وتبحث المسألة لتقدم الى الاعضاء التوصيات اللازمة حول التدابير التي يجب اتخاذها ، ومن ضمنها استعمال القوة المسلحة ، وذلك لاعادة الامن والسلم الى نصابهما ٠

وبذلك اصبح بامكان الجمعية ان تحل محل المجلس عند عجزه ، وان تجتمع بناء على طلب الغالبية فيها او بناء على طلب تسعة اعضاء من مجلس الامن ٠ فقرار « الاتحاد من اجل السلام » وضع ، عمليا ، الجمعية والمجلس على قدم المساواة ٠ وقد استخدم هذا القرار ، منذ العام ١٩٥٦ ، في عدة حالات ،اشهرها: ازمة المجر ، والعدوان الثلاثي على مصر ، وازمة الكونغو ، وحرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ٠٠٠

فطلب تدويل الازمة اللبنانية يجب ان يرفع اولا الى مجلس الامن ٠ ولا يمكن ان يعرض على الجمعية العامة الا بعد فشل المجلس في اتخاذ قرار ٠

ولنتصور الان ان الامين العام رفع الطلب الى مجلس الامن ودعاه الى الاجتماع فورا لمناقشة الوضع في لبنان واتخاذ القرار الملائم ٠ ففي هذه الحالة ستعترض الطلب صعوبتان : صعوبة تحديد طبيعة الطلب ، وصعوبة اتخاذ القرار المناسب ٠

ان على المجلس ، قبل ان يشرع في مناقشة الطلب ، ان يوافق او يتفق على أن الازمة اللبنانية تشكل نزاعا بين لبنان ودولة اخرى ، او نزاعا داخليا من شأن استمراره تهديد السلام والامن الدوليين ٠ والمطلوب من الاطراف التي رفعت الطلب او زكته ان تثبت ذلك ٠

وقد يعترض احد اعضاء المجلس على عرض القضية على المجلس ويرى انها ليست سوى مسألة داخلية لا تعرض السلام العالمي للخطر ٠ وقد يحتدم الجدل بين الاعضاء حول هذه النقطة فينقسمون على انفسهم ٠ وقد يضطر رئيس المجلس الى استعمال صلاحياته وايقاف المناقشة وطرح الامر على التصويت ٠

ونعلم ان لكل عضو في المجلس صوتا واحدا ، وان القرارات التي تصدر عن المجلس على نوعين :

١ ـ القرارات الصادرة في مسائل اجرائية ، وهي تصدر بغالبية تسعة اعضاء على الاقل ، دون تفرقة بين اصوات الاعضاء الدائمين واصوات غير الدائمين ٠

٢ ـ والقرارات الصادرة في مسائل موضوعية ، وهي تصدر بغالبية تسعة على الاقل بشرط ان يكون من بينها اصوات الاعضاء الدائمين متفقة ٠

ومعنى ذلك ان كل عضو دائم في المجلس يملك حق الاعتراض او النقض على

اصدار القرارات الموضوعية ، فاذا اعترض بمفرده ، او اذا اعترض الاعضاء الدائمون مجتمعين ، على مشروع قرار في مسألة موضوعية لم يعد بامكان المجلس اصدار قرار في المسألة · اما العضو غير الدائم فلا يملك هذا الحق بمفرده ، بل بتكتله مع ستة آخرين من الاعضاء غير الدائمين واعلان عدم موافقتهم ·

ومع ان الميثاق الذي فرق بين المسائل الاجرائية والمسائل الموضوعية لم يضع معيارا لهذه التفرقة ، فان طبيعة الازمة اللبنانية لن تثير اي خلاف ، على ما نظن· انها ولا شك مسألة موضوعية · وحتى لو نشأ خلاف حول وصفها او تصنيفها فان التصويت في المجلس لحسم الامر سيجري على اعتبار أن المسألة مسألة موضوعية ، فتتمكن الدول الكبرى بذلك من استعمال حق النقض عند الحاجة ·

ولو طلب رئيس المجلس من الاعضاء ان يقرروا بالتصويت : ( هل الازمة اللبنانية مسألة داخلية لا يحق للمجلس ان يتدخل فيها ، ام انها ازمة تهدد السلام العالمي بالخطر) ، فان اي قرار يجب ان ينال الاكثرية المطلوبة، اي تسعة اصوات على الاقل من الخمسة عشر ، وبشرط الا تستعمل احدى الدول الخمس الدائمة حقها في النقض ·

وفي رأينا ان اعتبار الازمة اللبنانيةمسألة تعرض السلام العالميللخطر لا يمكن، في الظروف الراهنة ، ان ينال الاكثرية المطلوبة لاسباب عديدة ، اهمها :

١ ـ ان الدول الخمس الدائمة في المجلس ليست على خلاف حول هذا الموضوع، فحتى اليوم لم يصدر عن اي مسؤول في هذه الدول تصريح يعبر عن خشيته من ان يؤدي استمرار الازمة اللبنانية الى تعكير صفو السلام في العالم · ولم تقدم ،حتى اليوم كذلك ، دولة من هذه الدول على تنبيه المجلس او الجمعية الى خطورةالوضع اللبناني · ثم ان هذه الدول قد رحبت بالتعريب واعلنت تأييدها للعهد اللبناني الجديد وابدت استعدادها لتقديم كل مساعدة اليه لتمكينه من التغلب على الصعوبات الناتجة عن الازمة ·

٢ ـ ان معظم الدول الخمس تمر بازمات سياسية واقتصادية ، بعد ان مرتفي السابق بتجارب استعمارية مريرة ، لا تشجعها على اتخاذ اي قرار قد يؤدي الى تفاقم مسؤولياتها الدولية ، وزيادة اعبائها المالية ، واتساع متاعبها النفسية ·

٣ ـ ان للدول الخمس مصالح مادية كبيرة في الوطن العربي ليست على استعداد للتضحية بها او تعريضها للخطر بسبب قرار او موقف قد يثير نقمة الانظمة والجماهير العربية ·

٤ ـ ان الدول العشر غير الدائمة تنتمي اما الى المجموعة الاوروبية ، واما الى كتلة عدم الانحياز ، واما الى معسكر الدول النامية · ولكل منها مصلحة خاصة في عدم اثارة موضوع الازمة اللبنانية في المجلس · فالمجموعة الاوروبية التيقاست

الامرين من انقطاع النفط العربي عنها ، ومن تعرضها ، بسبب مواقفها العدائيةاو المعادية ، لردود فعل عربية دامية ، تحرص اليوم على عدم استعداء الـــدول العربية · اما مجموعة الدول النامية او اللا منحازة فتعرف ان موافقتها عـلـــى التدويل ستفقدها صداقة عشرين دولة عربية وتعرضها لخطر التدويل عند تعـرض امنها او نظامها لاقـل اهتزاز ·

فمن الصعب اذن ان يوافق مجلس الامن على وصف الازمة اللبنانية بانها خطر يهدد السلام العالمي ، او بانها نتيجة اعتداء خارجي · واذا صوت الاعضاء سلبا، او اذا استعمل احد الكبار حق النقض ، او اذا عجز المجلس عن اتخاذ قرار فـي الموضوع ، فان رئيس المجلس سيضطر الى اختتام الاجتماع والاكتفاء بما حصـل ونفض اليدين من المسألة · وهذا ما فعـله المجلس ، مثـلا ، فـي تموز ( يوليو) ١٩٧٦ ، عندما فشل في اتخاذ قرار حول الغارة الاسرائيلية عـلى مطـار عنتبة الاوغندي ·

وحتى لو افترضنا ان التصويت في المجلس كان ايجابيا، فان المجلس سيضطر، في هذه الحالة ، الى الخوض في مناقشة المسألة اللبنانية من اساسها ومن مختلف جوانبها · وقبل التصويت على اي قرار سيصطدم من جديد بنفس الصعوبـــات التي اعترضت طريقه في المرحلة السابقة ·

★★★

وبقي احتمال اخير : تحرك الجمعية العامة بموجب قرار « الاتحاد من اجـــل السلام » ، عند فشل المجلس في اتخاذ قرار ، وحلولها محل المجلس وبحثالقضية من جديد · ولكيلا نطيل الحديث عن الصعوبات التي ستنتصب في وجه الجمعية وتعرقل عملها ، سنكتفي بالاشارة الى نظام التصويت فيها ، مستشهدين بأحـــد الامثلة العملية البارزة ·

ان طريقة التصويت في الجمعية العامة تتميز بانها تتبع ، خلافا لما كان يجـري في عصبة الامم ، قاعدة الاغلبية وليس قاعدة الاجماع · والجمعية تصدر قراراتها باغلبية الاعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت · ولكن المادة ١٨ من الميثاق تنص على ان قراراتها ، في المسائل المهمة التي تذكرها هذه المادة : التوصيـــات الخاصة بحفظ السلم والامن الدوليين · وان اتيح للجمعية ، المكونة حاليا من١٤٦ دولة ، ان تعالج الازمة اللبنانية فستدخلها تحت هذا البند · وكل تصويت فيهـا سيحتاج الى اغلبية الثلثين · والاعتبارات التي اشرنا اليها ، عند حديثنا عـــن مواقف الدول الاعضاء في مجلس الامن ، يمكن ان تتكرر هنا وتقف حاجزا دون نجاح الجمعية في تأمين الاغلبية المطلوبة ·

اما المثل العملي فيتعلق بمشكلة التصويت في الجمعية العامة على تمثيـــل الصين · فمنذ عام ١٩٥٠ وحتى العام ١٩٧١ ، كانت هذه المشكلة تثار في كـــل

دورة من دورات الجمعية ، وكان يطلب من الاعضاء ان يجيبوا بالتصويت عن السؤال التالي : « من يمثل الصين : وفد فورموزا ، ام وفد الصين الشعبية ؟ »٠ وكان الاقتراح يجري في كل عام دون ان ينال مشروع القرار المؤيد لتمثيل الصين الشعبية اغلبية الثلثين ٠ وبعد ٢١ عاما من التصويت تمكنت الاكثرية في الجمعية ( ٧٦ صوتا ضد ٣٥ وامتناع ١٧ ) من ان تصدر قرارها التاريخي باعادة كل الحقوق الى جمهورية الصين الشعبية ، وطرد ممثلي فورموزا من اروقة الامم المتحدة ، واعتبار ممثلي حكومة بكين الممثلين الشرعيين والوحيدين للصين لدى الامم المتحدة ٠

وقد اوردنا هذا المثل لنبين ان عملية التصويت في الجمعية على امر ينطوي على ملابسات واعتبارات متعددة ، ويتعلق بمصالح ومواقف متباينة ، ليست بالامر اليسير ٠

ولا يسعنا ، في ختام بحثنا ، الا ان نشير الى اننا ، في حديثنا عن احتمال عرض المسألة اللبنانية على مجلس الامن او الجمعية العامة ، قد اكتفينا باستعراض جزء من الصعوبات الاجرائية ٠ والحقيقة ان هناك صعوبات اخرى ، اهم واعمق ، ستواجه الاعضاء وتؤثر في طريقة تصويتهم عند بحث اسباب الازمة اللبنانية ، او عند مناقشة اوضاعها وملابساتها ، او عند توجيه تهمة التدخل والاثارة الى اية دولة ، او عند تحديد القرار المطلوب من الامم المتحدة ٠٠٠ ولكن مصير هذه الصعوبات سيرتبط في النهاية بكيفية التصويت ونتائجه ٠ ولهذا ركزنا على عملية التصويت في كل من مجلس الامن والجمعية العامة ٠

## الحواشي :

١ ـ راجع الصحف اللبنانية الصادرة في ٨ـ٤ـ١٩٧٧ ٠

٢ و ٣ ـ راجع الصحف اللبنانية الصادرة في ٩ـ٤ـ١٩٧٧ ٠

٤ ـ راجع محاضراتنا في **القانون الدولي العام** ، لطلاب الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية ٠

٥ ـ Claude - Albert Colliard, Institutions Internationales, Dalloz, Paris 1970 .

٦ ـ راجع مقالنا في **السفير** ، في ١٢ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

٧ ـ **السفير** ، في ٣٠ـ٦ـ١٩٧٦ ٠

٨ ـ راجع الصحف الصادرة في هذا اليوم ٠

٩ ـ **السفير** ، في ١٠ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٠ ـ **النهار**، في ٧ـ٧ـ١٩٧٦٠ وبعد شهر وجه كميل شمعون عبر الصحافيين « نداء توبيخيا للامين العام للامم المتحدة ولما يسمى الضمير العالمي المفقود » ٠ **النهار**، في ٦ـ٨ـ١٩٧٦ ٠

١١ ـ **السفير والنداء** ، في ٨ـ٧ـ١٩٧٦٠

١٢ ـ **المحرر** ، في ١٢ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٣ ـ **السفير** ، في ٢٨ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٤ ـ الصحف الصادرة في ١٢ـ٧ـ ١٩٧٦ ٠

١٥ ـ الصحف الصادرة في ٥ـ٧ـ ١٩٧٦ ٠

١٦ ـ **السفير** ، في ٢٧ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٧ ـ **النهار** ، في ٢٨ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٨ ـ **النهار** ، في ٢٩ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

١٩ ـ نقلا عن **السفير** ، في ٢٧ـ٧ـ ١٩٧٦ ٠

٢٠ ـ **النداء** ، في ٢٩ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

٢١ ـ بيروت ، في ٨ـ٨ـ١٩٧٦ ، **والسفير** ، في ٩ منه ٠

٢٢ ـ كان عدد **العمل** في٢٨ـ٧ـ١٩٧٦، يحمل ، في صفحته الثانية ، تعليقا سياسيا بعنوان « هذه الجامعة ماذا تنتظرون منها ؟ » ٠

٢٣ ـ **السفير** ، في ٩ـ١١ـ١٩٧٦ ٠

٢٤ ـ **السفير** ، في ٧ـ١١ـ١٩٧٦ ٠

٢٥ ـ **النهار** ، في ٧ـ١١ـ١٩٧٦ ٠

٢٦ ـ **السفير** ، في ٩ـ١١ـ١٩٧٦ ٠

٢٧ ـ من تصريح لكمال جنبلاط في **النداء** ، في ١٤ـ١١ـ١٩٧٦ ٠ وفي تصريح اخر له قال : « ان المعركة لم تنته ٠٠٠لان جبهة الكفور ، بما فيها من احزاب ، تطمح الى تدويل القضية اللبنانية ،ولم تسقط من حسابها تحقيق الوطن القومي المارونـي الانعزالـي ٠٠٠ » ٠ **السفير** في ١٦ـ١١ـ ١٩٧٦ ٠

٢٨ ـ من تصريح لابراهيم قليلات ، رئيس مجلس قيادة « المرابطون » ٠ **النهار** ، في ٢١ـ١١ـ١٩٧٦ ٠

٢٩ ـ **بيروت** ، في ٧ـ٨ـ١٩٧٦ ٠

٣٠ ـ **النهار** ، في ٩ـ٧ـ١٩٧٦ ٠

٣١ ـ راجع محاضراتنا في **المنظمات الدولية والاقليمية** لطلاب الحقوق والعلوم السياسية ٠

٣٢ ـ راجع كتاب : **النظام الدولي والسلام العالمي** ، تأليف اينيس كلود ( الابن ) ، ترجمة الدكتور عبد اللهالعريان، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ٠

٣٣ ـ راجع الصفحة ٥٩٤ من بحثه المنشور في عدد تموز ( يوليو ) ١٩٥٣ من مجلة

Foreign Affairs

٣٤ ـ كتاب : **النظام الدولي والسلام العالمي** ، المذكور ، ص ٢٦٠ ٠

٣٥ ـ راجع ، مثلا ، رسائل الرئيس فرنجية الى الامين العام لجامعة الدول العربية في اواخر حزيران ( يونيو )١٩٧٦، ورسالته الى رؤساء مصر والسودان والسعودية في ١٩ـ٧ـ١٩٧٦ ، ورسائل الوزير كميل شمعون الى البعثات الدبلوماسية المعتمدة في لبنان ، في ٢ـ٧ـ١٩٧٦ ٠ وكلها تتضمن اتهامات ضد احدى الدول العربية ٠

# التطورات العسكرية في جنوب لبنان

## ٢٤ شباط - ٢٢ نيسان ١٩٧٧

خليل بركات

وصل الوضع المتوتر في الجنوب الى ذروته يوم سقوط قريتي « الطيبة » و « رب الثلاثين » في ايدي التحالف الانعزالي ـ الصهيوني فجر يوم الاربعاء ٣٠ اذار ١٩٧٧ · ويبدو ان التحالف المذكور كان قد قرر الاستمرار في مخططه في منطقة الجنوب مستفيدا من الوضع السياسي على الصعيد اللبناني ، ومن « الانتصارات » الوهمية التي حققها في الجنوب على الصعيد العسكري ، فحاول الاسراع في تنفيذ مخططه في السيطرة الكاملة على الشريط الحدودي ·

فمن الناحية السياسية بدأ تحرك « الجبهة اللبنانية » الانعزالية وكأنه الوحيد المؤثر على ساحة العمل السياسي اللبناني ، في وقت تضاءل فيه تحرك الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، وغابت الزعامات التقليدية في الشارع الوطني عن مسرح الاحداث السياسية·

فعلى الرغم من التعاون المكشوف بين الانعزاليين وبين « اسرائيل » في المجالات العسكرية والصحية والتموينية في الجنوب ، وعلى الرغم من ابراز هذا التعاون بواسطة اجهزة اعلام « اسرائيل » من اذاعة وصحافة وتلفزيون ، فان حديث الزعامات التقليدية عن الجنوب ظل يركز على الدور « الاسرائيلي » وحده دون الاشارة الى دور الانعزاليين وتعاونهم الصريح مع العدو الصهيوني ·

ومن جهة اخرى كانت الرقابة من خلال منع نشر اخبار الجنوب لفترة طويلة نسبيا سببا في اخفاء حقيقة ما يدور هناك · اذ لم تسمح بنشر اخبار عن الجنوب حتى شهر اذار ثم ما لبثت ان « افرجت » اعلاميا عن الجنوب دون السماح بالحديث عما يجري على ارضه وفي قراه من اشتباكات وتعاون مع « اسرائيل » من جانب الانعزاليين ·
كذلك فان « براءات الذمة » التي كانت تعطى للقيادات الانعزالية من قبل بعض المسؤولين ، والاشادة بتعاون هذه القيادات من اجل استتباب الامن في لبنان عامة وفي الجنوب خاصة ، قد افسح المجال امام القيادات الانعزالية للتنصل مما يجري في الجنوب ، والخروج بتصريحات فحواها ان حل قضية الجنوب يتوقف على التعاون بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي (١) · وهذا يعني مضي الانعزاليين في تنفيذ المخطط بعيدا عن اي ضغط ·

لقد اراد الانعزاليون استخدام احداث الجنوب ورقة ضاغطة على الرئيس سركيس ومن ثم على الوضع اللبناني الداخلي وبالتالي على « اللجنة الرباعية » بغية تحقيق الاهداف التالية :

اولا ـ منع الرئيس سركيس من القيام بأية اجراءات على الصعيد الداخلي تتعارض مع سياسة « الجبهة اللبنانية » ٠

ثانيا ـ قطع الطريق على اية مطالبة تتعلق بتطوير الاوضاع السياسية في لبنـــان باتجاه يتعارض مع سياسة الامتيازات الطائفية السائدة والتهديد بموضوع « اللامركزية » الذي يؤدي عمليا الى ضرب وحدة لبنان ارضا وشعبا ٠

ثالثا ـ دفع « اللجنة الرباعية » العربية الى اتخاذ مواقف من نتائجها التضييق على الثورة الفلسطينية او التصادم معها فيما لو رفضت القبول بهذه المواقف ٠ وفي هذا الاطار كثر الحديث في الفترة الاخيرة عن تطبيق اتفاقية القاهرة بحسب التفسير اللبناني ـ الذي هو تفسير من جانب واحد ـ قبل البحث في موضوع الجنوب وقبل البدء في بناء الجيش اللبناني بحجة ان « الفلسطينيين » هم سبب الداء الذي يعاني منه لبنان ، وانه بدون المعالجة المسبقة لهذا الداء لا يمكن ان تكون عملية بناء الجيش متينة ولا يمكن ان يستقر الوضع في جنوبي لبنان ٠

وبالمقابل شجعت « اسرائيل » التعنت الانعزالي بغية تحقيق اهداف خاصة بها وهي :

اولا ـ تأزيم الوضع مجددا في لبنان ودفعه نحو الانفجار ٠

ثانيا ـ دفع الانعزاليين الى الارتماء اكثر فاكثر في احضانها كي تستطيع ان تحقـق اغراضها باستخدام ستارة لها في الجنوب ٠

ثالثا ـ السيطرة الكاملة على الشريط الحدودي واقامة حاجز امني لها هناك ٠

رابعا ـ فرض سيطرتها السياسية على المنطقة الحدودية بادوات لبنانية متعاونة معها الامر الذي يجنبها احراجات عدة على الصعيد الدولي ٠

اما من الناحية العسكرية ، فقد ظن الانعزاليون ان في مقدورهم استثمار « الانتصارات» التي حققوها منذ مطلع عام ١٩٧٧ بسيطرتهم على قرى « عديسة » و « دير ميماس » و « كفركلا » بالاضافة الى بلدة « الخيام » ، والاستفادة من حالة ضعف معنويات المواطنين في القرى المتاخمة للحدود ، ومعنويات المعسكر الوطني بالقياس الى ما كانت عليه سابقا ، واستغلال موقف الثورة الفلسطينية الداعـي الى عدم تصعيد الوضع العسكري في الجنوب، وتفسيره على انه موقف ضعـف من قبلها ٠

لكل هذه الاسباب السياسية والعسكرية اقدم التحالف الانعزالي ـ الصهيوني علـــى تأزيم الوضع في الجنوب ، حتى وصل الى درجة خطيرة ، باحتلاله قريتي « الطيبة » و « رب الثلاثين » ٠

**معركة « بنت جبيل » ٠**

في ٢٤ شباط ١٩٧٧ حاول الانعزاليون التقدم باتجاه بلدة « بنت جبيل » ، وتمكنوا من الوصول الى تلة « شلعبون » (٢) عند الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم بعد ان مهدوا لذلك بقصف مدفعي لمدة ثلاث ساعات ، تقدمت بعدها ناقلتا جنود (٣) مع شاحنة عسكرية نحو التلة وسيطرت عليها بعد انسحاب مقاتلي المجموعة الوطنية منها وعددهم سبعـــة تحت ضغط القصف المدفعي ٠

ونظرا لخطورة بقاء التلة في ايدي الانعزاليين على بلدة « بنت جبيل » تحركت القوات المشتركة فورا لاستعادتها قبل ان يتمكن الانعزاليون من تثبيت مواقعهم فيها · ورسمت الخطة على اساس مهاجمة التلة من جهتين بعد التمهيد لذلك بقصف مدفعي :

الاولى : تتقدم مجموعة من ناحية « صف الهوا » باتجاه التلة مباشرة متخذة شكل الهجوم الجبهي ·

والثانية : تتقدم مجموعة ثانية من جهة قرية « الطيري » لمهاجمة مجنبة التلة من الجهة الشمالية ·

وقد نفذت الخطة بنجاح ، واستطاعت القوات المشتركة استرداد التلة عصر ذلك اليوم نفسه بعد معركة مع الانعزاليين المدعمين بقصف مدفعي مساند من قبل « اسرائيل » · وكان من نتائج هذه المعركة تدمير ناقلة جنود انعزالية وسقوط العشرات منهم بين قتيل وجريح بينما خسرت القوات المشتركة شهيدين وسبعة جرحى ·

لقد كانت هذه المعركة المجابهة الفعلية الاولى التي وقعت مع الانعزاليين في الجنوب حتى ذلك التاريخ · اذ ان كل « المعارك » السابقة كانت عبارة عن اشتباكات بالمدفعية والرشاشات الثقيلة الى جانب بعض عمليات الاغارة المحدودة على كمائن الانعزاليين · اما « الانتصارات » التي ادعى الانعزاليون تحقيقها من خلال سيطرتهم على العديد من القرى الحدودية فانها لم تكن في الواقع ناتجة عن معارك حقيقية ، وانما عن انهيارات حصلت في الوضع الداخلي كما جرى في بلدتي « الخيام » و« مرجعيون » ، او بسبب عدم وجود قوات وطنية فيها لوقوعها تحت سيطرة نيران « اسرائيل » كما هو الحال بالنسبة الى قرية « عديسة » ، او بسبب قرار بالانسحاب ناتج عن الاعتقاد بعدم القدرة على الاستمرار في الصمود كما حصل في قرية « كفركلا » التي تعتبر بحق رمز الصمود في الجنوب · لهذا يمكن القول ان معركة « بنت جبيل » كانت بمثابة اول امتحان حقيقي في الجنوب بين القوات المشتركة والانعزاليين المدعمين بالاليات والاسناد المدفعي الاسرائيلي · واسهم هذا الانتصار في رفع معنويات المقاتلين الوطنيين ومعنويات المواطنين المقيمين في المنطقة ، خاصة انه جاء اثر انتشار شائعات عديدة عن سقوط بلدة « بنت جبيل » في ايدي الانعزاليين قبل المعركة بايام · ومنذ ذلك الحين لم تحصل مفاجآت على هذا المحور ، وبقي الوضع على حاله السابق من اشتباكات يومية بالرشاشات الثقيلة والقصف المدفعي ·

★ ★ ★

منذ الخامس والعشرين من شباط وحتى اواخر اذار ١٩٧٧ كانت الاشتباكات على محاور القتال في « بنت جبيل » و « الطيبة » و « مرجعيون » مقتصرة على القصف المدفعي ورمايات الرشاشات الثقيلة · الا ان الاجواء السياسية كانت تنذر بتصعيد الوضع العسكري من جانب الانعزاليين بغية احداث ضغوطات داخلية تخدم الاهداف السياسية التي سبق الاشارة اليها ·

وما ان اثير موضوع تعيين قائد جديد للجيش بدلا من القائد السابق العماد حنا سعيد، حتى بدأت تهديدات بعض الاطراف الانعزالية باثارة المشاكل لمنع اتخاذ مثل هذا القرار · وقد اعربت هذه الاطراف عن معارضتها العلنية لمثل هذه الخطوة وطالبت بتأجيل البحث في

موضوع الجيش ككل ، كما اعلنت عن عدم اقتناعها بامكانية استقرار الوضع في الجنوب الا بعد تنفيذ اتفاقية القاهرة بالتفسير المعطى لها من جانب واحد · واكدت بان معارضتها لتعيين قائد جديد للجيش لا يعني اعتراضها على شخصية القائد الجديد الذي تربطها به علاقات متينة · وحددت موقفها على اساس انه لا يجوز ابعاد الضباط الذين انحازوا الى جانب « الشرعية » وقاتلوا الى جانبها ضد « الغرباء » عن مراكزهم القيادية مهما كانت الاسباب ، بل يجب مكافاتهم وتقدير الجهود التي قاموا بها من اجل « حماية الوطن من الغرباء » ·

ان هذا الموقف من قبل القيادة الانعزالية يعني عمليا محاولة فرض وصاية على الرئيس سركيس وبالتالي على « اللجنة الرباعية » ، مع الاصرار على ابقاء الوضع متوترا في الجنوب · وقد ظهر موقفها هذا بمظهر المتعنت الذي يحاول ابتزاز المواقف السياسية باستخدام قضية الجنوب ورقة ضاغطة في وجه الرئيس سركيس و « اللجنة الرباعية » وبالتالي تكريس نوع من الهيمنة السياسية الكاملة على البلد ·

وبما ان ضغوطهم لم تفلح في منع اقالة قائد الجيش وتعيين قائد جديد بدلا منه،فقد لجأوا الى تصعيد الوضع العسكري في الجنوب بعد يومين من صدور قرارات الاقالة والتعيين ، واثر فشل الاضراب المفتوح الذي دعا اليه بعض اطراف المعسكر الانعزالي احتجاجا على القرار ، ظنا منهم ان الاوضاع تسمح لهم بتحقيق مكاسب عسكرية جديدة تقوي مركزهم السياسي في الداخل وتدفع الرئيس سركيس و « اللجنة الرباعية » الى استرضائهم وتقديم تنازلات سياسية لهم ، وتشكل في الوقت ذاته ردا قاسيا على قرارات الاقالة والتعيين ، وتحذيرا من المضي في سياسة لا يوافقون عليها ·

**معركة الطيبة**

اختار الانعزاليون قريتي « الطيبة » و « رب الثلاثين » هدفا لهجومهم العسكري ظنا منهم ان السيطرة على هاتين القريتين تمكنهم من السيطرة على قرى الشريط الحدودي حتى بلدة « بنت جبيل » بحيث يسهل بعدها توجيه ضربة عسكرية الى « بنت جبيل » من جهات ثلاث : عين ابل من الغرب ، ويارون من الجنوب ، وعيترون من الشرق ، تؤدي الى اسقاطها بمساعدة من « اسرائيل » ، فيصبح الشريط الحدودي بكامله من « علما الشعب » وحتى « الخيام » تحت السيطرة الانعزالية ـ الصهيونية ·

بعد دخول الانعزاليين الى قرية « عديسة » بتاريخ ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧٧ اصبحت « الطيبة » تشكل خطا اماميا في مواجهة التحالف الانعزالي ـ الصهيوني · وتقع « الطيبة » خلف « عديسة » وتبعد عنها حوالي اربعة كيلومترات · والى جانبها من الجهة الجنوبية تقع قرية « رب الثلاثين » وفيها تلة حاكمة تسمى « تلة رب الثلاثين » تشرف على محوري « الطيبة » ـ « القنطرة » ، و « عديسة » ـ « مركبا » · ونظرا لموقعها الهام اقام الجيش اللبناني فيها سابقا دشما من الاسمنت المسلح ·

عند فجر يوم الاربعاء ٣٠ اذار ١٩٧٧ تسللت مجموعة من الانعزاليين باتجاه « تلة رب الثلاثين » مستفيدة من الضباب الذي كان يلف المنطقة ، واستطاعت الوصول الى مسافة قريبة من التلة حيث كمنت هناك بينما كانت المدفعية الاسرائيلية تمطر المنطقة بقنابلها مستهدفة قرى « الطيبة » ، « دير سريان » ، « القنطرة » ، « الغندورية » و « رب الثلاثين » بالاضافة الى وادي الحجير وجسر القعقعية · ثم ما لبثت الآليات ان تقدمت

باتجاه التلة تحت ستار من نيران المدفعية ، وقدر عددها بحوالي احدى عشرة آلية ، بينها عدد من الدبابات ٠

وعند اقتراب الآليات تحركت المجموعة الكامنة بالقرب من التلة الى الدشم وهاجمت عناصر « القوات المشتركة » التي كانت متمركزة فيها وعددها احد عشر مقاتلا واستولت على الدشم بعد اشتباك استشهد فيه خمسة من المقاتلين وانسحب الاخـــرون باتجـــاه « الطيبة » ٠ في هذه الاثناء حاولت ملالة تابعة لجيش لبنان العربي في « الطيبة » ، نجدة المقاتلين في التلة ، ولكنها ما لبثت ان انسحبت امام كثافة نيران التحالف الانعزالي ـ الاسرائيلي متجهة نحو « دير سريان » ومن ثم « الغندورية » ٠

وكان لجيش لبنان العربي ملالة اخرى في الطيبة ، انسحبت هي ايضا باتجاه الغندورية ناقلة عددا من الجرحى اصيبوا في المعركة ٠

بعد سقوط « تلة رب الثلاثين » سيطر الانعزاليون عمليا على محور الامداد من جهـة « القنطرة » ـ « الطيبة » ، فانسحبت القوات المشتركة من « الطيبة » باتجاه « القنطرة » فدخلها الانعزاليون دون قتال فعلي ٠ ولم يكن بامكان الانعزاليين مهاجمة « الطيبـــة » بواسطة الآليات من جهة « عديسة » لان القوات المشتركة كانت قد نسفت العبارة الواقعة عند منتصف الطريق بين البلدتين اثر احتلال « عديسة » من قبل الانعزاليين ٠ ولذلك فان تقدمهم باتجاه « تلة رب الثلاثين » ومنها النزول الى الطيبة كان امرا مفترضا حصوله ٠ لذا كان على القوات المشتركة ان تعزز وجودها في التلة وفي « رب الثلاثين » ـ القرية ، بشريا وتسليحيا ٠ ومن جهة اخرى لم تكن لدى القوات المشتركة قوات احتياطية جاهـزة للتدخل ونجدة المراكز المحتاجة للمساعدة ، هذا بالاضافة الى غياب الاسناد المدفعي مـــن الجانب الوطني ٠

وعلى هذا الاساس يمكن القول ان القوات المشتركة لم تكن مهيأة جديا للدفاع عن البلدة عند تعرضها للهجوم ،مع ان الاجواء السياسية كانت تشير الى ان الانعزاليين كانوا يعدون لتصعيد الوضع العسكري ٠ وبنتيجة المعركة بلغت خسائر القوات المشتركة خمسة شهداء سقطوا في « تلة رب الثلاثين » ، وثلاثة اخرون اصيبوا اصابة مباشرة بقذيفة مدفـــع وهم يرمون على هاون ٨١ مم من على مرتفع « بيدر الفقماني » في « الطيبة » ٠

وبسقوط « الطيبة » و« رب الثلاثين » فتحت الطريق امام القوات الانعـزالية للسيـر باتجاه « بنت جبيل » على الطريق المحاذي للشريط الحدودي ٠ فدخلوا على شكل دورية مؤلفة من ثماني آليات ، قرى « مركبا » و « حولا » و « ميس الجبل » و « بليدا » دون مقاومة ٠ ولكنهم عندما اقتربوا من قرية « عيترون » تعرض لهم كمين عند مدخل البلدة وتبادل معهم اطلاق النار فتراجعوا دون ان يكملوا الطريق ، واستشهد مقاتل واحد من افراد الكمين ٠

لقد كان بامكان الوطنيين الاشتباك مع الدورية وانزال خسائر فادحة في صفوفها فـــي قرية « حولا » التي تعتبر معقلا وطنيا له تاريخه الحافل في العمل الوطني ، وهي القرية التي قتل الصهاينة العشرات من شبابها عام ١٩٤٩ ، ولكن هذه المقاومة لم تحصل بسبب الوضع المعنوي المتردي في صفوف ابناء القرية الذين سرعان ما انسحبوا بشكل غيـــر منظم عبر الوادي باتجاه القرى الخلفية ٠

كان لسقوط « الطيبة » و « رب الثلاثين » في ايدي الانعزاليين اثار سيئة من الناحيـــة المعنوية على المواطنين في الجنوب وحتى على المقاتلين في محاور القتال ٠وبدأت الاشاعات

تروج عن اقتراب سقوط بلدة « بنت جبيل » ، خاصة وان الاعلام الانعزالي قد اشار الى سقوط « القنطرة » و « الغندورية » ايضا بالاضافة الى قرى اخرى على الشريط الحدودي، الامر الذي ادى الى تزايد عملية النزوح من القرى القريبة من الخط الامامي للقتال باتجاه القرى الخلفية ، وباتجاه بيروت ايضا ٠

ازاء هذا الوضع كان لا بد من التحرك السريع عسكريا ، خاصة وان الاجواء السياسية باتت ملائمة لتوجيه ضربة عسكرية الى الانعزاليين الذين تمادوا في استفزازاتهم السياسية والعسكرية ، فكان القرار بضرورة استرجاع « الطيبة » و « رب الثلاثين » فورا ٠

وهكذا تم التحضير على عجل لهجوم شنته القوات المشتركة الوطنية يوم الجمعة في الاول من نيسان شاركت فيه خمس ملالات لجيش لبنان العربي مع مجموعة من عناصر المشاة بالاضافة الى الدعم المدفعي ٠ وكانت خطة الهجوم كما يلي :

١ ـ المجموعة الاولى تقدر باكثر من فصيلين من مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية مهمتها الوصول الى منطقة مشروع المياه في الطيبة واحتلاله والنزول منه بالتعاون مع المجموعات الاخرى لتطهير البلدة بكاملها ٠

٢ ـ المجموعة الثانية من مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية وتقدر ايضا باكثر من فصيلين ٠ مهمتها الوصول الى « تلة رب الثلاثين » والسيطرة عليها ٠

٣ ـ المجموعة الثالثة تقدر بفصيل من جيش لبنان العربي ٠ مهمتها احتلال قرية « دير سريان » التي تشكل الجناح الشمالي لبلدة « الطيبة » ٠

وقد دعمت المجموعتان الاولى والثانية بمدفعين م ـ د من عيار١٠٦مم و ٣ مدافع م ـ د من عيار ٧٥ مم بالاضافة الى ملالتين لجيش لبنان العربي ٠ اما المجموعة الثالثة فقد دعمت بثلاث ملالات تابعة لجيش لبنان العربي وسيارة لاندروفر عليها رشاش ٥٠٠ ٠

وفي المقابل كان الانعزاليون يحشدون في « الطيبة » خمس دبابات وعددا من المجنزرات لاسناد عناصر المشاة لديهم ٠

ولكن هذا الهجوم الذي مهد له بقصف مدفعي خفيف فشل بسبب الرمايات غير المحكمة للمدفعية وعدم وجود ارتباط وتنسيق جيدين بين المدفعية وعناصر المشاة المتقدمة من القوات المشتركة ٠ وكان من نتائج ذلك ان المجموعتين الاولى والثانية لم تتمكنا من الوصول الى اهدافهما ، فانسحبتا باتجاه قاعدة الانطلاق في « القنطرة » بينما استطاعت المجموعة الثالثة الوصول الى « ديرسريان » ، ولكنها ما لبثت ان انسحبت بعد انسحاب المجموعتين الاولى والثانية ، واستشهد في الهجوم الفاشل ثماني من مقاتلي القوات المشتركة بالاضافة الى ستة جرحى كانت جراحهم بسيطة ٠ وعلى الرغم من ذلك لم يكن فشل الهجوم مدعاة لليأس ، وانما كان حافزا لمزيد من الاصرار على استرجاع « الطيبة » مع الاستفادة من الاخطاء التي رافقت الهجوم الاول ٠

وعلى هذا الاساس حدد فجر يوم الاثنين ٦ نيسان موعدا للقيام بالهجوم الثاني بعد ان حشد له اكثر من ضعف العدد الذي تم حشده في الهجوم الاول ، واعتمد الحشد كليا على مقاتلي الثورة الفلسطينية بالاضافة الى عدد من مجموعات الاحتياط التي كانت جاهزة للتدخل عند الحاجة ٠ واعتمدت نفس الخطة التي كانت معتمدة في الهجوم الاول ، كما شاركت ملالتان تابعتان لجيش لبنان العربي في الهجوم ٠ وكلفت مدفعية « ارنون » بالرمي المدفعي الكثيف بغية عزل الاهداف التي كلفت مجموعات المشاة بالتوجه اليها ، ومنع وصول امدادات الى الانعزاليين المتمركزين فيها ٠

وكانت معنويات المهاجمين عالية ، ورافقها تنفيذ جيد للخطة الموضوعة وتعاون وتنسيق بين المدفعية والمشاة ، بحيث نجح الهجوم في السيطرة على الاهداف بسهولة · ولم يصب في المعركة من القوات المشتركة سوى مقاتل واحد ، كانت جراحه بسيطة · اما الانعزاليون فلم تعرف خسائرهم بالضبط فانسحبوا تاركين وراءهم دبابة مصابة بعطل بسيط من نوع « سوبر شيرمان م ـ ٥٠ » ( لا يوجد هذا النوع من الدبابات في الجيش اللبناني ، وانما هو متوفر في « الجيش الاسرائيلي » ) بالاضافة الى ناقلة جنود من نوع « م ـ ١١٣ » اصابتها هي الاخرى طفيفة · وعند تمشيط البلدة عثرت القوات المشتركة على جريح من افرادها كان قد اصيب بجراح في الهجوم الفاشل وظل مختبئا في « البلدة » فنقل الى المستشفى · كما عثرت ايضا على مواد غذائية معلبة من صنع « اسرائيل » وحوالي اثني عشر الف طلقة ذخيرة من عيار ٧ر١٢ مم ، وعدد من قذائف ب ـ ٧ و ١٢٠ قذيفة هاون ١٢٠ مم ، ورأس نمر خشبي مع شعار لحزب « الوطنيين الاحرار » نقل الى مدينة صور حيث طاف به المتظاهرون ابتهاجا · واثار الهجوم الناجح ، الذي قامت به القوات المشتركة ، ذعرا في اوساط الانعزاليين الذين قرروا فورا استعادة « الطيبة » و « رب الثلاثين » قبل ان تعزز القوات المشتركة وجودها فيهما · ولذلك قاموا عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر اليوم نفسه بهجوم معاكس مهدت له المدفعية الاسرائيلية بقصف عنيف من مستعمرة « مسكفعام » المجاورة لقرية « عديسة » · وشارك في الهجوم ٤ دبابات و ٣ ملالات « م ـ ١١٣ » ،اتجهت لاستعادة تلة « رب الثلاثين » · الا ان القوات المشتركة كانت قد زرعت الغاما مضادة للآليات على الطريق المؤدية الى التلة ، كما عززت وجودها فيها وفي قرية « رب الثلاثين » بالذات · وما ان اقتربت الآليات حتى بدأت الرمايات عليها ، واصطدم بعضها بالالغام فاعطب من جراء ذلك ثلاث دبابات تبين انها من طراز « سوير شيرمان » ايضا وملالتان تركت جميعها في ارض المعركة (٤) · وهكذا فشل الهجوم الاول المعاكس ، الذي قام به الانعزاليون بعد ان تكبدوا حوالي ١٧ قتيلا و٢٥ جريحا (٥) · وقد التقطت برقية لاسلكية تقول ان « الرائد قتل » ويعتقد بان المقصود هو الرائد سعد حداد قائد القوات الانعزالية في القليعة ، ولكن الانعزاليين نفوا ذلك واعترفوا فقط بانه جريح ، بينما استشهد من جانب القوات المشتركة خمسة من مقاتلي الثورة الفلسطينية والرقيب الاول حسن جابر قائد مجموعة جيش لبنان العربي ·

لم ييأس الانعزاليون من فشل الهجوم المعاكس الذي قاموا به قبل الظهر ، فاتبعوه بهجوم معاكس اخر عند الساعة ١٤ر٠٠ تحت رمايات المدفعية الاسرائيلية الكثيفة (٦) · وشارك في الهجوم اليات لم يعرف عددها بالضبط بسبب الضباب الذي كان مخيما على المنطقة · ولم يتمكن الهجوم الثاني ايضا من تحقيق اغراضه فانسحب الانعزاليون على اثره ·

لقد اتبعت القوات المشتركة في هجومها على « الطيبة » تكتيكا ناجحا كان جزءا من خطة الهجوم · ويقضي التكتيك بالقيام بتحركات واشتباكات في محور مرجعيون رافقه حشد للقوات في هذا المحور العام من اجل تضليل الانعزاليين عن الهدف الحقيقي للهجوم واجبارهم على توزيع قواتهم ·

**استرداد الخيام ·**

بعد استرداد « الطيبة » و « رب الثلاثين » ساد منطقة الجنوب نوع من الارتياح النفسي على الرغم من كابوس النزوح الذي خيم على المنطقة · وارتفعت معنويات المواطنين

والمقاتلين ارتفاعا كبيرا قابلها خوف وانخفاض في معنويات الانعزاليين الذين باتـــوا يترقبون الضربة التالية في محور مرجعيون ٠

وضعت القوات المشتركة الهدف الثاني لها استرداد بلدة « الخيـــام » التـــي كـــان الانعزاليون قد سيطروا عليها في ١٧ شباط ١٩٧٧ ، فنشرت الكمائن بالقرب من البلدة ، من مفرق الحمام شمالا ( مفترق طرق يؤدي الى الخيام وحاصبيا ومرجعيون ) وحتـــى اثكنة العسكرية في طرف البلدة من ناحية الجنوب ٠ وعند فجر يوم الخميس في ٩ نيسان ١٩٧٧ تقدمت مجموعة من القوات المشتركة باتجاه مبنى المدرسة الثانوية الكائن عند مدخل البلدة من الجهة الشمالية ـ الشرقية حيث كان يستعمل مركزا للحراسة ، وضربوه بعدة قذائف ب ـ ٧ ، وتبادلوا اطلاق النار لفترة وجيزة مع المسلحين المتواجدين فيه ، وعددهم حوالي ثمانية افراد ، ومن ثم تمكنوا من السيطرة على مبنى المدرسة ٠ وبعد ذلك دخلـت المجموعة الى البلدة وتغلغلت في شوارعها كما دخلتها مجموعات اخرى من عدة جهات ٠ كذلك تحركت العناصر الوطنية التي كانت قد دخلت البلدة تسللا في النهار ٠ اما الثكنـــة فلم يكن فيها سوى اثنان من العسكريين هربا منها عند اقتراب مجموعـــة من القـــوات المشتركة واطلاق عدة قذائف ب ـ٧ عليها ٠ ولكن على بعد حوالي ٧٥ مترا من الثكنـة كانت تتمركز دبابة وملالة باستلام عسكريين من ابناء « القليعة » على طريـــق « باب الثنية » المؤدي الى « القليعة » فجرى اشتباك معهما ، ولكنهما تمكنتا من الانسحـــاب باتجاه « القليعة » تحت ستار من نيران الرشاشات الثقيلة وقذائف المدفعية ٠

اما الذين تعاونوا مع الانعزاليين « والاسرائيليين » من ابناء « الخيام » فان البارزيـن منهم كانوا قد غادروا البلدة قبل يوم واحد من استردادها ، عندما شعروا بقرب نهايتهم، وهرب قسم اخر عند سيطرة القوات المشتركة على البلدة ، واعتقل الباقي للتحقيق معه ٠ ولم تتكبد القوات المشتركة في عملية استرداد « الخيام » اية اصابة ٠ اما الانعزاليـون من عسكريي القليعة فقد قتل منهم واحد وجرح اخر ٠

ومن جهة اخـرى تمكنت القوات المشتركة من اعـادة السيطرة على قرية « دبيـــن » ودخلت اول بلدة « مرجعيون » من الجهة الشمالية وتوقفت هناك دون ان تكمل طريقهـــا لاسترداد البلدة بكاملها لان الظروف السياسية لم تعد تسمح بذلك ، علما بان استرداد « مرجعيون » كان امرا سهلا في ظل الظروف العسكرية والمعنوية السائدة في صفـــوف القوات المشتركة ٠

★ ★ ★

لقد ارادت القوى الانعزالية ـ بدعم من « اسرائيل » ـ تصعيد الوضع عسكريا لتحقيق اغراضها السياسية ، الا ان النتائج التي حصدتها من جراء هذا التصعيد كانت سلبية ، فلقد فقدت الروح المعنوية التي كانت تتمتع بها ، وشعرت بانها في وضع خطر على الرغم من الدعم « الاسرائيلي » المقدم لها ٠ وانها بدلا من التمدد عسكريا ، خسرت مواقع كانت بحوزتها ـ الخيام ، ودبين ـ وهي هامة بالنسبة اليها ، كما تكبدت خسائر بالارواح والمعدات اكثر مما تكبدته في كل معاركها السابقة في الجنوب ٠ وبدلا من الانهيار الكامل الذي ارادت حصوله في الجنوب على الصعيد الشعبي ، اذا بالوضع يتماسك مجددا ، وترتفع معنويات جماهير الجنوب ومعها معنويات المقاتلين وتنهار بالمقابل معنويـــات الانعزاليين وتعلو صيحاتهم ، كما تعلو معها تهديدات « اسرائيل » ٠ ولذلـــك بـــدأت التصريحات على لسان القيادات الانعزالية وكلها تعكس حالة الذعر التي وصلت اليها في

الجنوب · واصدرت « الجبهة اللبنانية » الانعزالية مذكرة اذاعتها في مؤتمر صحفي وارسلت نسخا منها الى الرئيس سركيس و « اللجنة الرباعية » وبعض السفارات العربية والاجنبية تتضمن تهديدا واضحا بتدويل القضية اللبنانية اذا لم تذعن الاطراف المحلية والعربية المعنية لشروطها · كما بدأت تصريحاتهم تشير الى « الوضع الخطير » في الجنوب بعد ان كانوا يتجاهلون الموضوع قبل ذلك لانه في نظرهم « ليس خطرا كما يدعي البعض » (٧) ·

اما « اسرائيل » فقد اطلقت العنان لتهديداتها ، واعلنت على لسان وزير خارجيتها الون: « ان اسرائيل لن تسكت على الحاق الاذي بالقرى الصديقة لها قرب الحدود ، وبالاجراءات المتخذة للتعايش السلمي عن طريق الجدار الطيب » ·

لقد اراد الانعزاليون بان يكون يوم ٣٠ اذار ـ يوم سقوط « الطيبة » في ايديهم ـ يوم « التحول التاريخي لانتصاراتهم » على صعيد الجنوب ، فاذا به بداية تراجعهم وانهزامهم ·

## الحواشي

١ ـ تصريح بيار الجميل اليومي ـ جريدة النهار ١٢ـ٣ـ٧٧ ·

٢ ـ « تلة شلعبون» احدى التلال المطلة على بلدة « بنت جبيل » من ناحية «صف الهوا » ·

٣ ـ ناقلات الجنود الموجودة في هذا المحور هي من صنع سوفياتي من غنائم « اسرائيل » العسكرية في حرب ١٩٦٧ · اعطت عددا منها الى القوات الانعزالية في الجنوب ·

٤ ـ الدبابات والملالات التي اعطبت يمكن اصلاحها بسهولة ·

٥ ـ اعترفت « اسرائيل » في نشراتها الاخبارية في اليوم التالي بان عدد الجرحى « اللبنانيين » لديها بلغ ٢٥ جريحا ·

٦ ـ اعترفت « اسرائيل » في ذلك اليوم بان مدفعيتها قصفت القوات المشتركةزاعمة بان ذلك كان ردا على قصف مستعمرة « مسكفعام » ·

٧ ـ تصريح كميل شمعون الى مجلة « موندي مورننغ » نشرته جريدة النهار بتاريخ ٢٨ـ٣ـ١٩٧٧ ·

٨ ـ رصد اذاعة اسرائيل : ص ٨٨ ·

# هل من جديد في سياسة أمريكا العربية والفلسطينية ؟

د. ابرهيم أبو لغد

استعاد الحزب الديمقراطي الحكم في امريكا بعد انتصار جيمي كارتر على منافسة الرئيس الجمهوري السابق جيرالد فورد · ويتوقع الكثيرون امريكيا وعالميا ان ينهج الرئيس الجديد سياسة عالمية تختلف في تفاصيلها عن سياسة سابقه · وقد علق الكثيرون على ان اسناد وزارة الخارجية الى سيرس فانس ، واسناد منصب المستشار لشؤون الامن القومي الى السيد بريزنسكي اللذين حلا مكان هنري كيسينجر سيؤدي بلا شك الى تغييرات معينة في السياسة الامريكية · الا ان معظم المعلقين والمحللين يؤكدون بأن سياسة امريكا الخارجية لها جذور عميقة لا تتغير كثيرا بتغيير القادة ، مركزين على العوامل الموضوعية التي تشكل الاسس الرئيسية التي يبني عليها قادة امريكا سياستها الخارجية · ومما لا شك فيه ان هذه الاسس هي التي توجه السياسة الامريكية الخارجية ، مع العلم بأن فهم هذه الاسس وكيفية ترجمتها الى واقع عملي يتغير ويختلف باختلاف من يشرف على بلورتها الى برامج محددة قابلة للتنفيذ عمليا · ومن هنا يبرز دور الافراد القائمين على الحكم وعلى هوية الحزب الحاكم ·

وما يهمنا الان هو سياسة امريكا العربية والفلسطينية على وجه التحديد ، رغم ان هذه السياسة ترتبط ارتباطا وثيقا بسياسة امريكا العالمية ، الا اننا نركز في دراستنا هذه على السياسة المتعلقة بالمنطقة العربية ، فما هي اذن المنطلقات الاساسية لهذه السياسة ؟

## المنطقة العربية

تشكل المنطقة العربية الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي نقطة اساسية في المجتمع العالمي ، فهي منطقة يقطنها ما يزيد على مائة وخمسين مليون نسمة ، ذات مصادر اولية متنوعة مهمة عالميا وفي مقدمة ذلك النفط · تشكل هذه المنطقة جسرا هاما لكل دولة تطمح في فرض سيطرتها عالميا او في التاثير عالميا · فهي اذن كمنطقة ، بالغة الاهمية اقتصاديا وعسكريا وانسانيا لجميع دول العالم وخاصة الدول العظمى · والتاريخ يشهد بان ما من قائد عالمي الا وكان الطموح في السيطرة على هذه المنطقة من اولوياته السياسية والعسكرية · وما علينا الا ان نذكر بان الاسكندر المقدوني ، والدولة الرومانية

كمثال على هذا في التاريخ القديم ، والحروب الصليبية التي شنتها اوروبا في العصر الوسيط ، ونابليون وحلفائه الفرنسيين وبريطانيا في العصر الحديث · وبعد ان تمكنت الولايات المتحدة من فرض هيمنتها على العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، اتجهت بقواها المختلفة لتمكين وترسيخ هذه الهيمنة في المنطقة العربية الى ان اصبحت اليوم الدولة الموجهة لسياسة المنطقة العربية ·

**اسرائيل**

تشكل اسرائيل الركيزة الثانية لسياسة امريكا العربية ، ونحن نعلم بان نشوء اسرائيل في المنطقة العربية لم يكن عفويا او مصادفة ·فاسرائيل كانت ولا تزال نقطة اساسية في سياسة الاستعمار الغربي لتمكينه من ترسيخ التجزئة العربية ، ولاستخدامها لضرب حركة التحرير الوطني ، بوصفها قاعدة عسكرية تحمي الهيمنة الغربية · من هذه المنطلقات اتجهت سياسة بريطانيا التي مكنت الحركة الصهيونية من السيطرة على فلسطين ، ثم تحالفت الدولتان مع فرنسا في محاولة يائسة لايقاف مد التحرر الوطني في الخمسينات ، الى ان حلت امريكا مكان الاستعمار الغربي السابق في المنطقة العربية ، وتحالفت مع اسرائيل لنفس الاهداف · وكانت حرب حزيران هي ثمن التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي الذي ما زال مستمرا · ونشير هنا ، الى انه في اعقاب ازمة الطاقة ، اتجه صانعو الاستراتيجية الامريكية الى التفكير في الاحتلال العسكري لمنطقة الخليج ومصادر النفط ، وكل الخطط التي وضعها مفكرو امريكا اعتمدت تعاون اسرائيل العسكري مع المحاولات الامريكية ، بل اكثر من ذلك · اذ ان خطط الاحتلال العسكري المتواجدة في وزارة الدفاع الامريكية تطلب اولا هجمة عسكرية اسرائيلية تحميها من قواعدها القوات الامريكية في اسرائيل ·

ان اقرارنا باهمية اسرائيل كقاعدة وكاداة لتحقيق وترسيخ الهيمنة الامريكية في المنطقة العربية لا يعني مطلقا باننا نهمل الاهمية العاطفية و « الاخلاقية » للعلاقات الاسرائيلية ـ الغربية بشكل عام والعلاقات الاسرائيلية ـ الامريكية بشكل خاص · اذ ان تعاطف الحكومات والشعوب الغربية مع اسرائيل هو تعاطف حقيقي له جذور سياسية وتاريخية ·فشعور الشعوب المسيحية بالاثم نحو اليهود، شعور قوي وحقيقي لعب دورا اساسيا في توجيه سياسة دول اوروبا كما يلعب دورا هاما في توجيه سياسة امريكا انيا · اضافة الى هذا لا بد وان نذكر ان النفوذ السياسي للجاليات اليهودية ، والمنصب الطليعي لهذه الجالية اجتماعيا وحضاريا ينعكس في تقبل شرائح المجتمع الامريكي للاتجاهات السياسية التي تساندها هذه الجاليات نحو اسرائيل · ورغم اننا لا نعتقد بأن الراي العام له الدور الاساسي في توجيه السياسة الامريكية ، الا ان القوى الرئيسية الضاغطة والتي تؤثر في توجيه السياسة حساسة لهذه المؤثرات العاطفية والاخلاقية ، اضافة الى تحالفها المصلحي مع الفئات اليهودية النشطة · ومن هنا تبرز اهمية

اسرائيل على الصعيد المحلي الامريكي · اذن نخلص من هـــذا بـان اسرائيـل ليست قاعـدة ضرورية لاستمرار وتمكين الهيمنة الامريكية فحسب ، بل تشكـل حلقة هامة في المجتمع الامريكي ذاته ·

## الاتحاد السوفياتي

كان احتواء الاتحاد السوفياتي واضعافه سياسيا وعقائديا وتقليص نفـــوذه الدولي هدفا رئيسيا للسياسة الامريكية · وكان للانفتاح العربي عـلى الاتحـاد السوفياتي في الخمسينات ومتابعة ذلك في الستينات اثره القوي في مضاعفـة الولايات المتحدة لجهودها للحد من امتداد هذا الانفتاح وافساد العلاقـــات العربية السوفيتية · وقد دفع هذا الاتجاه الى زيادة الاعتماد الامريكي عـلـى اسرائيل من ناحية وعلى الدول العربية التي كانت وما زالت تتحفظ في علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي من ناحية اخرى · ولا نشك مطلقا بان عنف العلاقـــات الامريكية ـ العربية التقدمية كان نتيجة الذعر الاميركي لما يمكن ان ينتج مـن تغيير في موازين القوى العالمية اذا تمكن الاتحاد السوفياتي من ان ينشىء علاقات ايجابية مع جميع دول المنطقة ، وبالتالي من تأييد المنطقة العربية في تطلعاتها للقضاء عـلى النفوذ والهيمنة والاستغلال الامريكي · ورغم ان امريكا تعلم جيدا ان للخطر على المصالح الامريكية في المنطقة العربية نابع اصـلا من حركـات التحرر الوطني العربية التي ترمي الى ايجاد وتوطيد اسس المجتمعات العربية العادلة وانهاء الاستغلال في المنطقة · الا ان السياسة الامريكية تـــدرك جيـدا الدور المساعد الذي يؤديه الاتحاد السوفياتي لهذه الحركات · ولهذا كان « طرد » الاتحاد السوفياتي · وهو التعبير الذي استخدمه وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر هدفا رئيسيا في المنطقة العربية ، لا لان التعاون السوفياتي ـ العربـي يمكن الدول العربية من مواجهة اسرائيل بنجاح فحسب ، بل لان هذا التعـاون يؤدي في نهاية الامر الى تحرير المنطقة العربية من اثار الاستعمار الغربـــي عسكريا ، واقتصاديا وسياسيا ·

## العالم الثالث

يشكل العالم الثالث محورا رابعـا للسياسة الامريكية في المنطقة العربية ، اذ ان امريكا تحاول بقدر الامكان ان تمارس سياستها في هذا العالم بناء علـــى مبادىء وقوانين العالم الغير متكافىء · وان رغبة امريكا في الاستمرار فـــي السيطرة على الموارد الاولية ، وفي السيطرة على اسواق العالم الثالث ، وبقاء العالم الثالث في حالة التبعية للاستعمار الغربي ، ادى الى تبني سياسة أمريكية محددة هدفها الابقاء في الحكم على انظمة رجعية وبالتالي ضرب حركـــات

التحرر الوطني فيها ، ثم الحيلولة دون نجاح العالم الثالث في ايجاد صيغة معقولة للتحالف والتعاون الدولي · وقد قام العالم العربي بدور طليعي في ايجاد نوع من التنسيق السياسي والاقتصادي في العالم الثالث بحكم مكانه الجغرافي وبحكم انظمة وطنية سيطرت على اجزاء هامة فيه ، كالناصرية · وكان لنجاح العالم الثالث في ايجاد صيغ بناءة للتعاون والتحالف اثره الهام في مضاعفة جهود امريكا لضرب هذه الوحدة ، واعادة التجزئة لهذا العالم ، بهدف الانفراد بكل دولة على حدة · ومن هنا نشأ اهتمام امريكا بضرب حركات التحرر الوطني العربي لاضعاف مساهمة المنطقة العربية في تحرر اسيا وافريقيا بشكل خاص · ولا شك ان امريكا تدرك ادراكا جيدا مساهمة الامة العربية في حركات التحرر الافريقية ومحاولاتها الناجحة للقضاء على انظمة الاستيطان العنصري · والعالم الافريقي يدرك بان مساهمة العرب وخاصة مصر الناصرية والجزائر كانت مساهمة اصيلة ولم ترتبط بالمصالح السياسية المباشرة · وكلما ازداد اهتمام الولايات المتحدة بالمحافظة على الانظمة العنصرية كالبرتغال سابقا ، وجنوب افريقيا وروديسيا حاليا ، شعرت هذه باهمية احتواء حركة التحرر الوطني العربي لما يمكن لهذه الحركة ان تؤديه في استعجال القضاء على الانظمة الاستيطانية الاوروبية في افريقيا ·

## اوروبا

تشكل اوروبا الغربية المحور الرئيسي للسياسة الامريكية الخارجية · وربما لا نخطىء اذا قلنا بان اهتمام امريكا الاستراتيجي والعسكري في المنطقة العربية في الخمسينات والستينات كان نتيجة لاهتمام امريكا بالمحافظة على مكانتها الرئيسية في اوروبا الغربية · ومن هنا نشأ اهتمام امريكا للحصول على قواعد عسكرية في المنطقة العربية البحر اوسطية · وان التغييرات الجديدة في اوروبا وفي المنطقة العربية والتي نستطيع تلخيصها بانها تغييرات في تطلعات الدول الغربية من ناحية وتغييرات في الاهمية الاقتصادية للمنطقة العربية كان لها انعكاسات هامة في السياسة · اذ ان الجميع يدرك بان دول اوروبا الغربية بشكل عام تحاول جاهدة اضعاف تبعيتها للولايات المتحدة ، وهي تحاول تدريجيا التخلص من الهيمنة الاقتصادية الامريكية ، والسيطرة الامريكية على الصادرات العسكرية للمنطقة العربية · ولا شك بان فرنسا الديغولية لعبت دورا طليعيا في حركة الاستقلال السياسي والعسكري الاوروبي الى ان اصبح الاستقلال الاوروبي عن امريكا مطلبا اوروبيا شاملا · وتشاء الظروف المتغيرة ان يجد هذا المطلب وسيلة للتحقيق بعد حرب تشرين · فالدول العربية التي تنشد التنمية الاقتصادية تمتلك النفط وهو المصدر الرئيسي للطاقة في اوروبا · اذن اصبح من الممكن لدول اوروبا الغربية ان تنشىء علاقات مستقلة مع الدول العربيةبحيث تسير

اوروبـــا في طريـــق الاستقـلال الاقتصـادي ، وتتمكـن الـــدول العربيـــة من شراء التكنولوجيا الضرورية من اوروبا · ورغم ان تحقيق التحالف السياسي والاقتصادي بين المنطقتين يتطلب الكثير من التطورات النفسية والموضوعية · الا ان الباحثين في السياسة البعيدة المدى يدركون بانه من الممكن لدول البحـر الابيض المتوسط ايجاد صيغ مناسبة للتعاون والتحالف بحيث يمكننا ان نتصور انبثاق تحالف كبير مستقل له مقوماته واسسه الاقتصادية ، يستطيع ان يقف بنجاح ضد امريكا ويضعف هيمنتها في المنطقتين الاوروبية والعربية في آن واحد · واذا تم ذلك مستقبلا يمكننا ان نتصور مركز قوى عالمي جديد محوره غـــرب اوروبا والوطن العربي · ومن هنا ازداد اهتمام امريكا بالمنطقة العربية فـــي محاولة جديدة لاحتواء هذا الاتجاه الاستقلالي ولتكثيف العلاقات الثنائية بيـن الولايات المتحدة وكل دولة عربية على حدة ، في سبيل زيادة ربطها بالعجلة الامريكية · ويلاحظ كل مراقب قلق امريكا المتزايد من اقامة الجسور العربيـة ـ الاوروبية الغربية ومحاولاتها المتكررة للحيلولة دون ترسيخ هذه الجسور ·

## فلسطين والصراع الفلسطيني ـ الصهيوني

بالرغم من ان فلسطين هي جزء هام من المنطقة العربية ، الا اننا لا بد وان ندرك ونبرز خصوصية سياسة امريكا الفلسطينية وسياستها تجاه الصـــراع الفلسطيني الصهيوني · فاذا نظرنا الى خلفية السياسة الامريكية المعاصـــرة ندرك جيدا بان امريكا لم تعـر الشعـب الفلسطيني اية اهمية او نظرة خاصة ، واقامت سياسة شبيهة بالسياسة البريطانية تجاه الشعب الفلسطيني · فكمـا ان بريطانيا اعتقدت منذ ١٩٢١ بانه من الممكن لها ان تحقق وعد بلفور في فلسطين، وان تتغلب على معارضة ومقاومة الشعب الفلسطيني ان هي حظيت بتأييـــد الدول العربية لسياستها ، كذلك اتجهت امريكا نفس الاتجاه · ومن يقـــرأ مراسلات سفراء امريكا في المنطقة العربية في اواخر الاربعينات يدرك ادراكـا جيدا بان اهتمام امريكا « بفلسطين » كان منصبا على الدول العربية ·

ولهذا كانت امريكا وما تزال في سياستها تحاول ايجاد صيغة معقولة للحـل السياسي العربي ـ الاسرائيلي عبر تجاوز الشعب الفلسطيني ، معتقدة بحزم بان الدول العربية قادرة على اجبار الشعب الفلسطيني على قبول حل للصراع الفلسطيني ـ الصهيوني يضمن وجود الدولة الاستيطانية العنصرية في فلسطين· فامريكا اذن كبريطانيا في السابق تعتقد باصالة المطالب الوطنية الفلسطينية ، ولا تقدر اهمية هذه المطالب الوطنية سياسيا · وعبر السنوات الماضية تبنـــت امريكا ثلاثة انواع من السياسات نحو الشعب الفلسطيني ·

**اولا :** سياسة الاهمال اللين او سياسة الاغفال ، وهي السياسة التي عكست

انكارا كاملا للوجود الفلسطيني ٠

**ثانيا :** سياسة القبول الانساني الفلسطيني وضرورة ايجاد حل للمشكلة الانسانية باعتبارها مشكلة لاجئين لا بد من توطينهم في الوطن العربي ، اذا ارادت امريكا نوعا من الاستقرار في المنطقة العربية ٠

**ثالثا :** سياسة المواجهة العسكرية ـ السياسية التي تبنتها امريكا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بعد ان تحول الشعب الفلسطيني الى شعب ثائر يطلب التحرر الوطني ، وبعد ان طرح شعار الدولة الديمقراطية العلمانية ٠ عندها ، شعرت امريكا بالخطر الكبير الذي يشكله الشعب الفلسطيني لا لاسرائيل فقط بل للاستقرار في المنطقة العربية ٠ وقد ترجم هذا الموقف عبر عنف المواجهة الامريكية للشعب الفلسطيني الذي تجسد في اغراء اسرائيل وبعض الدول العربية لتصفية المقاومة الفلسطينية ، والحملة الاعلامية العالمية المسعورة التي وجهتها امريكا ضد الشعب الفلسطيني ككل ٠ ومن يعرف السياسة الامريكية يجد في سياستها المواجهة للشعب الفلسطيني امتدادا لسياستها العالمية التي هدفت وما زالت تهدف الى تصفية حركات التحرر الوطني المستندة الى برنامج سياسي ديمقراطي ، والتي تعتبر الثورة المسلحة اساسا لتحقيق هذا البرنامج ٠ فاذا لم يكن هناك دوافع اخرى لسياسة امريكا المعادية في المنطقة العربية ، فالطرح الفلسطيني يكفي لاخراج امريكا الى الساحة للحيلولة دون قيام نظام وطني تحرري في المنطقة ٠

هذه اذن هي الاسس الرئيسية للسياسة الامريكية في المنطقة العربية التي لا بد لمن يحكم الولايات المتحدة من الاهتداء بها ، في رسم برامج محددة من شأنها ان تزيد من المحافظة على المصالح الامريكية في المنطقة ٠ الا ان هذا لا يعني مطلقا بان السياسة لا تختلف باختلاف من يحكم ، ولكن الاختلاف هو اختلاف في التفاصيل وليس في الجوهر ٠ ولهذا لا بد لنا من تحديد خلفية الحزب الديمقراطي الحاكم ، حتى نفهم البرامج المعينة التي سيصيغها هذا الحزب من اجل تحقيق مصالح اميركا ٠

**١ ـ الحزب الديمقراطي ككل : ٠**

ان سياسة الحزب الديمقراطي المحلية والخارجية هي نتيجة المساومات والصراعات بين مراكز القوى في هذا الحزب ٠ ويمكننا اجمال مراكز القوى التي لها تأثير في السياسة الخارجية وخاصة في المنطقة العربية ـ بما يلي : فئات العمال والجالية اليهودية ومراكز الاعلام والهيئات النشطة في المدن الكبرى كنيويورك ، وشيكاغو ، ولوس انجلوس وفيلادلفيا وبوسطن ، والمثقفون ومركز اخر ظهر حديثا وهو مركز الامريكيين السود ٠ وهذه المراكز كلها من

انشط الفئات الامريكية تأييدا للصهيونية واسرائيل ، وهي معروفة بعدائها العنصري والسياسي للشعوب العربية بشكل عام · وربما يتمكن رئيس ديمقراطي من مقاومة الضغوط التي تمارسها هذه المراكز باستمرار ، الا اننا نعرف جيدا بان ما من رئيس ديمقراطي صمد امام هذه الضغوط · وعلينا ان نذكر بان ترومان وجونسون تبنيا سياسات معادية للشعوب العربية وحركة التحرر الوطني اولا استجابة لهذه الضغوط وثانيا لانتماءاتهما الشخصية والنفسية · وللعدل نذكر بان جون كنيدي حاول دون نجاح ان يتبنى سياسة اكثر اعتدالا الا ان مصرعه حال دون نجاحه في اكتمال معالم السياسة الجديدة ، والتي سرعان ما عادت الى اصولها العدائية ·

الا ان هنالك عنصرا اخر له فاعليته في رسم السياسة الامريكية من خلال الحزب الديمقراطي · اذ ان الفئات التي اشرنا اليها تعمل على الساحة الامريكية العامة ، وتترجم قوتها في الضغط على القوى التنفيذية والتشريعية وحملها على تبني وتنفيذ سياسات معادية لامال وتطلعات الشعوب العربية · الا ان الحزب الديمقراطي الحاكم يأتي بافراد للعمل في الوزارات المختلفة وهؤلاء هم الذين يعدون الدراسات العديدة التي يعتمدها الساسة · ومن البديهي ان هؤلاء الافراد التقنوقراطيون ينتمون في ولائهم الى هذه الفئات ، من هنا نجد ان ما يستند اليه النظام الحاكم هو من صنيع التقنوقراطيين المؤيدين لاسرائيل والمعادين للشعوب العربية ·

## ٢ ـ افراد الحزب الحاكم

لا شك ان للافراد الحاكمين اهمية خاصة في ترجمة السياسة الامريكية في المنطقة العربية · وما يهمنا الان هو تحديد اهتمامات الاشخاص الذين تشكل منهم الحكومة الاميركية المعاصرة · اما الرئيس كارتر ، فهو اولا بروتسانتي ـ معمداني وهذا له اهمية اسرائيلية خاصة · اذ انه نشأ وتربى في ظل نظام روحي يؤمن بضرورة وجود اسرائيل مسيحيا ، وتلعب تربيته الدينية دورا نفسيا في تحديد اتجاهاته نحو اسرائيل ، وقد عبر عن هذا الاتجاه مرات عديدة في تصريحاته الانتخابية · ونحن لا نشك بان لهذا العامل اثر هام في التوجه السياسي الامريكي ومن هنا نستطيع ان ندرك بان اسرائيل في وجودها وتوسعها واستغلالها ، ستشكل حلقة مركزية في نظرته العامة الى المنطقة العربية · ثانيا ، وقد ابدى كارتر عداء عجيبا تجاه الدول العربية المصدرة للنفط · وتجاه سياسة المقاطعة العربية لاسرائيل ، واعرب مرارا عن تصميمه على ابطال مفعول هذه المقاطعة والحد من امكانية الدول العربية للتأثير النفطي العالمي · نخرج من هذا بان صانع السياسة الامريكية لا يقل

عداء للشعوب العربية ولسياسة التحرر والاستقلال العربي عن سابقيه الديمقراطيين مثل ترومان وجونسون ٠

يحيط بكارتر افراد اخرون لهم وزنهم السياسي واتجاهاتهم السياسية الخاصة ٠ فبريزنسكي مثلا عرف بتأييده وعطفه على اسرائيل اذ انه نشأ في بيت بولندي في الثلاثينات ، وساهم والده في انقاذ يهود وارسو مما ادى الى نشوء عطف خاص لديه على مطالب اليهود بايجاد وطن لهم في فلسطين ٠ وقد قام باكثر من زيارة الى اسرائيل ٠ ومن المعروف بان اسرائيل اكرمت والده بمنحه وساما تقديرا لخدماته ليهود بولندا في الثلاثينات ٠ كما عرف هذا بعدائه الشوفيني للاتحاد السوفياتي ولكل الحركات اليسارية بما في ذلك الحركات العربية اليسارية ، ولهذا فان ارتباط اية دولة عربية او حركة فلسطينية بالاتحاد السوفياتي يؤدي آليا الى معاداته لهذه الدولة او الحركة ٠ وبريزنسكي كذلك هو من العلماء الذين يؤمنون بسياسة القوة وهو يعتقد بانه من الضروري لامريكا ان تتعامل ايجابيا مع اية دولة او حركة اثبتت قوتها او جدارتها ٠ ومن هنا نشأ احترامه لاسرائيل لانها اثبتت قوتها وجدارتها ، بينما لم تظهر الدول العربية مجتمعة او منفصلة جدارتها كما لم تظهر المقاومة الفلسطينية قوة و « جدارة » تستحقان احترام امريكا ٠ وهو لا يعتقد بان « القوة » العربية المعاصرة بامكانها ان تهدد مصالح امريكا ، اما « القوة » النفطية فهي قوة زائفة بامكان دولة كبرى كامريكا ان تفرغها من محتواها بحلول اجرائية اخرى ٠ اما سيرس فانس فهو بانتماءاته يميل الى سياسة القوة كذلك ٠ فقد عمل سابقا في وزارة الدفاع وهو مقرب من احد كبار اقطاب الحزب الديمقراطي كلارك كليفورد الذي كان وزيرا للدفاع في عهد جونسون وكان له ضلع كبير في حرب حزيران وفي بلورة الحلف العسكري الاسرائيلي ـ الامريكي ٠ ويميل هذا الى سياسة الامن عن طريق العمل الموثوق به ، وهذا الاتجاه يؤدي به الى الاشارة بتبني سياسة امريكية تعتمد اصلا على اسرائيل وعلى دول عربية لا خيار لها الا التعامل مع الولايات المتحدة ٠ كما يعتقد فانس بان الدول العربية منقسمة جذريا على نفسها وان مخاطرها ومخاوفها من بعضها البعض لا يقل عن مخاوفها من اسرائيل ، وهذا يؤدي به الى الاعتقاد بانه من الممكن لامريكا ان لا تتقبل الضغوط العربية لاتباع سياسة اكثر اعتدالا من النزاع العربي ـ الاسرائيلي لان الدول العربية سوف ترضخ للسياسة الامريكية مهما كان نوعها ـ وهي نفس السياسة التي اتبعها الرئيس جونسون ٠

هناك شخصان اخران لا بد من ذكرهما لما لهما من اهمية في الوزارة الامريكية الجديدة ٠ اما الاول فهو وزير الدفاع براون ـ وهو ليس براون الذي عرف بتصريحاته المضادة لاسرائيل ـ وهو عالم طبيعة كان يرأس معهد كاليفورنيا التكنولوجي ومهتم بشكل خاص بتطوير الاسلحة ٠ ويقال بانه ينتمي الى

اسرائيل بشكل او باخر ، ويحترم قدرة علمها وعلمائها خاصة في تطوير السلاح • ولا يعير المنطقة العربية اية اهمية بل على العكس فهو يحتقر شعوب العالم الثالث بشكل عام • واثناء الحرب الفيتنامية كان من انصار تطوير السلاح المناسب للقضاء على النضال الفيتنامي • ويتوقع الكثيرون ان يشير على كارتر بسياسة اكثر تصلبا تجاه المطالب العربية • اما الشخص الاخير فهو جيمس شليزنجر الذي كان وزيرا للدفاع اثناء حرب اكتوبر والذي اقام الجسر العسكري لاسرائيل حينئذ ، والذي اصبح مسؤولا عن امور الطاقة الان • وشليزنجر هذا يعرف بولائه لاسرائيل اولا ، ومعاداته لدول النفط العربية ثانيا وهو من « الصقور » الذين يشيرون بضرورة استخدام القوة والعنف ضد كل من تخول له نفسه اضعاف امريكا او حلفائها ، بما فيهم اسرائيل وجنوب افريقيا ، وكان قد دعا الى التدخل العسكري في انغولا ضد حركة التحرر الوطني هناك •

## التصور الامريكي لمستقبل الوضع والعلاقات في المنطقة العربية

يمكننا ان نجزم بان هناك تصورا امريكيا شاملا للمنطقة العربية يفترض اتباع وتنفيذ سياسات امريكية محددة • وان هذا التصور يشمل المحاور الرئيسية للعلاقات العربية ـ الامريكية والتي يمكننا عرضها كما يلي :

١ ـ المحور الاول وهو النزاع العربي ـ الاسرائيلي • ستحاول امريكا جهدها لتجميد الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى ان تتم الانتخابات الاسرائيلية والتي ستظهر مدى تصدع الجبهة الاسرائيلية الداخلية • وستستفيد امريكا من موضوع الانتخابات الاسرائيلية بشكل مباشر بحيث انها ستطلب من الدول العربية التريث الى ان ينجلي الموقف الاسرائيلي رغم ان هذا الموقف هو مجرد مناورة لكسب لوقت مما يؤدي الى تردي الجبهة العربية الضاغطة • وستشهد الاشهر القادمة ممارسات ضغط امريكية على الدول العربية بحيث تكثف تمزيق الصف العربي وتزيد من عزلة الدول العربية المتحفظة على سياسة الانفتاح ! وفي الوقت نفسه ، فان امريكا ستواصل مد اسرائيل بالاسلحة • كما وانها ستحاول ان تبيع الاسلحة لبعض الدول العربية لتظهر عدم انحيازها لتغيير قاعدة سلاح المنطقة بحيث تزيد من التبعية العربية لامريكا ، وتضعف بالتالي امكانات العرب الحقيقية للدفاع عن انفسهم.وهذا يعني بان امريكا سوف تبتعد تدريجيا عن ممارسة ضغط حقيقي على اسرائيل لاجبارها على الانسحاب الكلي من سيناء والجولان •

٢ ـ المحور الثاني وهو الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني • ان السياسة الامريكية ضد الثورة الفلسطينية لا تزال هي نفسها • السعي الى تصفية

الثورة الفلسطينية فكرا وعملا وواقعا · فكما قامت امريكا بتحريك الاوضـــاع في المنطقة في اواخـر الستينات كي تؤلب الدول العربية على الثورة الفلسطينية، فهي تمارس العمل نفسه اليوم لانهاء الوجود السياسي الفلسطيني · ان الخلافات داخل النظام الامريكي ، حول الصراع العربي الاسرائيلي ، والتي قامت بيـن فريقين : الفريق الاول ، ينتمي الى الشركات العالمية التي تريد استقرار المنطقة عبر ارضاء محور السعودية ـ مصر وتحقيق المطالب الوطنية الفلسطينية، بتكوين دولة فلسطينية في جزء من الضفة الغربية وغزة ( مع نزعها من السلاح ) وبين فريق ينتمي الى المؤسسة العسكرية ـ الصناعية والذي يرى ان الاستقـــرار لا يتحقق الا عن طريق حلفاء ثبت ولاؤهم للحلف الغربي ، وهذا يعني عـــدم القبول بمبدأ الدولة الفلسطينية التي يمكن ان تشكل عبر ارتباطها التاريخـــي بحركة التحرر الوطني خطرا مباشرا على استقرار المنطقة ككل · ويظهر ان الفريق الثاني رجحت كفته في الحزب الديمقراطي خاصة وان احداث المنطقـة العربية ذاتها ادت في نظرهم الى اضعاف الثورة الفلسطينية والى ابتعـــاد مصر والسعودية عن فكرة الدولة الفلسطينية · ومن هنا بدأ اهتمام امريكـــا بمحاولة ايجاد تسوية معقولة بين اسرائيل والاردن تضمن وجودا رمزيا للشعب الفلسطيني ·

٣ ـ المحور الثالث ، العلاقات الثنائية العربية ـ الامريكية · تحاول امريكـا جهدها ان لا تثير القلاقل داخل الوطن العربي وتحاول عدم مواجهة اية دولـــة عربية · اذ انها تعتقد بناء على تطور هذه العلاقات في السنوات الماضيـة ان المستقبل يبشر خيرا بالنسبة لامريكا · اذ ان الانظمة التقدمية الرافضة للهيمنة الامريكية ـ بدأت باتباع سياسات اكثر اعتدالا علـى الصعيديـــن العقائـــدي والسياسي وابتعدت بالتالي عن مواجهة امريكا ، وسياسة الانفتاح التي بـادرت اليها مصر وتبنتها دول عربية اخرى دليل واضح في نظر الساســـة الامريكيين بان المنطقة تسير تدريجيا في الاطار الامريكي · واهم مـن هـذا كله تضخـم العلاقات الاقتصادية العربية الامريكية ليس بين الدول النفطية وامريكـا فقـــط بل بين جميع الدول العربية بما فيها الدول التقدمية وامريكا · ويعتقد الساســة الامريكيون بان نمط التطور الاقتصادي الذي اختارته الدول العربية جميعـــا ، والذي يعتمد التصنيع والتكنولوجيا لا بد في نهاية امره من ان يؤدي الى المزيد من التغلغـل الاقتصادي الامريكي في جميـع انحـاء الوطـــن العربـــي ·

يمكننا من هذا العرض السريع العاجل ان نستشف الاهـداف الامريكيـــة العريضة في المنطقة العربية ككل في المدى المتوسط :

١ـ استقرار المنطقة · ان استقرار المنطقة العربية بما في ذلك استقـــرار العلاقات العربية ـ الاسرائيلية ، يشكل الهدف الرئيسي الاول للسياســـة الامريكية ·وهذا الاستقرار لا يعـني السلام في المنطقة اذ ان حالـة التوتـــر

المضبوط اكثر فائدة لامريكا من حالة الانفراج الكامل • ولهذا ستعمل امريكا جهدها لوضع العلاقات العربية ـ الاسرائيلية في اطار استقرار على المدى المتوسط ، وسوف تبتعد عن ممارسات ضغوط من شأنها ان تعجل في الانفجار او في الوصول الى سلام دائم •

٢ ـ متابعة خط تصفية الوجود الثوري الفلسطيني ، لان الثورة الفلسطينية وبالتالي اية حركة ثورية عربية سوف تحدث انقسامات في المنطقة تهدد الاستقرار الدائم ولانها تهدد الكيان الاسرائيلي •

٣ ـ متابعة ابعاد الاتحاد السوفياتي عن المنطقة العربية بحيث يعود الاتحاد السوفياتي دولة هامشية في المنطقة العربية •

٤ ـ تكثيف العامل الاقتصادي بين المنطقة العربية وامريكا بحيث تصبح هذه المنطقة تابعة للاقتصاد الامريكي وتترك للشركات الامريكية حرية العمل في المنطقة ، وتبقي توريد الفائض من ارباح النفط الى البنوك الامريكية لاستخدامها في الاستثمارات العالمية • وامريكا تأمل في ان تحافظ على هيمنتها العالمية باستخدامها لاموال النفط العربية وادارتها •

٥ ـ تأمين وصول النفط الى امريكا دون ان يشكل هذا سلاحا في ايدي دول عربية تبغي مصالح سياسية محددة •

٦ ـ دعم وتأمين مركز اسرائيل الدائم في المنطقة ، وسيتخذ هذا الدعم اشكالا متعددة ، اقتصاديا باستمرار تدفق المعونة الامريكية لتقوية اسرائيل وتوسعها، وعسكريا باستمرار تدفق الاسلحة الحديثة ، وسياسيا بدعمها عالميا • فجميع المؤشرات تؤكد بان امريكا لن تطلب من اسرائيل ازالة مستوطناتها البشرية من الجولان وسيناء بما في ذلك المدينة الجديدة « يميت » شمال العريش او شرم الشيخ • ويمكننا ان نجزم بالرغم من كل الظواهر بان اسرائيل ستبقى دائما الشرطي الامين الذي سينفذ ما تمليه السياسة الامريكية • ولذا سوف ترفض امريكا ان تتبنى سياسة في المنطقة من شأنها ان تضعف الوجود السياسي او العسكري الاسرائيلي •

مما لا شك فيه ان سياسة امريكا العربية لا تختلف في جوهرها عن السياسة التي اتبعها الحزب الجمهوري السابق الا انها تختلف في بعض تفاصيلها وفي اخراجها • ستوجه هذه السياسة ضرباتها بالقطعة بدل ان تكون بالجملة • وفي النهاية ستحاول ان تفرغ المنطقة من مكتسباتها التاريخية باللين والحسن • هذا ما تسعى اليه امريكا وعلى الشعب العربي ان يعد العدة لمتابعة مسيرته التحررية رغم نكسات السنوات القليلة الماضية •

# افريقيا ٧٧ .. الحتميّات .. والاحتمالات

سمير كرم

السبعينات الافريقية

لم تعرف افريقيا فترة استقرار مستمر طويلة ، ولو نسبيا ، منذ اوائل الخمسينات حتى الان · فمنذ اوائل الخمسينات بدأت حركات التحرر الوطني والحركات الاستقلالية كما كانت تسمى انذاك ، تهز اركان الامبراطوريات الاستعمارية الكبيرة ( البريطانية ، الفرنسية ، البلجيكية ) · وبدأت هذه الحركات تجني ثمار النضال المسلح وغير المسلح مع اواخر الخمسينات ، واشتد عنفوان حركتها وتصاعدها في اوائل الستينات ، حيث كانت عبارة رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكميلان ـ انذاك ـ « ان رياح التغيير تهب على افريقيا » · ثم اتسمت الستينات الافريقية ـ الى جانب نيل عدد كبير من الدول الافريقية استقلالها الوطني وبقاء جيوب قليلة العدد من المستعمرات ـ بسمتين اساسيتين : اولاهما بدء النضال المسلح في المستعمرات البرتغالية ، التي تأخرت عن باقي المستعمرات في القارة في وصول مضمار النضال المسلح لاسباب موضوعية عديدة · والثانية بدء سلسلة الانقلابات والانقلابات المضادة ، التي تعاقبت على الدول الافريقية الحديثة الاستقلال ، وكانت في جوهرها رد الفعل الامبريالي على « رياح التغيير » الثورية في افريقيا ، والوسيلة الى احلال الامبريالية الاميركية ـ بنمطها الاقتصادي في الاساس ـ محل الامبراطوريات القديمة التي تداعت في اواخر الخمسينات واوائل الستينات : البريطانية والفرنسية والبلجيكية ·

وفي بداية السبعينات ، نستطيع ان نلاحظ الامور التالية :

**(١) كانت حروب المستعمرات البرتغالية قد بلغت ذروة خطيرة لم يبلغها النضال المسلح في افريقيا من قبل ( باستثناء حرب التحرير الجزائرية ) سواء من حيث استمراريتها في الزمن ، او من حيث التضحيات التي بذلها الطرفان فيها ، بشريا وماديا · وبدأت بوادر انهيار الامبراطورية البرتغالية ·**

**(٢) كانت سلسلة الانقلابات والانقلابات المضادة قد رتبت الاوضاع على نحو معين في عدد كبير من دول القارة يلائم الامبريالية الاميركية واساليبها في الهيمنة الاقتصادية ( استثمارات تحكم القبضة على مناجم الثروة الطبيعية وتحدد في الوقت نفسه قنوات التجارة الافريقية ، استيرادا وتصديرا ، من خلال احتكارات محددة ) ·**

**(٣) في الوقت نفسه كانت حركة التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي في دول القارة تأتي بتغييرات تتحدى النظم التي رتبت بوجودها تلك الاوضاع الملائمة للامبريالية ، مفشلة حركة الانفصال في «بيافرا» وتوطدت النظام الوطني في نيجيريا ، وتهاوى النظام الامبراطوري**

**الاقطاعي التقليدي في اثيوبيا · وصمدت الثورة الاجتماعية في غينيا بزعامة احمد سيكوتوري في وجه كل المحاولات الانقلابية ( محاولات الغزو الامبريالي من الخارج ، وتدعمت النظم التحررية في تانزانيا والكونغو برازافيل ) ·**

**(٤) نمت قدرة النضال المسلح لدى حركات التحرر الوطني في الجنوب الافريقي ( جنوب افريقيا وناميبيا ) وفي روديسيا ، وهي الاقاليم الافريقية الثلاثة التي يسيطر فيها استعمار استيطاني ابيض ·**

وخلال النصف الاول من السبعينات فان ايقاع الاحداث بدأ اسرع كثيرا مما كان طوال الحقبة الماضية منذ اوائل الخمسينات · وبدأ ذلك بشكل خاص منذ انهيار النظام الاستعماري في البرتغال تحت وطأة النضال المسلح الذي مارسته حركات التحرر الوطني في غينيا ـ بيساو والرأس الاخضر ، وفي موزمبيق ، وفي انغولا ، على الرغم من كل الدعم الذي قدمه حلف شمال الاطلسي ، عسكريا واقتصاديا لنظام الدكتاتور سالازار والدكتاتور كايتانو من بعده · وهكذا فان وقوع « حركة القوات المسلحة البرتغالية » ـ التي قادها ضباط شبان في اغلبهم ممّن خدموا في حروب النظام الدكتاتوري واحتكوا بالثوار الافريقيين وافكارهم ، بقدر ما احتكوا بهم عسكريا ـ في نيسان ( ابريل ) ١٩٧٤ جاء بمثابة منعطف جديد في تاريخ افريقيا ( كما في تاريخ البرتغال ) · فبعد استقلال المستعمرات البرتغالية السابقة صار حصار التحرر الوطني مضروبا بصورة لم يسبق لها مثيل حول النظم الاستعمارية الباقية في روديسيا وجنوب افريقيا وناميبيا ، فضلا عن « ارتيريا » · ذلك ان استقلال موزمبيق وغينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر ، واخيرا انغولا قد احدث تغييرا هائلا في الخريطة السياسية ( والاستراتيجية ) لافريقيا · ربما لا يقاس به اي تغيير منذ بداية الخمسينات ·

والان ، ونحن نرصد نبض حركة الصراع في افريقيا ، وعلى افريقيا ، نلمس ان ايقاع التطورات يزداد بسرعة في الاشهر الاخيرة بصورة جعلت افريقيا مرة اخرى تعود الى بؤرة الاهتمام العالمي ، حتى لتكاد تستقطب الاهتمام دون كل مناطق التفجر الاخرى · خلال الاشهر الثلاثة الاولى فقط من العام الحالي تفاعلت عوامل عسكرية وسياسية وايديولوجية وطبقية ، وحتى قبلية ، لتصنع سلسلة من الاحداث السريعة المتعاقبة التي تبدو لاول وهلة وفي الظاهر وكأن لا رابط بينها : صراع السلطة داخل المجلس العسكري الحاكم في اثيوبيا واعدام عدد من اعضائه ، واشتداد قبضة رجل الحكم القوي منغستو هيلي ماريام ـ حوادث اوغندا حيث قامت محاولات متلاحقة غامضة لانقلاب ضد رئيسها عيدي امين ، ومصرع رئيس اساقفة اوغندا واثنين من الوزراء ـ فشل محاولة لغزو جمهورية « بينيه » ( داهومي ) ـ فشل محاولة انقلاب في تشاد ـ اغتيال الرائد ماريان انغوابي رئيس جمهورية الكونغو ( برازافيل ) واعدام الرئيس الكونغولي السابق الفونسو ماسيمباديبا لادانته بتدبير هذا الاغتيال ـ اضطراب الاوضاع الداخلية في زائير وتجدد النشاط المسلح لقبيلة « لوندا » في اقليم « شابا » ( كاتانغا ) ·

فهل لا توجد ـ بالفعل ـ علاقة بين هذه الاحداث المتلاحقة ؟ واذا كانت ثمة علاقة ، فايها يمثل المحور الرئيسي ؟ وبعبارة اخرى اين المكمن الرئيسي للصراع في افريقيا الان ، وسط هذه الاحداث المتعددة الجوانب والممتدة على نطاق بالغ الاتساع في القارة الافريقية ، من غربها الى شرقها الى جنوبها ؟ والواقع ان هذا التساؤل يكتسب اهمية في مدى حقيقة اجتذاب افريقيا في الفترة الاخيرة لنشاطات اقليمية ودولية ـ متعددة

الاطراف ايضا ، فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والصين الشعبية وكوبا ، والمغرب ومصر والسودان ٠

ان من قبيل التبسيط الاعتقاد بان بالامكان الاجابة على السؤال عن دلالة ما يجري في افريقيا بالاستناد الى المعطيات المباشرة ـ الظاهرية ـ للاحداث ٠ فلا بد من رؤية ظواهر هذا الصراع على خلفية من التيارات التي يخلق تفاعلها في القارة ذلك الوضع المضطرب ؟ ولا بد من رؤية هذا الصراع من خلال الاطراف المكونة له ، سواء المحلي منها او الدولي ! ولا بد من رؤية هذا الصراع ايضا بهدف تحديد **اتجاهه الرئيسي** حتى لا يتوه التحليل في الثانويات والفرعيات ، ولا بد اخيرا من ان تؤدي مثل هذه الرؤية ـ لكي تكون لها جدوى عملية ـ الى **تصور مستقبلي** موضوعي ، او اقرب ما يكون الى الموضوعية في الحدود التي توفرها معطيات الحاضر وتجارب الماضي ٠

★★★

يمكننا ان نفصل الاسباب والعوامل المتداخلة وراء احداث القارة الافريقية الراهنة ، والتي تشكل التيارات المتفاعلة فيها ، في النقاط التالية :

**اولا ـ المصاعب الاقتصادية الجمة التي تواجهها معظم الدول الافريقية المستقلة ٠**

فقد حالت تلك الصعوبات دون تحقيق مستوى كاف من النمو الاقتصادي يحقق الامال والتوقعات التي واكبت الحصول على الاستقلال السياسي ٠ ان معظم الدول الافريقية قد دفع اقتصاديا ثمن الهيمنة الامبريالية على مصادر ثروته وعلى اسواقه من معدل نموه الاقتصادي ( اجمالي الانتاج القومي ـ دخل الفرد الواحد ـ توفر المزيد من الوظائف باطراد الايدي العاملة الجديدة التي تدخل سوق العمل سنويا ) ٠

ولقد قدرت « اللجنة الاقتصادية لافريقيا » التابعة للامم المتحدة انه من الضروري ان يرتفع دخل الفرد في دول القارة بنسبة ٣ في المائة سنويا ـ على الاقل ـ حتى تلبي هذه الدول ـ بصورة متواضعة ـ حاجات سكانها المتزايدين ٠ ولكن الواقع ان اقل من نصف عدد الدول الافريقية نجح في بلوغ هذه النسبة « المتواضعة » ٠ فان عدد الدول التي استطاعت خلال السنوات العشر الماضية بلوغ معدل نمو لدخل الفرد يساوي ٣ في المائة سنويا لم يتجاوز ١٨ دولة تشكل ٢٠ في المائة فقط من مجموع سكان دول القارة ٠ ومن باقي الدول ، فان خمسا تضم ٢٠ في المائة من السكان حققت نموا سنويا في دخل الفرد في حدود ٢ في المائة ٠ بينما بلغ هذا النمو في ٢٣ دولة افريقية تضم ٦٠ في المائة من سكان القارة اقل من ٢ في المائة ٠ واذا بقينا مع الارقام ودلالاتها الاقتصادية فاننا نجد ان **معدل نمو اجمالي الانتاج القومي لاجمالي دول القارة** بلغ حوالي ١ في المائة فقط سنويا خلال السنوات العشر الماضية ، وكان الوضع افضل خلال السنوات العشر الاسبق ٠

وتشكل البطالة احدى المشكلات المزمنة ، وبالتالي احد عوامل الاضطراب في كثير من الدول الافريقية ٠ ومما يزيد من تعقيدها ان نسبة عالية من العاطلين في دول افريقيا هي من بين الافراد الاوفر حظا من التعليم ، والاكثر تركزا في المدن الكبرى ٠ مع ملاحظة ان الزيادة في تعداد سكان المراكز الحضرية ( المدن ) في افريقيا هي في معظم الاحيان ضعف الزيادة السكانية العامة ٠ وقد تصل الى اربعة او خمسة امثال تلك الزيادة ٠ وعدا استثناءات قليلة فان الزيادة في تعداد سكان المدن تتركز اساسا في العواصم ٠

**ثانيا ـ الاختلال الكبير في توزيع الثروة ٠** فحتى في الدول التي حققت خلال السنوات العشر الماضية معدلا معقولا للنمو الاقتصادي ( مثل نيجيريا وزائير وكينيا ) كان توزيع

الدخل القومي مختلا بدرجة كبيرة ، حتى انه ادى في حالة زائير الى التاثير سلبيا على معدل النمو الاقتصادي في الفترة الاخيرة ٠

ان معظم حكومات القارة ـ وخاصة تلك التي لا تسير على خطة اقتصادية شاملة ـ تعطي اولوية كبيرة للقطاع الحديث من الاقتصاد ، وهو قطاع ينحصر في المناطق الحضرية. اكثر بكثير مما تعطي للقطاع الزراعي الذي يضم ٨٠ في المائة من السكان ، والذي يأتي منه النصيب الاكبر من رأس المال المحلي ٠ وهذه السياسة لا تحرم القطاع الزراعي من الاستثمارات المطلوبة لتطوير انتاج وتسريع نمو رأس المال المحلي فحسب ، بل انها ـ ايضا ـ تشجع التدفق البشري من المناطق الريفية الى المدن ٠ وقد اصبحت **الهوة الفاصلة بين مستوى حياة المناطق الريفية والمناطق الحضرية في دول افريقيا واسعة « الى حد مؤلم »** حسب تعبير مراسل غربي تخصص في الشؤون الافريقية هو البريطاني كولين ليغوم ( الاوبزرفر ) ـ الذي لاحظ ان الرئيس جوليوس نيريري رئيس جمهورية تانزانيا هو الزعيم الافريقي الوحيد الذي مضى الى ابعد الاشواط في محاولة الحفاظ على سلم اولويات اقتصادية ملائم يثور على سلم الاولويات التقليدي ٠ وقد ترك اثرا عميقا لدى الشباب الافريقي في معظم بلدان القارة ٠

والتفاوت الكبير في توزيع الثروة ليس قاصرا على ذلك القائم بين القطاع الريفي والقطاع الحضري ، وانما هو يمتد الى داخل كل من القطاعين ، وبصورة خطيرة اثارت وتثير صراعات طبقية حادة في معظم بلدان القارة **وان كانت هذه الصراعات تتخذ في بعض الاحيان مظاهر غير طبقية على السطح** ٠ ( ومثال احداث زائير الاخيرة ـ كما سنرى ـ هو نموذج واضح لانعكاسات التناقضات الطبقية الحادة داخل المجتمع ) ٠

ثالثا ـ **التفتيت الاقليمي الحاد للقارة** ٠ فان افريقيا هي اكثر قارات العالم معاناة من عملية « البلقنة » ، التي تلعب فيها العوامل القبلية والدينية والعنصرية والتاريخية ادوارا متداخلة ومتفاوتة ٠

ان سكان قارة افريقيا البالغ مجموعهم حوالي **٣٥٠ مليون نسمة** موزعون بين ٥٤ بلدا ( تشمل البلدان المستقلة والتابعة ) ٠ ولكن يلاحظ **ان اكثر من ثلث هؤلاء السكان يتركز في ثلاث دول كبيرة هي نيجيريا ومصر واثيوبيا ٠ وثلث اخر يتركز في ثماني دول تالية في الحجم** لهذه الدول الثلاث ( هي زائير ، جنوب افريقيا ، السودان ، الجزائر ، المغرب ، تانزانيا ، كينيا ، وغانا ) ٠ اما باقي سكان القارة ـ حوالي ١٠٠ مليون نسمة ـ فانهم موزعون بين ٣٩ بلدا ٠ وبين هذه البلدان فان ١٤ فقط تضم عددا من السكان يتراوح بين ٣ ملايين و ٦ ملايين نسمة ٠ اما باقي بلدان القارة ـ ٢٥ بلدا ـ فان كلا منها لا يتجاوز عدد سكانه المليون نسمة ٠

الحقيقة الاساسية التي تكشفها هذه الارقام هي قصور البنية السياسية لمعظم دول القارة عن المستوى الضروري لتطوير نظام اقتصادي كفوء وتطوير نظام امني فعال ٠ ويزيد من تفاقم هذا الواقع ان معظم سكان القارة منتشرون على مساحات تربو على مساحات عدة دول صناعية مجتمعة ٠ وفي مثل هذا الوضع يسود الفقر ، ويسود عدم الاستقرار ، وبالتالي يسود انعدام الامن ٠

وربما نلاحظ **وجود اتجاه ـ منذ وقت ليس بقصير ـ نحو التكامل الاقتصادي الاقليمي ٠ ولكن هذا الاتجاه بدوره ليس خاليا من الصراعات والعداءات القبلية ، فضلا عن خضوعه لاعتبارات الهيمنة الاقتصادية الامبريالية** التي لا تتوجه ، بطبيعة الامور ، نحو

تحقيق المصالح الاقتصادية المباشرة للبلدان الافريقية ، وانما نحو تحقيق المصالح الاقتصادية الاجنبية · وبما تنطوي عليه محاولات التكامل الاقتصادي الاقليمية من تناقضات ( كما هو الحال بالنسبة للتكامل الاقتصادي بين دول شرق افريقيا : تانزانيا وكينيا واوغندا ) فان هذا الاتجاه نفسه ينطوي على احتمالات توتر وصدام بين دول افريقية متجاورة ، وهو ما حدث فعلا ـ على سبيل المثال ـ بين كينيا واوغندا · في هذا المجال تنشأ مشكلات تتعلق بتوزيع مصادر الطاقة ( كالمياه ) او بتحديد المياه الاقليمية او الحدود ( خاصة حيث احتمالات وجود ثروة معدنية كالنفط ـ كما هو الحال في النزاع على تحديد المياه الاقليمية بين ليبيا وتونس ) ·

**رابعا ـ انهيار وحدة الاحزاب السياسية التي قادت النضال الاستقلالي في المراحل السابقة في عدد كبير من دول القارة ·**

ان الاحزاب والقوى السياسية التي برزت على رأس البنى السياسية في الدول الافريقية عند حصولها على استقلالها قد اصيبت بتصدع خطير ـ ربما لاسباب او نتيجة للمؤامرات الخارجية والانقلابات ـ زعزع مكانتها او قضى على دولها في الحياةالسياسية لتلك الدول· الامر الذي اثر على التوجه الوطني التحرري فيها · لقد كانت القوى السياسية التي ناضلت من اجل الاستقلال وتسلمت السلطة في الدول الافريقية لدى استقلالها ـ في معظم الاحوال ـ جبهات متحدة من احزاب وتنظيمات متعددة يجمع بينها في الاساس هدف واحد ، هو هدف تحقيق الاستقلال · الامر الذي ادى الى **بزوغ الخلافات الايديولوجية** والاجتماعية بينها بعد ان تحقق الهدف الذي كان يجمع بينها قبل الاستقلال · وهكذا طفت على السطح التناقضات والخلافات في المصالح والاماني القبلية والاقليمية والايديولوجية والاقتصادية · وتصاعدت فعليا ـ في بعض البلدان ـ الى حد الصدام الدموي · وهكذا ظهر **صراع السلطة كعامل خطير في استقطاب القوى وزيادة حدة انقسامها بين قوى محافظة وقوى « راديكالية »** · ( وهنا ايضا يبرز نموذج احداث زائير الاخيرة ) ·

وفي الحالات التي نشأت فيها عن صراع السلطة توازنات جديدة بين القوى فقدت السلطة الحكومية فاعليتها ، وافضت هذه النتيجة بدورها ـ في عدد من دول القارة **الى صعود العسكريين الى السلطة ·**

وفي هذا الصدد يلاحظ ايضا ان عددا كبيرا من الدول الافريقية قد اخفق في تحقيق استقرار دستوري مما فجر بصورة حادة مشكلة الديمقراطية في تلك الدول · فان هذه الدول لم تصل الى وضع دستور دائم يكفل وجود مؤسسات تمارس السلطة في اطر محددة ، وفشلت بالتالي في تنظيم العلاقات القبلية والاقليمية والعرقية بما يكبح صراعاتها· وكانت النتيجة بروز **مجموعات ضاغطة ( مراكز قوة ) متنافسة تعتمد على اعتبارات قبلية او اقليمية او دينية · وفي معظم هذه الحالات برزت « مجموعات نخبوية » حققت لنفسها** مراكز وامتيازات تثير بدورها صراعات مضاعفة · والاصل في نشأة « المجموعات النخبوية» في معظمه ناشىء عن برامج التحديث غير المدروسة وذات الاولويات الرافضة او غير الملائمة للواقع الموضوعي في المجتمعات الافريقية · وتكاد هذه الظاهرة ان تكون شاملة لجميع بلدان افريقيا ، وان اسفرت عن صراعات حادة ومكشوفة في بعضها فقط ·

**خامسا ـ استمرار المشكلات المزمنة الموروثة عن التقسيمات الاقليمية التي صنعتها الامبراطوريات الاستعمارية** دون ان يكون لها اساس موضوعي ـ تاريخي او جغرافي والتي تركت « نقاط توتر » في انحاء عديدة من القارة منذ استقلال الدول ·

فمشكلات الحدود بين الصومال وكينيا ، وبين الصومال واثيوبيا ، ومشكلة « ارتيريا » ، ومشكلة الصحراء الغربية ، ومشكلة الحدود بين تشاد وليبيا ، ومشكلة « جيبوتـــي » ( عفاروعيس ) هي من نوع المشكلات المزمنة التي تضغط على حكومات الدول الافريقية ، وتجبرها في كثير من الاحيان على اتخاذ مواقف وسياسات متناقضة مع مواقع تلـــك الحكومات التحررية والتقدمية ، ففي مشكلة ارتيريا مثلا نجد حكومة الثورة في اثيوبيـــا تنتهج ازاءها سياسة استعمارية لا تختلف اطلاقا عن سياسة نظام الامبراطور هيلاسلاسـي الساقط ، في حين ترفع السلطـة العسكرية الجديدة ـ فيما عدا ذلك ـ شعارات تقدميـة ، وتنتهج سياسات معادية للامبريالية ومتطلعة الى التغيير الاجتماعي داخل اثيوبيا ٠

**سادسا ـ تدهور مستوى المؤسسات** ، الناتج بدوره عـن عدم الاستقـرار الدستـــوري والسياسي ٠

لقد اصاب عددا كبيرا من الدول الافريقية فساد خطير في مؤسساتها واجهزتها جعلهـــا عرضة للانقلابات الناجمة عن السخط على الاوضاع الفاسدة وظهور الفئات المميزة ٠ وتكتسب هذه المشكلة ابعادا اشد خطورة في البلدان الافريقية التي تعاني من وجود نزعات انفصالية ، على اسس قبلية او دينية ٠٠٠ الخ ٠ فان عجز المؤسسات والاجهزة الناتج عن الفساد الداخلي ينعكس في اخطر صوره على عدم القدرة على مواجهة هذه الانقسامات بسلطة مركزية قادرة ، وفي احوال اخرى تلجأ السلطات الى اسلوب القسر والقمع ، الذي يؤدي بدوره الى **تجذير التطرف لدى الحركات الانفصالية او المتحررة حتى وان خمـــدت ـ تحت الضغط ـ لبعض الوقت** ٠ ( امثلة : جنوب السودان ، شمال تشاد ) ٠

**سابعا ـ الشعور الافريقي العام بعدم اكتمال الاستقلال الافريقي** بمعناه القاري العـام ، اي ضغط استمرار وجود النظام العنصري في كل من جنوب افريقيا وناميبيا وروديسيـــا على « الوعي الافريقي » او « الوعي الاسود » ( كما يسميه الكتاب الغربيون !! ) ٠

وقد ازداد هذا الشعور حدة بعد استقلال المستعمرات البرتغالية الافريقية ٠ اذ اصبح وجود هذه الجيوب الثلاثة للحكم العنصري « الابيض » استثناء صارخا يشعر القـــارة كلها بنقص الاستقلال ، ونقص التوجه الوحدوي المتمثل في قيام منظمة الوحـدة الافريقيـة ودورها وممارساتها ٠ ان المشاعر التي يثيرها استمرار الحكم العنصري في القسم الجنوبي من القارة يجعل كل نظام قائم في مواجهة تحد كبير لا بد من اتخاذ موقف عملي منه امام شعوب القارة ٠ **ان انتصار الثورة المسلحة في المستعمرات البرتغالية قد ولد شعـــورا بعدم استحالة القضاء على النظم العنصرية في جنوب افريقيا وناميبيا وروديسيـــا** ، ووضع على كاهل كل النظم الافريقية مسؤولية تحقيق هذه الامكانية بالوقـــوف الى جانب القوى التي تقود النضال المسلح داخل هذه البلدان الافريقية الثلاثة ٠ **كما زاد من مسؤولية** هذه القوى المحلية نفسها بقدر ما شجعها ٠ وهو موقف جديد تحاول النظم العنصريـــة الالتفاف من ورائه عن طريق التظاهر الزائف بالاعتدال والاستعداد للتفاوض مع الـــدول الافريقية المحيطة ، او الاعتدال الشكلي في ممارساتها العنصرية داخل البلدان الواقعـــة تحت سيطرتها ٠

**ثامنا ـ تضاعف اعراض انعكاسات الصراعات الدولية الكبرى** على الواقع الاستراتيجي والاقتصادي والسياسي لافريقيا ٠

ففي الوقت الذي تستمر فيه الامبريالية ( الرأسمالية العالمية ) ـ بعد نحو عشرين عاما من حركة الاستقلال السياسي الجماعية في افريقيا ـ في فرض هيمنتها الاقتصادية بكافـة

الوسائل على بلدان القارة ، وخاصة تلك التي تتمتع بثروات طبيعية كبيرة ، والتي تمثل اسواقا واسعة لمنتجات العالم الرأسمالي ، تجد القوى الثورية في القارة نفسها مضطرة لفك الحصار المضروب عليها في القارة ـ من قوى رجعية افريقية ومن قوى امبريالية عالمية ـ عن طريق مد جسور العلاقات مع الكتلة الاشتراكية في المجالات الاقتصادية والسياسية وكذلك الدفاعية • وهو تطور لا يشعر القوى الامبريالية ـ القديمة والجديدة ـ بالاطمئنان الى استمرار هيمنتها الاقتصادية على الاقل ، ويدفعها الى المواجهة باساليب الضغط الاقتصادي او الانقلابات العسكرية او اثارة الاشتباكات والصدامات الحدودية ••• الخ •

وتشهد الفترة الاخيرة انعكاسا اخر لما يسمى بالصراعات الدولية ، ونعني به اثر النزاع السوفياتي الصيني على السياسات الافريقية ، سواء على مستوى الحركات التحررية ( وما تعانيه من انقسامات ايديولوجية ) او على مستوى النظم الحاكمة •

تاسعا ـ تضاعف انعكاسات الصراع العربي ـ الصهيوني على ساحة القارة الافريقية ـ سياسيا واقتصاديا في الاساس •

فاكثر من اي وقت مضى سارت تطورات اهتمام افريقيا بالصراع العربي ـ الصهيوني نحو تصاعد جدي له انعكاسات على مواقف حكومات القارة ، التي اصبحت تواثم مواقفها ليس فقط بحساب المصلحة المباشرة باحد طرفي هذا الصراع ، وانما بصورة اعقد بقدر ما تخضع له من ضغوط الاطراف الدولية الابعد الحليفة لاحد الطرفين المباشرين • ويزيد من تعقيد الامر ان الصدامات تزداد حدة في بعض الاحيان بين الاطراف العربية الافريقية فيما بينها ( امثلة : ليبيا ـ مصر ، ليبيا ـ تونس ، الجزائر ـ المغرب ) او بين اطراف عربية افريقية واطراف افريقية غير عربية ( ليبيا ـ تشاد ، الصومال ـ اثيوبيا ، السودان ـ اثيوبيا ) الامر الذي لا يعطي في افريقيا انطباعا واضحا بوحدة الموقف العربي ، ويسمح بالتالي بالمناورة على هذه الخلافات فيما يتعلق بالموقف من الكيان الصهيوني (اسرائيل) •

وفي هذا المجال لا تخفى حقيقة التحالفات بين الكيان الصهيوني والنظام العنصري في كل من جنوب افريقيا وروديسيا ، وكذلك دور الكيان الصهيوني في جنوب السودان في السنوات الماضية ، وضد نظام عيدي امين في السنوات الاخيرة • فلم يكن القصد من هذه التحالفات بعيدا عن اعتبارات الصراع العربي ـ الصهيوني ، ولم يكن بعيدا بالمعنى نفسه عن اعتبارات الصراعات الافريقية •

هذه العوامل منفردة ومجتمعة تعمل تاثيراتها في احوال القارة في اتجاهين متناقضين . فهي تخلق حالة الاضطراب وعدم الاستقرار التي تعيش فيها افريقيا ، وهي في الوقت نفسه تسهم في نمو وازدياد قوة الصفوف الثورية في بلدان القارة • فان هذه العوامل هي التي تشكل التيارات الدينامية لصراعات القوى المختلفة في افريقيا • ولهذا لا تخلو اي منطقة في افريقيا اليوم من نشاط ثوري ، اما يمارس من خلال سلطة ثورية حاكمة . واما يتحدى سلطة مؤسسة بالفعل • وهذه العوامل ـ مجتمعة ـ تشكل الخلفية التي تقدم عليها الحركة الثورية في القارة الافريقية ، وبدون رؤية هذه الخلفية لا يكون بالامكان معرفة المسارات التي تسير فيها احداث القارة ، بما فيها احداث الصراعات والثورة •

**انغولا •• النقطة المحورية**

والتطور الاحدث الذي يبرز فوق هذه الخلفية العريضة المتعددة العناصر والمتباينة الظلال هو التطور المتمثل في استقلال انغولا وانتصار « الجبهة الشعبية لتحرير انغولا » .

في المعركة الاخيرة على السلطة الواحدة لانغولا المستقلة ـ ويلاحظ ان **معظم الصراعات البارزة الدائرة الان في القارة تتقاطع طرقها جميعـــا عند انغولا من ناحيـــة او اخرى** · فالموقف الراهن في زائير وثيق الصلة بمركز انغولا الجغرافي ، والجغرافـــي السياســـي ( الجيوبولوتيكي ) والسياسي والاقتصادي وكذلك الايديولوجي · ورؤية الاطراف المختلفة المعنية باصوات زائير اتية كلها عبر انغولا وتاثيراتها على تطور تلك الاحداث ·

كذلك فان اشتداد حدة الصراع ضد النظام العنصري في جنوب افريقيا متصل بموقـع انغولا الاستراتيجي والتحرري بحكم متاخمتها لاقليم ناميبيا ، الذي يكاد يجمـع المختصون بشؤون الجنوب الافريقي ان المعركة ضد ذلك النظام العنصري ستبدأ بتحريره **اولا قبـــل** ان تمتد الى قلب جنوب افريقيا نفسها ·

وعلى الرغم من انه لا توجد حدود اقليمية مشتركة بين انغولا وروديسيا **الا انه مـــن** المسلم به ان الدعم الذي يمكن ان تقدمه انغولا الى منظمات النضال المسلح لشعـــب « زيمبابوي » (روديسيا) تستطيع ان تعبر زامبيا اليها · فضلا عن ان توطد اركان نظام الرئيس الانغولي « اغوستينو بنتو » ( الماركسي اللينيني ) يدعم نظام الرئيس « سامورا ماستيل » رئيس جمهورية موزمبيق ( الماركسي اللينيني ايضا ) · وموزمبيق **هي قاعـــدة** الانطلاق الاساسية لثوار « زيمبابوي » ضد النظام العنصري بزعامة ايان سميث · كمـــا انه يشكل دعما للنظام الماركسي اللينيني الحاكم في جمهورية الكونغو الشعبية (برازافيل)·

وانغولا ـ بالاضافة الى هذا وذاك ـ تعني النفط ، الى جانب عدد كبير من الثـــروات المعدنية الاخرى الهامة ، ومصادر الطاقة ، وطريق العبور الوحيد الى المحيط بالنسبة لعدد من الدول المحيطة ( وخاصة زائير ) ، وبالنسبة ايضا لعدد من دول الغرب ·

وانغولا ـ بعد ذلك ـ اصبحت ، في نظر الغرب الامبريالي ، قاعدة لتواجد عسكـــري شيوعي ( كوبي ) وتواجد سياسي شيوعي ( كوبا والاتحاد السوفياتي ) ، الامر الـــذي جعلها هدفا لخطط الامبريالية ، وخاصة الولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا ، وهما الدولتان اللتان لا تزالان تتمتعان بمصالح وامتيازات اقتصادية ضخمة في عدد من الدول المحيطة التي يشكل النظام الثوري في انغولا في نظرها خطرا وشيكا · وقد بدا الغرب يتحـــدث ـ بصوت عال ـ في الفترة الاخيرة عن مخاوفه من انطلاق الدعـم الكوبـــي من انغولا الى **دور جديد في معركة قادمة في زائير او في روديسيا** ·

وانغولا ـ نتيجة ـ لكل العوامل السابقة ـ **هي محطة الفشل الاميركي الذريع الاول في** افريقيا · فقد كانت معركتها الاخيرة ـ بظروف المشاركة النضالية من جانب كوبا فيها ـ اول ميدان وجدت الولايات المتحدة نفسها مدعوة الى التدخل المباشر عسكريا فيه ، ولكنها احجمت· فقد كان ذلك «**اول اختبار في فترة ما بعد فيتنام** » ، على حد تعبير معلن اميركي John Marcum , Lessons of Angola , Foreign Affairs Vol . 54 , No . 3

لهذه الاسباب لا يمكن التوصل الى فهم متكامل لما يجـــري الان علـــى الساحـــة الافريقية ـ ومعظمه كما اوضحنا يتمحور من قريب او بعيد حول انغولا ـ دون ان نعرف : كيف كانت نتائج الصراع الذي دار في انغولا ·· والى اي مواقع انتهت اطرافه عندمـا حققت « الجبهة الشعبية » انتصارها ؟؟

**اولا : بالنسبة للاطراف المحلية ـ اي الاطراف الانغولية البحتة ـ في الصراع :**

● **الجبهة الوطنية لتحرير انغولا** ( F.N.L.A. ) التي يتزعمها **هولدن روبرتو** ، وتتشكل

في الاساس من رجال قبيلة « باكونغو » ، انكمشت الى داخل اراضي زائير في معظمها بعد هزيمتها العسكرية امام قوات « الجبهة الشعبية » ، وبعد ان ضعف نفوذها العسكري حتى في مناطق قبيلة « باكونغو » بسبب عمليات التصفية التي قامت بها قيادتها الحالية ضد المختلفين معها داخل الجبهة وبين مؤيديها ، وبسبب علاقة التبعية التي ربطت تيارات هذه الجبهة بالنظام القائم في « زائير » ، حتى وصفها المعلق الاميركي « جون ماركوم » (المصدر المذكور ) بانها « اصبحت مع مرور الوقت ، والى حد كبير ـ امتدادا او فرعا للسياسة الزائيرية » · وهنا تجدر الاشارة الى « زواج المصلحة » الذي تم بين زعيم هذه الحركة « هولدن روبرتو » وشقيقة زوجة الرئيس الزائيري « موبوتو » · وتجدر الاشارة ايضا الى ان « روبرتو » لم يدخل انغولا على الاطلاق طوال الاعوام الثلاثة عشر التي استغرقها النضال المسلح ضد الاستعمار البرتغالي ، بينما كان « نيتو » واركان حرب قوات « الجبهة الشعبية » يقومون بزيارات عديدة للمناطق المحررة ويقيمون اتصالات مع الشعب الانغولي ، ويمارسون العمل السياسي في صفوفه ، ويشاركون في العمل العسكري بالتخطيط والتنفيذ على الطبيعة ·

كانت عمليات « الجبهة الوطنية » تنطلق منذ سنوات القتال ضد البرتغاليين من « قواعد آمنة في المنفى » ، ولم تهتم باي درجة بمسائل التثقيف السياسي او التنظيم او التخطيط الاستراتيجي · وخلال السنوات ١٩٦٤ الى ١٩٧٠ تعرضت هذه الجبهة لسلسلة عمليات تمرد وهروب من داخل صفوفها ادت الى تركيز تركيبها القبلي في قبيلة « بوكونغو » واضعفت مكانتها « الوطنية » ، مما دفعها اكثر فاكثر للاندماج في النسق السياسي الزائيري · وفي تلك الظروف كان فشلها العسكري امام « الجبهة الشعبية » محصلة طبيعية لواقعها في السنوات الاخيرة · وموقفها الراهن هو محصلة للاثنين معا : الواقع العملي والسياسي مضافا اليه الفشل العسكري ·

● **الاتحاد الوطني للاستقلال التام لانغولا ( U.N.I.T.A. ) ويتزعمه « يوناس سافيمبي »** · وقد نشأ هذا الاتحاد عن انقسام حدث في العام ١٩٦٤ في صفوف « الجبهة الوطنية » وكان وراء انقسامه عامل اساسي هو العامل القبلي ، اذ ان معظم المنتمين الى « يونيتا » هم من رجال قبيلة « اوفيمبوندو » التي تسكن في منطقة سهل « بنغيلا » في وسط انغولا · وكان « سافيمبي » نفسه قبل الانقسام مساعد « هولدن روبرتو » العسكري ·

فقدت حركة « يونيتا » قاعدة عملياتها الرئيسية في اراضي « زامبيا » في العام ١٩٦٧ بسبب خلافات اقحمت نفسها فيها مع سياسة النظام القائم في زامبيا · واضطرت الى الانتقال الى الداخل عسكريا ، بينما نقلت نشاطها السياسي الى لندن ( بواسطة مكتب اعلامي ) · وانتهج « سافيمبي » خلال تلك الفترة سياسة « الاعتماد على النفس » ،حتى فيما يتعلق بالتسليح عبر جعل العدو المصدر الرئيسي للسلاح · وكانت تلك تأثيرات واضحة لتأييد صيني لهذه الحركة ، امام تأييد ودعم سوفياتي للجبهة المنافسة ، « الجبهة الشعبية»· الامر الذي اندفع « سافيمبي » معه الى حد شن حملات على « التحريفية الجديدة » ومهاجمة الاتحاد السوفياتي بصورة مباشرة · ومع ذلك فان « **يونيتا » وصلت الى حالة من الضعف والعزلة العسكرية والسياسية الى حد انها اضطرت في بعض الظروف للاعتماد على البرتغاليين ، والى حد التواطؤ معهم** ضد « الجبهة الشعبية » لحماية نفسها من الابادة الكاملة · ( كان قد اصبح لـ « يونيتا » في شرق انغولا ، حيث اهم مواقع الصدام مع البرتغاليين ٨٠٠ مقاتل فقط مقابل ٤٥٠٠ « للجبهة الشعبية » ·

وفور انهيار الحكم الاستعماري البرتغالي في العام ١٩٧٤ تخلت « يونيتا » عن «التطرف

الخطابي ، وانتهجت « خطا معتدلا » ضروريا للتكيف مع الظروف الجديدة ، اعتقادا من « سافيمبي » ان هذا يقربه اكثر الى النظام البرتغالي الجديد · في حين ان « حركة القوات المسلحة البرتغالية » ـ التي تسلمت السلطة في اواخر نيسان ١٩٧٤ ـ كانت اكثر تعاطفا والتقاء ـ ايديولوجيا ـ مع اهداف وبرنامج « الجبهة الشعبية » ، وذلك بحكم الميول اليسارية الماركسية بين ضباط الحركة البرتغالية الثورية · وبحكم صلات قديمة استمرت بين « اغوستينو نيتو » زعيم الجبهة الشعبية واليسار البرتغالي المناهض للنظام ·

ونتيجة لهذا « الاعتدال » فان « يونيتا » استطاعت ان تحصل على تأييد الاوروبيين المستوطنين في انغولا اكثر مما حصلت على تأييد من الشعب الانغولي نفسه · وعندما حققت « الجبهة الشعبية » انتصاراتها الحاسمة في القتال ضد « يونيتا » و « الجبهة الوطنية » كان اولئك المستوطنون قد فروا بشكل جماعي ·

وبطبيعة الحال فان الفشل العسكري للجبهة الوطنية وحركة « يونيتا » معا في مواجهة الجبهة الشعبية قد جمع بينهما وحولهما الى حركتين انفصاليتين ، الا ان التناقضات القبلية القائمة بينهما تظل قائمة ، وتظل قائمة ايضا علاقاتهما الخارجية السابقة · ولكن تبقى حقيقة ان « الجبهة الوطنية » اقدر الحركتين من الناحية العسكرية ، وان تكن « يونيتا » اقوى سياسيا بحكم انتمائها لقبيلة « اوفيمبوندو » التي يربو تعدادها داخل انغولا على مليوني نسمة ·

وقد اثار الخلاف بين الحركتين ـ رغم تضامنهما في وجه الحركة المنتصرة ـ تباين مواقف « الاطراف الخارجية » ازاءهما · فمثلا عندما قررت الولايات المتحدة مساعدة « الجبهة الوطنية » ماليا وعسكريا ، على نحو بدا معه على اعضائها انهم ينفقون في « زائير » عن سعة · بينما حجبت الولايات المتحدة مساعدتها عن « يونيتا » · وكان هولدن روبرتو قد تمكن قبل ذلك ـ وبمساعدة اميركية ايضا من شراء اكبر صحيفة يومية في العاصمة الانغولية « لواندا » وهي صحيفة A Provincia de Angola ، واشترى ايضا محطة تليفزيون ، على اساس ان تكون قاعدة لغزو العاصمة اعلاميا · وهو ما لم يصمد في وجه رسوخ التأييد الذي تتمتع به الجبهة الشعبية في « لواندا » بحكم الانتماء القبلي ، ثم بحكم توفر الاسلحة الاقوى في ايدي مقاتليها ، وبحكم تفوق قوة نفوذها في المدن على الحركتين الاخريين ·

**ثانيا ـ بالنسبة للاطراف الخارجية**

● **زائير** : يمكن القول بانه بعد ان حسم الموقف في انغولا لمصلحة « الجبهة الشعبية » ـ رغم مساعدة « زائير » للحركتين المنافستين لها ، بل وتدخل قوات زائير مباشرة في عمليات عسكرية في اراضي انغولا ضد قوات الجبهة الشعبية ـ كان الرئيس الزائيري « موبوتو سيسي سيكو » اكثر الاطراف الخارجية ادراكا لخطر الاستمرار في صراع مع السلطة الجديدة في انغولا ·

ذلك لان زائير ـ رغم وزنها الكبير الجغرافي والاقتصادي في قلب القارة الافريقية ـ لا تملك مخرجا الى المحيط ، الاعلى خط سكك حديد « بنغيلا » الذي يحمل صادرات وواردات زائير عبر اراضي انغولا الى ميناء « لوبوتو » · واصبحت تلك ضرورة اقتصادية ملحة منذ ان اغلقت حكومة موزامبيق التقدمية حدودها مع روديسيا ، التي كانت البديل الوحيد عن ميناء « لوبيتو » ·

كما ان نظام الرئيس « موبوتو » في حاجة للاتفاق مع النظام الجديد في انغولا بشأن جندرمة « كاتانغا » السابقين المتمردين ضد حكمه ، والذين لجأوا الى اراضي انغولا منذ عهد الاستعمار البرتغالي ، وخدموا ضد حركات التحرر الوطني الانغولية في صفوف البرتغاليين ، ثم حيدهم انتصار « الجبهة الشعبية » في النهاية · كان نظام موبوتو في حاجة الى تعهد انغولي بعدم مساعدة جندرمة كاتانغا في اي عمل ضده ·

لهذين السببين الرئيسيين لم يتردد « موبوتو » كثيرا في قبول وساطة الرئيس ماريان انغوابي رئيس جمهورية الكونغو الشعبية ( برازافيل ) في شهر اذار ( مارس ) ١٩٧٦ للجلوس الى مائدة المفاوضات مع الرئيس الانغولي اغوستينو نيتو · وتم فعلا التوصل الى اتفاق بينهما على هاتين النقطتين ، وعلى ان تكف « زائير » عن تقديم اي دعم لحركتي « الجبهة الوطنية » و « يونيتا » فينشاط حرب العصابات الذي يمارسانه ضد حكومة انغولا وضد القوات الكوبية · ( وربما يثير هذا الامر علامات استفهام عديدة حول الايدي وراء اغتيال الرئيس الكونغولي انغوابي !! ) ·

والاحداث التي مرت منذ توصل « موبوتو » و « نيتو » الى هذا الاتفاق تحمل دلالات واضحة ·

لقد تفاقم الموقف الداخلي في « زائير » لاسباب اقتصادية وسياسية وقبلية يعترف بها الجميع · فبعد ان بلغت الاسعار العالمية للنحاس ( المصدر الرئيسي والاكبر لدخل زائير ) ذروتها في اوائل العام ١٩٧٤ بصورة انعشت اقتصادها كثيرا ، عادت فانخفضت بصورة ذريعة ، في وقت كانت فيه سياسة « موبوتو » الاقتصادية تبدد دخل البلاد على مشروعات ترفيه تفيد « موبوتو » شخصيا ومجموعة قليلة طفيلية وتجعل من نظام « زائير » ـ على حد تعبير ديفيد لامب مراسل صحيفة « انترناشيونال هيرالدتريبيون » ـ « واحدا من اكثر النظم الحاكمة في افريقيا سفورا في فساده · لقد حول ( موبوتو ) ما يكفي من ثروة ابناء وطنه الى ارصدة خاصة به ليصبح واحدا من اغنى الرجال في العالم · وخلق طبقة فائقة الثراء Super-rich من التوابع ذوي الاذواق الفجة » ·

وخلال السنوات الثلاث الماضية وسفينة الاقتصاد الزائيري تواصل الغرق الى قاع الافلاس ، حيث تطبق عليها ضائقات اقتصادية بلغت معها جملة ديونها الخارجية ، خلال هذه الفترة القصيرة ، اكثر من ثلاثة مليارات دولار · وعلى الرغم من « حقيقة » المساعدات التي يتلقاها نظام « موبوتو » من الغرب فان صحة الاقتصاد الزائيري في تدهور مستمر · فالانتاج آخذ في الانخفاض ، والخدمات الاساسية ذات التأثير الاقتصادي ـ كالنقل والاتصالات ـ في تدهور سريع ، والجماهير الفقيرة تعاني نقصا خطيرا في امدادات الغذاء رغم وفرة الارض الخصبة القابلة للزراعة · وبلغ من تدهور الاحوال الى حد ان « موبوتو » بدأ برنامجا لاعادة الصناعات والمشروعات المؤممة الى اصحابها السابقين البلجيكيين ، وكان هو نفسه الذي امم هذه المشروعات ، ولكنه اهداها الى اصدقائه بعد التأميم ·

ووسط هذا المناخ الاقتصادي امتد السخط الى صفوف الجيش الزائيري الذي يعاني ضباطه وجنوده من الفقر الشديد ، بعد ان اكتسح السخط قطاعات عريضة من الشعب الزائيري تحت وطأة الفقر والفساد الحكومي · ويمكن التأكيد بأن هذا المناخ هو الذي اعطى كل انطباع للقوات المناهضة لنظام موبوتو بأن الوقت قد اصبح ملائما للتحرك ضده، اذ اصبحت حقيقة اهتزاز هذا النظام شائعة ليس في زائير وحدها ، بل في كل الدول

الافريقية المحيطة ، حتى ان مراسل مجلة « تايم » الاميركية كتب في ١١ نيسان ( ابريل ) يتساءل : « **هل سيصبح موبوتو سيسي سيكو حاكم زائير الاوتوقراطي عاجلا رئيسا في المنفى ؟** » ويقول المراسل نفسه ان هذا الاحتمال اصبح مدار بحث الدبلوماسيين الغربيين في كينشاسا في الاسبوع الماضي بينما كان الكاتانغيون المنفيون ـ الذين يتراوح عددهم بين الفين وخمسة الاف ـ يغزون اقليم « شابا » ( كاتانغا ) ويواصلون اكتساب الارض بسهولة ·

ان هؤلاء الغزاة ينتمون اساسا الى قبيلة « لوندا » المنتشرة في وسط افريقيا والتي يعرف رجالها بانهم من اصلب المحاربين منذ زمن بعيد · وقد استقبلوا بترحيب وحماس من سكان قرى « شابا » ، بينما كانت قوات جيش « موبوتو » ـ التي تتحدث لغة «لينغالا » ، اللغة السائدة في منطقة حوض نهر « الكونغو » ولا تفهم لغة السكان المحليين « السواحيلية» ـ خائفة وفاقدة كل حماس ·

ولكن لم يكن رجال « جندرمة كاتانغا » هم وحدهم الذين حركهم اهتزاز مركز موبوتو · ففي الوقت نفسه بدأ مسؤولون فرنسيون يجرون محادثات مع المسؤولين في « **الجبهة الوطنية لتحرير الكونغو** » ، وهي جبهة مناهضة لنظام « موبوتو » تحسبا لاحتمال سقوط هذا النظام · بينما اعلنت هذه الجبهة التي تتخذ في باريس مقرا لها مسؤوليتها عن العمليات العسكرية في اقليم « شابا » · وفي الوقت نفسه اعلن « **انطوان جيزنغا** » رئيس « تجمع القوى الديمقراطية لتحرير الكونغو » ـ ونائب الزعيم الكونغولي الشهير باتريس لومومبا ـ تأييده للحركة ضد نظام « موبوتو » · ويقيم جيزنغا في الوقت الحاضر في جنيف بعد ان عاش سنوات طويلة في موسكو وبراغ ·

● **جنوب افريقيا** ، كان الفرق بين النجاح والفشل في تأدية جنوب افريقيا لدورها عندما تدخلت ضد قوات « الجبهة الشعبية » في انغولا واسعا للغاية · فلو ان نظام جنوب افريقيا العنصري كان قد نجح في كسر شوكة هذه الجبهة لكان ذلك بداية فعلية لتأكيد دور قاري هام لهذا النظام في الاستراتيجية الامبريالية الكلية لما يسمى « التصدي للزحف الشيوعي » · **فقد كان حلم جنوب افريقيا الدائم ان تكون القلعة المتقدمة للغرب في الجنوب الافريقي ضد الشيوعية · اي القيام بدور في القارة موازٍ للدور الصهيوني في الوطن العربي ضد القومية العربية** · ولكن بقدر ما كان من المفروض ان يكون ثمن النجاح كبيرا ، فان محصلة الفشل هي ايضا كبيرة · لقد ترتبت على انهيار دور جنوب افريقيا في انغولا سلسلة من النتائج السلبية على نظامها في الداخل وعلى ادوارها الاخرى ، في ناميبيا وفي روديسيا ·

بعد ان عبرت قوات من « الجبهة الوطنية لتحرير انغولا » وبصحبتها قوات من جيش زائير الى داخل انغولا في ربيع العام ١٩٧٥ وبدأت مهاجمة قوات الجبهة الشعبية في العاصمة « لواندا » وفي مناطق الشمال ، عبرت من اراضي ناميبيا ( التي يفرض نظام جنوب افريقيا سيطرته الاستعمارية الكاملة عليها ) قوات من جيش هذا النظام الى الجزء الجنوبي من انغولا · وقد وصفت هذه القوات وقتها في صحف الغرب باسم « الطابور الغامض » · فلم يكن احد يعرف تقدير عدد القوات التي يتألف منها ، ولكنه كان يضم قوات « بيضاء » من جيش جنوب افريقيا ومرتزقة برتغاليين واميركيين وبريطانيين والمان غربيين · وكان هذا « الطابور الغامض » مزودا بمدرعات وطائرات هيليكوبتر هجومية « زوارق طائرة » · وقد تمكن هذا الطابور في الايام الاولى لاندفاعه في جنوب انغولا ـ وبفضل المفاجأة ـ من تحقيق تقدم عسكري سريع ، ولكنه كان مؤقتا للغاية · فلم يلبث

الهجوم المضاد الذي شنته قوات « الجبهة الشعبية » مدعومة من **القوات الكوبية ، التي كانت المفاجأة المضادة لمفاجأة جنوب افريقيا** ، من دحر « الطابور الغامض » · ووجدالنظام العنصري في بريتوريا نفسه امام احد خيارين · فأما ان يعمق تورطه ـ في وقت يواجه فيه مشكلات اشتداد الحركة الثورية في الداخل ، وفي « ناميبيا » بوجه خاص ـ وهو امر يعرض قواته الموجودة في جنوب انغولا لابادة شبه كاملة · واما ان يبتلع الهزيمة ويسحب قواته من الاراضي الانغولية · والعامل المرجح في اتخاذ « بريتوريا » قرار الانسحاب هو العامل الاميركي · فقد وجدت الولايات المتحدة نفسها في حالة ارتباك وتردد ·

وبالفعل بدأت حكومة بريتوريا العنصرية « تبحث في لهفة عن وسيط للتفاوض مع لواندا ·· التي اعلنت سريعا : **اننا لن نسمح لموقف شبيه بالوجود الاسرائيلي على ارض مصر بان يتطور في انغولا** » · ( مجلة Africa عدد نيسان ١٩٧٦ ) · واشارة بيان حكومة انغولا الى مصر بالذات ترجع الى انها الدولة الافريقية الوحيدة التي تحتل ( اسرائيل) جزءا من ارضها ·

وما كانت تعاني منه « زائير » نتيجة انخفاض اسعار النحاس ، تعاني منه « بريتوريا » نتيجة **انخفاض اسعار الذهب** ، الى حد يهدد بكارثة اقتصادية · وملامح الازمة الاقتصادية في جنوب افريقيا ـ وان لم تكن معروفة على نطاق واسع في العالم ـ الا انها لا تقل خطورة عنها في « زائير » : زيادة كبيرة في معدل التضخم ، زيادة كبيرة في عجز ميزان المدفوعات ، انخفاض معدل النمو الاقتصادي الى قرب نقطة الصفر ، ارتفاع مخيف في معدل البطالة وخاصة في المدن · ولم تكن هذه الاعراض غائبة عن اعين المستثمرين الاوروبيين ـ رغم كل التغطية الدعائية · ولهذا فشلت حكومة جنوب افريقيا في جمع قرض قيمته ١٢٥ مليون راند ( العملة النقدية للنظام العنصري وتعادل تقريبا ثلاثة ارباع الدولار) في سوق اوروبا في اوائل العام الماضي ، على الرغم من انها عرضت سعر فائدة اعلى من مستوى الفائدة المعمول به في سوق رأس المال الغربي · ولهذا ـ يقول مراسل خاص لمجلة Africa ـ **كان التدخل في انغولا بمثابة جرح اصابت به بريتوريا نفسها · وكان خطأ من نوع الخطأ الذي ارتكبته هي نفسها عندما ظلت تبني حساباتها على اساس ان اسعار الذهب سترتفع ، ثم فوجئت بها تنخفض سريعا وبشدة** · وبالنسبة لانغولا فان جنوب افريقيا بنت حساباتها الاولية على اساس ان الغرب ما دام يؤيد سياستها عن طريق استثماره الضخم في جنوب افريقيا ـ رغم القرارات الدولية والتنديدات اللفظية بسياسة التمييز العنصري من جانب حكومات الغرب، فان الخير لهذه السياسة ان تمتد لتحمي اجنحتها في جنوب انغولا · وانه لا بد ان الغرب سيؤيد هذا الاتجاه باعتبار ان « الخطر » الماثل في انغولا يهدد استثماراته في جنوب افريقيا وفي ناميبيا ـ حيث توجد ايضا استثمارات غربية لا يستهان بها · وكما اعتقدت « بريتوريا » ـ ان ارتفاع سعر الذهب حتمي ، اعتقدت ان ارتفاع اسهم الغرب في التدخل في جنوب افريقيا حتمي ايضا · ولكن هذا المنطق اخطأ في الحالتين · وفي الحالتين فان الخوف الاساسي لجنوب افريقيا الان هو من انكماش الاستثمارات الغربية بسبب المصاعب الاقتصادية الناجمة اساسا عن انخفاض سعر الذهب · وبسبب المصاعب السياسية التي يخلقها وجود نظام ثوري في انغولا ·

وحين ينظر نظام « بريتوريا » الان الى نتائج الفشل الذي مني به تدخله في انغولا فانما يعنيه بالدرجة الاولى « الخطر على ناميبيا » · فانه **لا امل في حل مشكلات جنوب افريقيا الاقتصادية اذا استغل الموقف في « ناميبيا »** · واذا ادى ـ وهذا ما يبدو من

الان مسالة وقت فحسب ـ الى استقلال « ناميبيا » فليست « ناميبيا » مجـــرد مصب لاستثمارات النظام العنصري في « بريتوريا » ، بل انها في الحقيقة ـ وهذا هو الاهم ـ مصدر كل مكاسبها الخارجية من صادرات المعادن · وعلى رأس هذه الصادرات «الماس» الذي يشكل ١٥ في المائة من اجمالي صادرات جنوب افريقيا ·

فهل تستطيع «بريتوريا» ان تعتمد على قوتها العسكرية لحل مشكلاتها مع النظام الثوري في انغولا ومع الحركة الثورية في ناميبيا ؟ هنا ايضا جرح اصابت به « بريتوريا » نفسهـا بيدها · لقد ظلت على مدى الاعوام الثلاثين الماضية من حكم «الحزب الوطني » العنصري تعمق في اذهان البيض ايديولوجية « العزل العنصري » وتؤكد اخطار وشرور « الاختلاط » او « التكامل » · ولكنها الان تكتشف انها تحتاج في العام ١٩٨٠ الى ٣ر٨ ملايين عامل ماهر لا يتوفر منهم من البيض عندئذ الا ١ر٨ مليونا · وليس باستطاعة النظام العنصري ان يولي ظهره فجأة لسياساته السابقة وان يتجه الى تدريب العمال السود والى فتـح فرص العمل امامهم في الوظائف التي تحتاج الى مهارات خاصة · هذا اذا لم نضع في الحساب كل الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والعنصرية التي تضيف الى حســاب الخسائر اخطار الاضرابات والاضطرابات · وقدكانت سنة التدخل فيانغولا هي نفسها سنة الاضرابات والاضطرابات في « المدن السوداء » · وليس باستطاعة حكومة هذا موقفها الاقتصادي ان تعلن تعبئة عسكرية لتخوض حربا على اتساع جنوب انغولا وعلى اتساع اقليم « ناميبيا » كله وعلى اتساع روديسيا التي تعتبر تحت المظلة العسكرية لنظام بريتوريا ولا يمكنها الا ان تكون عبئا عسكريا واقتصاديا عليه ·

● **روديسيا** ـ على الرغم من انه لا توجد حدود اقليمية مشتركة بين روديسيا وانغولا فان للمشكلة الروديسية حضورا ثقيلا بالنسبة للوضع في انغولا منذ وقت طويل ، منذ بداية الصراع المسلح ضد الاستعمار البرتغالي ، كما ان لانغولا الحالية بنظامهـــا الثوري وعلاقاتها الافريقية والدولية ـ حضورا ثقيلا بالنسبة للوضع في روديسيا ونظامهـــا العنصري · ومنذ ان توطدت سلطة « الجبهة الشعبية » في انغولا صار الاحساس لدى النظام العنصري الروديسي بأن « دور روديسيا قد جاء » · ويشارك في هذا الاحساس العالم الامبريالي باكمله ، والنظم التي ترتبط مصالحها بالامبريالية في افريقيـا ·

لقد خلق انهيار النظام الاستعماري البرتغالي في افريقيا ـ وخاصة في انغولا وموزمبيق (التي تملك حدودا مشتركة طويلة مع روديسيا ) ـ واقعا جديدا اكثر ملاءمة للنضال المسلح لحركات التحرر الوطني في روديسيا · فان حرية الحركة للعمليات العسكرية لثوار « زيمبابوي » قد اتسعت كثيرا بتولي جبهة تحرير « فريليمو » السلطة في « موزمبيـق » · وفي الوقت نفسه ضاق مجال حرية الحركة امام جنوب افريقيا في دعم النظام العنصري في روديسيا بانشغالها بالواقع الجديد في انغولا · وقد ادى هذا الوضع الى تنبيه «لجنة التحرير » التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية الى التركيز في مساعداتها المادية في المرحلة الحالية على دعم ثوار « زيمبابوي »· ووجد نظام ايان سميث نفسه مضطرا لتراجعـــات « تكتيكية » او بالاحرى شكلية ، بهدف كسب الوقت · فوافق على اطلاق سراح بعض الزعماء الوطنيين وعلى الدخول في مفاوضات ( مؤتمر جنيف الخاص بروديسيا في اوائل العام الحالي ) ولكن هذه المفاوضات سريعا ما كشفت الطبيعة الشكلية لتراجعات نظـام سميث ، فانتهت الى الفشل ·

وعلى غرار الحال في انغولا في مرحلـة ما قبل الاستقلال ، توجـد في روديسيـــا ثلاث حركات للتحرير متحالفة ضد نظام سميث العنصري ، وان لم تكن بينها خلافات فـــي

الايديولوجية او في اساليب النضال :

ـ « **اتحاد زيمبابوي الوطني الافريقي** ZANU بزعامة الاب « **اندايا نينغي سيتولي** » وهو انشط الجبهات الثلاث من الناحية العسكرية · وكان الاب سيتولي سجينا في روديسيا طوال الفترة من العام ١٩٦٦ الى تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٤ ، وقد تولى قيادة هذه الحركة خلال تلك الفترة « روبرت موغابي » · وتتمتع الجبهة بدعم واضح من تانزانيا من ناحية ، ومن موزمبيق من ناحية اخرى · فهي تنطلق في عملياتها العسكرية داخل روديسيا من قواعد داخل اراضيهما · ونجحت في كانون الاول ( ديسمبر) ١٩٧٤ في اقامة قاعدة عسكرية لها داخل روديسيا ، لاول مرة ، بتأييد من الفلاحين المحليين وتسهيلات قيمة في خطوط النقل والمواصلات تمكنها من نقل مقاتليها واسلحتها الى الداخل · وهذه الجبهة هي الوحيدة بين جبهات « زيمبابوي» الثلاث التي حظيت باعتراف ودعم « لجنة التحرير » الافريقية خلال السنوات الاخيرة ·

ـ «**اتحاد شعب زيمبابوي الافريقي** » Zapu ويتزعمه « **جو شوانكومو** » الذي كان داخل سجون نظام سميث ايضا من ١٩٦٦ الى ١٩٧٤ · وقد اصيبت هذه الجبهة بمرض الانقسامات خلال السنوات الماضية · وهي تعتمد في الاساس على دعم من زامبيا· وبالفعل فقد انشقت عنها المجموعة التي شكلت الجبهة الثالثة ، كما انشقت عنها مجموعات اخرى اقل اهمية ·

ـ « **جبهة تحرير زيمبابوي** » Frolizi ، وقد تشكلت في زامبيا في العام ١٩٧١ من مجموعة من المثقفين انضم اليهم فيما بعد اثنان من ابرز ضباط « زابو » كانا بمثابة المساعدين الرئيسيين لانكومو ·

وفيما عدا هذه الجبهات الثلاث التي تعتمد اسلوب النضال المسلح ، يوجد «**المجلس الوطني الافريقي** » بزعامة المطران « **موزوريوا** » ، وهو يدعو الى «النضال من اجل الحقوق السياسية بالوسائل المشروعة داخل روديسيا » ·

**على ان الجبهات التحريرية في روديسيا تتميز عن جبهات انغولا بانها لم تلتزم باتجاهات ايديولوجية معينة** ، وانما تتسم كلها بالنظرة الافريقية الوطنية ، ولا تربطها علاقات قوية بمصادر خارج افريقيا كما هو الحال بالنسبة للجبهات الانغولية · والنشاط العسكري للجبهات الثلاث ـ وخاصة الاولى «زانو» في تصاعد مستمر ـ منذ انهيار الحكم الاستعماري البرتغالي بوجه خاص ـ مما اضطر حكومة « سميث » ـ في الوقت الذي تعاني فيه من اثار العقوبات الاقتصادية الدولية ـ الى زيادة ميزانيتها العسكرية باضطراد منذ العام ١٩٧٤ ، فبلغت في العام ١٩٧٥ نسبة ١٥٪ من الميزانية الكلية ، ويقدر انها تبلغ الان قراية ٢٢٪ منها · وافادت نشاطات الثوار العسكرية من السياسة القمعية التي تنتهجها حكومة « سميث » ضد القبائل المحلية ، مثلما حدث من اخراج اكثر من ١٠٠ الف من القبليين في مناطق شمال شرق روديسيا من مواطنهم ونقلهم الى مناطق اخرى · فقد ادى هذا الى تحويل الفلاحين « السلبيين »او « اللامبالين » الى عناصر نشطة مستعدة للتعاون مع الثوار والانضمام الى جماعاتهم المقاتلة ·

بعد هذا كله فان هناك اطرافا خارجية ـ من خارج القارة ـ تلعب ادوارا هامة على الساحة الافريقية استراتيجيا واقتصاديا وسياسيا تستحق كل منها ان تلقى الاضواء على ادوارها منذ بداية الصراع الداخلي في انغولا ، وحتى نشوب ازمة زائير ··· مرورا بالوضع في روديسيا وجنوب افريقيا وناميبيا ··· ومرورا ايضا بالتطورات الجارية

في اثيوبيا والتناقضات التي تبدو بين الدول الافريقية في هذه المرحلة ٠

هذه الاطراف هي على وجه التحديد : **الولايات المتحدة الاميركية ، واوروبا الغربية ، والاتحاد السوفياتي ، وكوبا** ٠

ولا تكتمل صورة الصراع الدائر في افريقيا الان دون دراسة مواقف هذه الاطراف وادوارها ٠ كذلك لا يمكن اجراء حساب احتمالات للمستقبل بدونها ٠ وهذا يحتاج لدراسة اخرى ٠

# السيطرة العربيّة على البحر الأحمر ضرورة استراتيجيّة

محمود عزمي

يمتد البحر الاحمر من « السويس » في اقصى طرفه الشمالي حتى « باب المندب » في اقصى طرفة الجنوبي نحو ٢١٠٠ كلم ، ويبلغ اقصى عرض له نحو ٣٠٥ كلم ، ومساحته الاجمالية حوالي ٤٣٨ الف كلم ، واقصى عمق له ٩٥٨٠ قدما · وقد بدأ حوضه الرئيسي في التكون كجزء من الاخدود الافريقي الذي فصل بين شمال شرق افريقيا وشبه الجزيرة العربية في اقصى غرب القارة الاسيوية منذ حوالي ٥٠ مليون سنة · أما خليج السويس الواقع في طرفه الشمالي الشرقي فقد تشكل منذ نحو ٣٥ مليون سنة ، ولذلك تراكمت في قاعه الرسوبات واصبح عمقه يتراوح بين ١٨٠ قدما و٢١٠ اقدام في المتوسط ، على حين أن خليج العقبة تكون في مرحلة جيولوجية احدث كثيرا قبل ثلاثة أو اربعة ملايين سنة ، ولذلك فان قاعه يصل عمقه في بعض النقاط الى ٥٥٠٠ قدم · كذلك كان حال طرفه الجنوبي قرب « باب المندب » ، حيث تكثر الجزر الصخرية التي لا يرتفع معظمها كثيرا فوق سطح الماء ، وحيث كان هناك نشاط بركاني كبير منذ حوالي ١٠ الاف سنة ، بل لا يزال هناك بعض هذا النشاط جنوب جزر « دهلك » وجزيرة جبل « الطير » · ونتيجة لكثرة المقذوفات البركانية تكثر الصخور تحت الماء ، ويقل عرض المجرى الرئيسي للملاحة هناك ويبلغ عمقه ٣٨٠ قدما · وترتفع الارض المحيطة بساحلي البحر الاحمر ، خاصة في القسم الجنوبي منه حيث يصل ارتفاع الجبال القريبة من السهل الساحلي الضيق الى اكثر من ٦٥٦٠ قدما فوق سطح البحر ·

وتكثر الجزر في الجزء الجنوبي من البحر الاحمر ، خاصة بالقرب من ساحل « اريتريا » عند المنطقة المواجهة لميناء « مصوع » شمالا وجنوبا ، واهمها ارخبيل « دهلك » الذي تتوسطه جزيرة « دهلك » الكبيرة التي تبعد نحو ٥٥ كلم من ميناء « مصوع » وجزيرة « هليب » في اقصى جنوب « اريتريا » في مواجهة ميناء « عصب »، وهناك جزر هامة اخرى بالقرب من ساحل السعودية الجنوبي مثل جزيرة « فارسان » الكبيرة وجزيرتي « حنيش » الكبرى والصغرى بالقرب من ساحل اليمن الشمالية ، ثم جزيرة « بريم » الواقعة في منتصف « باب المندب » بالقرب من ساحل اليمن الجنوبية وساحل « جيبوتي » ·ويفصل

البحر الاحمر بين كل من مصر والسودان واريتريا على ساحله الغربي والسعودية واليمن الشمالية على ساحله الشرقي ، اما اليمن الجنوبية وجيبوتي فتطلان على مدخله الجنوبي عند باب المندب ، الاولى من الشرق والثانية من الغرب، وتتحكمان فيه من الناحية الجغرافية الاستراتيجية ، وكذلك تطل الصومال على خليج « عدن » لمسافة نحو ١٠٠٠ كلم وهو ايضا موقع استراتيجي متحكم في طرق الملاحة المؤدية الى باب « المندب » ٠ ويمتد الساحل المصري على البحر الاحمر ( بما فيه خليج السويس ) نحو ٩٠٠ كلم ، وساحل السودان نحو ٧٠٠ كلم ، وساحل اريتريا نحو ٩٠٠ كلم ، وساحل السعودية نحو ١٦٠٠ كلم، وساحل اليمن الشمالية نحو ٤٥٠ كلم ، أما « جيبوتي » فتطل على باب المندب بساحل طوله نحو ١٠٠ كلم من جملة ساحلها البالغ طوله ٣٠٠ والمطل على خليج عدن وهي توصف احيانا بانها « صالة الانتظار » للدخول الى البحر الاحمر ، وتطل اليمن الجنوبية على باب المندب بساحل طوله نحو ٦٠ كلم٠

والبحر الاحمر يشكل المنفذ البحري الوحيد لكل من السودان ( عبر ميناءي بورسودان وسواكن ) ، واثيوبيا ( عبر ميناءي مصوع وعصب في اقليم اريتريا)، واليمن الشمالية ( عبر ميناء الحديده ) ، والاردن ( عبر ميناء العقبة ) ، كما انه يعتبر منفذ اسرائيل الوحيد نحو المحيط الهندي والخليج العربي عبر ميناء « ايلات » ٠ للسعودية ميناءي « جده » و« ينبع » ، أما مصر فلديها فيه ميناء « السويس » بصفة رئيسية ومرافيء « الغردقة » و« سفاجه » و« القصير » ورأس « بناس » ٠

## التاريخ استراتيجي للبحر الاحمر :

كان للبحر الاحمر اهميته الخاصة كطريق للتجارة الدولية بين اوروبا والهند واندونيسيا والشرق الاقصى عامة منذ القرون الوسطى ، حين كان تجار « البندقية » و« جنوا » وغيرهم من تجار اوروبا يقلون بضائعهم بين الشرق والغرب عبر البحر الاحمر حتى ميناء السويس ومن هناك تنقل برا الى القاهرة ثم الى الاسكندرية ومنها الى اوروبا عبر البحر الابيض المتوسط طوال عصر دولة المماليك في مصر ، والتي كانت تحصل رسوما جمركية متزايدة على تجارة « الترانزيت » هذه ، بحيث شكلت المصدر الرئيسي لخزينة الدولة ولازدهار الحالة التجارية عامة في مصر ٠ ولكن اكتشاف الملاحين البرتغاليين لطريق « رأس الرجاء الصالح » حول القارة الافريقية الى الهند في عام ١٤٩٨ ادى الى تحول التجارة الدولية الرئيسية وقتئذ الى هذا الطريق الجديد الذي لا تتكبد فيه رسوم « ترانزيت » ، ولذلك ارسل السلطان المملوكي « قنصوه الغوري » اسطولا مشتركا مع سلاطين الهند الغربية ( باكستان حاليا ) عام

١٥٠٨ لتدمير الاسطول البرتغالي في المياه الهندية ، حيث اتخذ الاخير له عدة محطات بحرية على سواحل الهند الغربية ، واحرز الاسطول المصري ـ الهندي انتصارا محدودا في باديء الامر ولكنه هزم بعد ذلك في معركة « ديو » البحرية في شباط ( فبراير ) ١٥٠٩ ، وهكذا فقد البحر الاحمر اهميته في التجارة الدولية الى أن شقت قناة السويس عام ١٨٦٩ وتصاعدت اهميتها بسرعة كطريق اقصر واقل نفقة للملاحة الدولية بين اوروبا واميركا من جهة والشرقين الاوسط والاقصى في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين٠ وكانت بريطانيا هي القوة الدولية الاولى التي سارعت الى السيطرة على البحر الاحمر من الناحية الاستراتيجية ، اذ انها كانت قد احتلت ميناء «عدن» في عام ١٨٣٩ وحولته الى محطة تزويد بالفحم لسفنها المتجهة من والى الهند عبر المحيط الهندي حول طريق رأس الرجاء الصالح كما احتلت جزيرة « بريم » عام ١٨٥٩ ، ثم تآمرت على استقلال مصر ، القائم ضمن تبعيتها العامة للامبراطورية العثمانية ، عن طريق تدخلها المتزايد في شئونها الداخلية نتيجة مشكلة الديون الخارجية المتفاقمة في عهد الخديوي اسماعيل ، حتى تمكنت من التدخل العسكري المباشر ضد حكومة « احمد عرابي » الثورية واحتلت مصر عسكريا في عام ١٨٨٢ ، واتبعتها باحتلال السودان وقمع الثورة المهدية فيه عام ١٨٩٨ ، وبهذا اكتملت سيطرتها على النقاط الاستراتيجية الحيوية الهامة في البحر الاحمر والمتمثلة في السيطرة على قناة وخليج السويس وباب المندب وموانيء السودان ٠ وقامت فرنسا هي الاخرى باحتلال ميناء « اوبوك » في « جيبوتي » عسكريا عام ١٨٨٤ ، بعد أن كانت الشركات الفرنسية قد اقامت لها فروعا تجارية فيه عقب افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، ثم استكملت انشاء ما سمي بالصومال الفرنسي وحددت حدوده رسميا عام ١٨٩٦ ، ليكون قاعدة للوجود الفرنسي على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، حتى لا يترك لبريطانيا الانفراد المطلق بالسيطرة عليه ، خاصة بد أن انفردت بالسيطرة على مصر والسودان ، وازاحت فرنسا عن مركز نفوذها الممتاز السابق في مصر نتيجة لحصولها على امتياز شركة قناة السويس في عهد الخديوي سعيد والخديوي اسماعيل٠ولكن تسوية الخلافات الاستعمارية التي جرت بين البلدين الامبرياليين عام ١٩٠٤ بمقتضى الاتفاقية التي قسمت مناطق النفوذ في القارة الافريقية بين الدولتين ، بحيث اعطيت بريطانيا حرية الحركة في مصر والسودان مقابل موافقتها على اطلاق يد فرنسا في شمال افريقيا ، خففت كثيرا من حدة الصراع بين الدولتين حول البحر الاحمر وتركت بريطانيا عمليا صاحبة السيطرة الفعلية عليه ٠ ولكن ايطاليا هي الاخرى كانت تسعى الى محاولة اقتسام النفوذ مع بريطانيا وفرنسا عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، اذ انها احتلت ميناء « عصب » عام ١٨٨٢ وانشأت مستعمرة لها هناك ، ثم وسعتها عام ١٨٨٥ باحتلال ميناء « مصوع » وبهذا سيطرت على ساحل « اريتريا » ٠ ثم حاولت بعد ذلك أن تحتل الحبشة عام ١٨٩٥ لتدعم وجودها

في شرق افريقيا والبحر الاحمر ، ولكنها اضطرت الى التراجع عن هدفها هذا بعد هزيمتها عسكريا امام الجيش الحبشي في معركة « عدوا » التي جرت في اوائل اذار ( مارس ) ١٨٩٦ ، ومن ثم سلمت باستقلال الحبشة في معاهدة « أديس ابابا » التي عقدت في ٢٦ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٨٩٦ ٠ وكان لهذه الهزيمة بطبيعة الحال اثرها في ضعف نفوذها في البحر الاحمر وعدم محاولتها وقتئذ تحدي السيطرة البريطانية عليه ، وذلك رغم انها كانت تسيطر على الساحل والقسم الشرقي من الصومال ، المطل جزئيا على خليج عدن وعلى المحيط الهندي بصورة رئيسية ، منذ عام ١٨٨٩ والذي عرف بعد ذلك بالصومال الايطالي منذ عام ١٩٢٥ تمييزا له عن الصومال البريطاني المشرف كليا على خليج عدن ٠ والواقع ان ايطاليا قد تمكنت من السيطرة على ساحل « اريتريا » ، وكذلك بريطانيا بالنسبة للصومال البريطاني ، دون مقاومة فعلية نظرا لاضطرار مصر لسحب حامياتها العسكرية من موانىء « هرر » و« زيلع » و« بربرا » عام ١٨٨٤ ، حتى تستطيع تركيز قواها ضد الثورة المهدية في السودان ٠ ولكن طموح ايطاليا في السيطرة على البحر الاحمر تزايد بعد وصول موسوليني الى الحكم وقيامه بغزو واحتلال الحبشة عام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ، اذ تدعمت عشية نشوب الحرب العالمية الثانية القوة البحرية الايطالية في « اريتريا » ، حيث كان ميناء « مصوع » يمثل قاعدة بحرية رئيسية، وكذلك في الصومال الايطالي في « مقديشو »، كما تركزت قوة جوية كبيرة في «اريتريا» و« الحبشة » و« الصومال » ، ولكن اكبر تركيز لها كان في « اريتريا » حيث كانت توجد عدة قواعد جوية بعضها حفرت ملاجيء طائراتها داخل كهوف صخرية كبيرة ٠ ومن ثم فقد تزعزعت سيطرة بريطانيا على مدخل البحر الاحمر عقب اعلان ايطاليا الحرب عليها في ١٠ حزيران ( يونيو ) ١٩٤٠ ، واحتلالها « الصومال البريطاني » في آب ( اغسطس )من العام نفسه ٠ ولكن الطيران البريطاني العامل اساسا من « عدن » بالتعاون مع الاسطول البريطاني القوي والاكثر خبرة ، العامل اساسا في المحيط الهندي وخليج « عدن » تمكنا من شل فاعلية الطيران والبحرية الايطاليين خلال الشهور التالية ، وحتى تمكنت القوات البريطانية من احتلال « اسمره » و« مصوع » في اذار ( مارس ) ١٩٤١ ، ثم بقية « اريتريا » حتى « عصب » وكذلك الصومال كله في نيسان ( ابريل ) من العام نفسه ، ومن ثم اعلن البحر الاحمر مفتوحا للملاحة الآمنة مرة اخرى امام سفن الحلفاء ، واصبح يشكل الطريق البحري الرئيسي لامداد القوات البريطانية المقاتلة في مصر وليبيا والشرق الاوسط عامة بالاسلحة والعتاد والمؤن من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا ، طوال عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ وحتى اوائل النصف الثاني من عام ١٩٤٣ حيث بدأت القوافل البحرية القادمة من بريطانيا والولايات المتحدة تجتاز البحر الابيض المتوسط عبر مضيق جبل « طارق » ، دون مواجهة مخاطر

جوية أو بحرية كبيرة ، بعد ان استولت قوات الحلفاء على جزيرة « صقلية » الايطالية في تموز ( يوليو ) ١٩٤٣ ، والجزر الصغيرة الواقعة بينها وبين « تونس » مثل جزيرة « بانتلاريا » ، والتي كانت تشكل قاعدة رئيسية للطيران الالماني ـ الايطالي وكذلك للغواصات والسفن الحربية الايطالية والالمانية · وهكذا تأكدت السيطرة الاستراتيجية البريطانية المطلقة على البحر الاحمر حتى نهاية الحرب · وقد ظلت هذه السيادة الاستراتيجية البريطانية على البحر الاحمر عدة سنوات عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، الى ان بدأت الدول المطلة عليه وعلى خليج « عدن » تستقل بالكامل وتصفي الوجود العسكري البريطاني فيها تباعا · فقد جلت القوات البريطانية عن قواعدها في منطقة قناة السويس تماما في حزيران ( يونيو ) ١٩٥٦ ، وفشلت في استعادتها مرة اخرى في العدوان الثلاثي الذي تم في تشرين الاول والثاني ( اكتوبر ونوفمبر ) من العام نفسه ، وكانت هذه هي الضربة الرئيسية الاولى والهامة في تقليص السيطرة الاستراتيجية البريطانية على البحر الاحمر ، التي شكلت الاساس العملي لبداية الوعي والسيطرة الاستراتيجية العربية عليه بعد ذلك ، كما استقلت السودان في بداية عام ١٩٥٦ ايضا ، ثم جاءت الضربة القاضية على السيطرة البريطانية في البحر الاحمر حين استقلت اليمن الجنوبية وانسحبت القوات البريطانية من قاعدة « عدن » في اواخر عام ١٩٦٧ · وقبل ذلك كانت الصومال هي الاخرى قد استقلت منذ عام ١٩٦٠ ، ولم يتبق سوى « جيبوتي » تحت السيطرة الفرنسية حتى عام ١٩٧٧ · اما « اريتريا » فقد ضمت الى الحبشة عام ١٩٥٢ على اساس فيدرالي وانسحبت منها القوات البريطانية، ثم بدأت حركة المقاومة الشعبية المسلحة فيها من اجل استقلالها عن الحبشة في عام ١٩٦٣ وما زالت مستمرة حتى الآن ، اثر الغاء الحبشة للطابع الفيدرالي السابق واعتبار اريتريا جزءا لا يتجزأ منها عام ١٩٦٢ · ولقد لعب الوجود العسكري المصري في اليمن الشمالية في السنوات ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ دورا هاما في دعم الثورة الوطنية المسلحة في اليمن الجنوبية وتصفية الوجود العسكري البريطاني في « عدن » ، ومن ثم بداية ترسيخ السيطرة الاستراتيجية العربية على البحر الاحمر ومدخله الجنوبي الحيوي عند باب المندب ·

## البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي :

خلال الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ لم تكن قد برزت بعد اهمية البحر الاحمر في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، بحكم انه لم يكن لاسرائيل بعد أي منفذ بحري عليه خلال هذه الحرب ، اذ ان احتلال اسرائيل لمنطقة « أم الرشراش » ، الواقعة بين ميناء « العقبة » الاردني والحدود المصرية ، لم يتم الا في يوم ١٠ اذار ( مارس ) ١٩٤٩ اثناء وجود الوفد الاردني في مفاوضات الهدنة بجزيرة « رودس » ، اذ تقدم رتل اسرائيلي رئيسي يضم

مصفحات وعربات جيب ، تحت حماية الطائرات ، يوم ٤٩/٣/٨ عبر وادي «عربة» ورتل ثانوي اخر عند « بير ملهان » ، وقد وصل الرتل الرئيسي بعد ذلك الى وادي « المليحة » ، وكانت هناك سرية من المشاة الاردنية يبلغ عددها نحو ١٠٠ جندي تحتل خطا رفيعا من نقاط الانذار بين وادي « عربة » و « بير ابن عودة » تقريبا يبعد نحو ٤٥ ميلا الى الشمال من « العقبة » ، وقد نشب اشتباك محدود بين بعض هذه المفارز الاردنية والرتلين الاسرائيلين ( قدر غلوب باشا قوة الرتل الرئيسي بكتيبة ) مساء يوم ٤٩/٣/٩ ، ولم يكن في نية القيادة الاسرائيلية التورط في قتال فعلي مع الجيش الاردني ، وانما كان المقصود القيام بمظاهرة عسكرية تعطي المبرر الدعائي للجانب الاردني كي ينسحب من مواقعه ، ولذلك فان « غلوب » رد على برقية قائد السرية الاردنية ، التي ارسلها اليه مساء اليوم نفسه يسأله فيها ما اذا كان سيقاتل حتى اخر رجل في مواقعه أم ينسحب ويترك الاسرائيليين يمرون في طريقهم نحو خليج العقبة ، بانه يترك له حرية التصرف بالكامل (١) ! وفهم القائد المحلي ان هذا الرد يعني حرية الانسحاب وعدم التصدي للقوة الاسرائيلية · وهكذا تم انسحاب المفارز الاردنية دون قتال في الليل ، وقصفت القوة الاسرائيلية المواقع بمدافعها وقنابل الطائرات صباح اليوم التالي وفقا لرواية «غلوب» ، وفي مساء اليوم ذاته ٤٩/٣/١٠ وصلت القوة الاسرائيلية الى مخفر « ام الرشراش » الاردني على شاطيء خليج العقبة دون مقاومة ، على حين كانت هناك قوة بريطانية ، ارسلت الى «العقبة» لردع القوة الاسرائيلية عن محاولة احتلال المدينة الاردنية وميناءها الحيوي ، تقف ساكنة تراقب عملية الاحتلال الاسرائيلي للشريط الارضي الضيق الممتد بين الحدود الاردنية ومخفر « طابا » و« رأس النقب » ، الواقعين على الحدود المصرية ، وهو الشريط الذي كان يشكل المنفذ الفلسطيني على البحر الاحمر · وقد برز « غلوب » هذا التواطؤ الاردني ـ البريطاني ـ الاسرائيلي ، بأن القوات الاردنية في العقبة ومنطقة « بير ابن عودة » كانت ضعيفة للغاية ولم يكن من الممكن تعزيزها الا بقوات من منطقة القدس التي تبعد عنهابنحو ٢٦٠ ميلا بالطريق البري عبر « عمان » ، وكان وصول هذه التعزيزات يتطلب نحو ثلاثة ايام نظرا لان الطريق جنوب عمان كان غير معبد بالاسفلت ، ومن ثم فان صمود هذه السرية في وجه الرتلين الميكانيكيين الاسرائيليين الى حين وصول التعزيزات كان في حكم المستحيل ، خاصة وأن الطيران الاسرائيلي كان يدعم الرتلين على حين لم يكن لدى الاردن سلاح جوي ، كما أن القيادة الاسرائيلية كانت تستطيع تعزيز قواتها بسرعة من « بئر السبع » · وفي النتيجة لم يكن هناك بد من تسليم « ام الرشراش » لاسرائيل ! خاصة وأن الوفد الاسرائيلي في محادثات الهدنة الاردنية ـ الاسرائيلية التي كانت تجري في « رودس » قد اوضح

---

١ ـ Glubb , *A Soldier With The Arabs* , Holder and Stoughton , London : 1969 , P. 232 .

ان اسرائيل من حقها احتلال « ام الرشراش » بحكم خريطة تقسيم فلسطين وفقا لقرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ !

وذكر « بن‌غوريون » في كتابه « اعوام التحدي » انه اثناء حرب ١٩٤٨ لم يكن من الممكن بلوغ « ايلات » لانه يقع على رأس مثلث يسيطر على جانبيه العدو ، ومن ثم فانه كان بمثابة فخ للموت ، وانه فقط بعد توقيع الهدنة مع مصر وتأمين احد الجناحين ، أو جانبي المثلث ، اصبح من الممكن دفع القوات الاسرائيلية للوصول الى خليج العقبة · وبالفعل فان العملية الاسرائيلية المذكورة بدأت بعد نحو اسبوعين فقط من توقيع اتفاقية الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية في « رودس » ، واثناء بحث وتوقيع اتفاقية الهدنة مع الاردن ! وهذا مثال عملي يوضح اسلوب الاستراتيجية العليا الاسرائيلية في الوصول الى اهدافها تدريجيا وبمزج كامل بين السياسة والقوة العسكرية والحركة السريعة مع توفير الغطاء الدعائي الدولي اللازم ، وفقا للمناورة الاستراتيجية التي يسميها الجنرال « اندريه بوفر » بمناورة « الخرشوفة » · وقد استند تنفيذ هذه المناورة الاستراتيجية ، التي لم تكلف الجيش الاسرائيلي « نقطة دم واحدة» على حد تعبير « بن غوريون » ، الى المناخ النفسي العام الذي سيطر على القيادات السياسية العربية ، خاصة القيادة المصرية والاردنية ، عقب وقف اطلاق النار وعقد اتفاقيات الهدنة التي انهت حرب ١٩٤٨ ، من حيث الرغبة في تجنب مشكلات تجدد القتال مرة اخرى مع اسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ التي ارهقتها ماديا ومعنويا ، ومن ثم كانت العملية الاسرائيلية مخاطرة عسكرية صغيرة محسوبة سياسيا بشكل سليم · وقد مرت حادثة « ام الرشراش » بهدوء اعلامي عربي ، ولم تبحث أو تناقش جديا ابعادها الاستراتيجية من حيث انها ستؤدي ، أو أدت بالفعل ، الى دق اسفين بري اسرائيلي بين مصر والمشرق العربي عامة · ومن ثم يتأكد دور اسرائيل كحاجز استعماري غربي بين قسمي العالم العربي بكل ما يترتب على ذلك الواقع الجغرافي من نتائج استراتيجية هامة في مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي · وكذلك من حيث انها ستؤدي الى انفتاح اسرائيل على البحر الاحمر والمحيط الهندي في المستقبل ، بكل ما يعنيه ذلك من ابعاد اقتصادية وعسكرية بالنسبة لاسرائيل ولدول البحر الاحمر العربية · عقب احتلال « ام الرشراش » بدأت على الفور عملية اقامة مستوطنة « ايلات » وبناء ميناء صغير لها وربطها ببئر السبع بطريق معبد رئيسي « اوتوستراد » ، وقد افتتح ميناء « ايلات » في نيسان ( ابريل ) ١٩٥١ وكان عدد سكان المستوطنة وقتئذ ٥٢٩ شخصا فقط ·

وفي ١٢ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٥٥ بدأت مصر تمارس للمرة الاولى « الخنق الاستراتيجي » ضد اسرائيل ، عندما اعلنت قوانين تنظيم الملاحة عبر مضائق « تيران » المؤدية الى خليج العقبة ، والتي اعتبرتها جزءا من المياه الاقليمية المصرية ، ومن ثم كان يتحتم على كل سفينة تريد اجتياز المضائق المذكورة أن

تخطر مسبقا المكتب المصري الاقليمي المكلف بالاشراف على الحصار الاقتصادي على اسرائيل ومقره بالاسكندرية قبل ٩٦ ساعة من موعد عبورها للمضائق على الاقل ٠ وذلك بعد أن ركزت ابطارية من المدفعية الساحلية في « رأس نصراني » المشرفة على اضيق نقطة في المضائق تساندها كتيبة مشاة بطاريات من المدفعية المضادة للطائرات في كل من « رأس نصراني » و« شرم الشيخ » ووحدات من سلاح الحدود في جزيرتي « تيران » و« صنافير » ونقاط مراقبة وانذار على الساحل السعودي من خليج العقبة ٠ وترتب على ذلك وقف مرور السفن الاسرائيلية أو غير الاسرائيلية المتجهة الى « ايلات » أو الخارجة منها عبر البحر الاحمر ٠ وكان ذلك يشكل في واقع الامر بداية الوعي الاستراتيجي العربي باهمية البحر الاحمر في الصراع العربي ضد اسرائيل ٠ ولكن حجم الوسائل العسكرية المصرية المتاحة للاحتفاظ بموقع « شرم الشيخ » الاستراتيجي ، المعزول في اقصى الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء والذي لا توجد فيه اي موارد محلية للمياه والمواد الغذائية ، لم يمكن مصر من الاحتفاظ به خلال حرب ١٩٥٦ ، خاصة في ظل التفوق الجوي والبحري الساحق ، الذي عمل تحت ميزاته لواء المشاة الميكانيكي الاسرائيلي الذي تقدم من « ايلات » حتى « شرم الشيخ » ، واستولى عليها بعد معركة بطولية يائسة مع كتيبة المشاة المصرية المحدودة التسليح بالاسلحة م/ط وم/د في اوائل تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٥٦ ، وهو التفوق الذي نتج عن اشتراك بريطانيا وفرنسا في الحرب الى جانب اسرائيل وتدمير معظم السلاح الجوي المصري على الارض، وهو ما زال في بداية مرحلة استيعاب الطائرات المقاتلة السوفيتية الجديدة من طراز « ميغ ١٥ » و« ميغ ١٧ » ٠ وكان ابرز مكسب حققته اسرائيل من وراء عدوان ١٩٥٦ الثلاثي ، هو ضمان حرية الملاحة عبر مضائق « تيران » رغم انسحاب آخر قوة لها من محور « رأس النقب ـ شرم الشيخ » في ١٦ اذار (مارس) ١٩٥٧ ، عن طريق حلول قوات الطوارىء الدولية محل قواتها في هذا المحور وفي جزر « تيران » ، وتعهد مصر للقوى الدولية الكبرى بعدم التعرض بالقوة للملاحة الاسرائيلية عبر خليج العقبة ، رغم عدم اعلانها أو موافقتها الرسمية على اسقاط حقها القانوني في فرض الحصار البحري عن طريق اغلاق مضائق « تيران » باعتبارها جزءا من مياهها الاقليمية يحق لها منع دخول السفن المتعاملة مع دولة معادية لها من الدخول فيها وفقا لاحكام القانون البحري الدولي ٠ وهكذا عبرت اول سفينة اسرائيلية مبحرة من « ايلات » عقب انسحاب القوات الاسرائيلية من « شرم الشيخ » مضائق «تيران» يوم ١٨ اذار ( مارس ) ١٩٥٧ ، وكانت شاحنة تسمى « ملكة سبا »، تحت حماية قوات الطوارىء الدولية (٢) ٠ وظلت موازين القوى الاستراتيجية

---

٢ ـ Love , Kenneth , *Suez The Twice Fought War* , Longman , London : 1970 , P. 671 .

هادئة ومستقرة في البحر الاحمر عقب حرب ١٩٥٦ لمدة خمس سنوات تقريبا ، حتى نشبت ثورة وحرب اليمن الشمالية عام ١٩٦٢ وما ترتب عليها من وجود عسكري مصري هناك ، شكل تزايده خطرا كامنا على الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر والمصالح الاقتصادية الاسرائيلية المترتبة عليها في استيراد النفط من ايران والتبادل التجاري مع شرق وجنوب افريقيا ٠ولكن خطر ممارسة سياسة « الخنق الاستراتيجي » العربية لم يتحول الى واقع عملي مرة اخرى الا في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، حين اعادت مصر اغلاق مضائق « تيران» عشية حرب ١٩٦٧ ، وهو العمل الذي اعتبرته اسرائيل بمثابة اعلان للحرب عليها ، وتحركت من اجله الدول الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية مساندة لاسرائيل في حقها بالملاحة عبر مضائق تيران على اساس انها ممرات مائية دولية ، وذهبت بعيدا في دعمها لاسرائيل الى حد البدء في اعداد قوة بحرية وخطة عمليات لاختراق الحصار اطلقت عليها الولايات المتحدة اسم خطة « رغاتا » ، اذا ما رفضت مصر الخضوع للضغوط السياسية والاقتصادية الهادفة الى رفع الحصار عن رئة اسرائيل الجنوبية « ايلات »، ولكن سرعة تلاحق الاحداث وشن اسرائيل لهجومها في ٥ حزيران ( يونيو ) الذي نجم عنه توجيه ضربة قاضية للطيران المصري وهو جاثم على الارض ، وما تلا ذلك من انسحاب القوات البرية المصرية في سيناء و« شرم الشيخ »، حال دون تورط الدول الامبريالية المباشر في تأمين حرية الملاحة الاسرائيلية عبر مضائق « تيران » والبحر الاحمر ، بعد أن اثبتت القوة العسكرية الاسرائيلية قدرتها على تنفيذ هذه المهمة من خلال شن حرب شاملة ضد مصر ودول المواجهة العربية ، وليس من مجرد التهديد أو الردع المتدرج الناتج عن تنفيذ عملية عسكرية محدودة تقتصر على خليج العقبة جغرافيا فحسب ٠ وكشف احتلال اسرائيل « شرم الشيخ » للمرة الثانية خلال احد عشر عاما عجز القوة العسكرية المصرية حتى ذلك الوقت عن تأمين اهداف الاستراتيجية العليا العربية المتمثلة في ممارسة سياسة « الخنق الاستراتيجي » بنجاح فعال ، وهو عجز ناتج في الاساس عن ضعف المقدرة التنظيمية والقيادية العسكرية وليس عن نقص في التسليح كما أو نوعا ، وهو الامر الذي لم تتحسب له القيادة السياسية المصرية والعربية عامة ، ومن ثم اخطأت في حساباتها الاستراتيجية المبنية على « الردع » المتمثل في التهديد باستخدام القوة الى حد الدخول في حرب شاملة ضد اسرائيل عن طريق حشد ضخم لقواتها في سيناء وسحب قوات الطوارىء الدولية ، اذ ثبت أن الاداة العسكرية المنفذة لم تكن في مستوى استراتيجية « الردع » العليا التي انتهجتها القيادة السياسية ، وهو خطأ كان ولا يزال له اثاره المباشرة وغير المباشرة على مجرى الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ ٠

وترتب على سيطرة اسرائيل على شبه جزيرة سيناء ، و« شرم الشيخ » من

ضمنها ولا يمكن تأمين السيطرة عليها بدون السيطرة على القسم الاكبر من سيناء ، وخاصة القسم والمحور الجنوبيين فيها ، ترتب على ذلك ان نمت تجارة اسرائيل عبر « ايلات » والبحر الاحمر بمعدل ١٥ ٪ سنويا ، وازدهرت « ايلات » ذاتها فبلغ عدد سكانها اكثر من ١٣ الف نسمة عام ١٩٧٠ ، خاصة بعد أن تم انشاء خط انابيب نفط « ايلات ــ عسقلان » في شباط (فبراير) ١٩٧٠ بطاقة بلغت ٢٥ مليون طن من النفط اغلبه من ايران عام ١٩٧١، وكان من المتوقع أن تصل طاقته الى ٦٠ مليون طن سنويا عام ١٩٧٥ ، بعد الانتهاء من بناء محطات ضخ اضافية بالاضافة الى توسيع مصفاة « حيفا » ومصفاة « اشدود » القريبة من « عسقلان » ، وبناء مصفاة اخرى في «ايلات»٠ وقد بدأت اسرائيل في مد انبوب النفط هذا في تموز (يوليو) ١٩٦٨ لمسافة ١٦٠ ميلا حتى عسقلان الواقعة على البحر الاحمر الى الشمال من « المجدل » ، ويبلغ قطره ٤٢ بوصة ٠ وقد صمم على اساس قدرته على حمل خمسة انواع مختلفة من الزيت الخام تضخ كل منها تلو الاخرى ، وبلغت نفقات انشائه ١١٣ مليون دولار ٠ وفي عام ١٩٧١ تجاوز حجم تجارة « ايلات » ٦٠٠ الف طن في السنة ٠ (٣) وعلى هذا الاساس قامت اسرائيل بتوسيع حجم اسطولها التجاري بصفة عامة ، فقد قامت في عام ٦٩ و٧٠ بشراء ١٣ سفينة، ووضعت مخططا لتطوير حجم اسطولها في اوائل الثمانينات بحيث تصل طاقته الى ٤ ملايين طن ، وهي تركز في هذا الصدد على ناقلات البترول العملاقة ، التي بنت منها ٣ سفن في احواض « روتردام » الهولندية تسلمت اثنتين منها عام ١٩٧١ حمولة كل منهما ٢٣٠ طنا ، وذلك ضمن اسطول ناقلات بترول سيصل الى ١٩ ناقلة ٠ وفي الوقت نفسه اصبحت « ايلات » والبحر الاحمر هما طريقها لتصدير الاسمدة والمنتجات الزراعية والاسلحة الى جنوب افريقيا ودول شرق افريقيا واستراليا والشرق الاقصى عامة ، وقد مرت عبر « ايلات » ومضائق تيران ٩ ٪ من صادرات اسرائيل و٥ ٪ من وارداتها عام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ٠

وعندما شنت مصر حرب الاستنزاف على جبهة القناة عامي ٦٩ـ٧٠ لم تحاول فرض الحصار البحري على الملاحة الاسرائيلية عبر البحر الاحمر في أي موقع فيه خشية رد الفعل الجوي الاسرائيلي على اهدافها الاقتصادية الحيوية في العمق ، وخاصة في الصعيد حيث يوجد السد العالي ، نظرا لعدم تكامل غطاء الدفاع الجوي الفعال في العمق سواء من حيث شبكة بطاريات الصواريخ أو من حيث استعادة سلاحها الجوي قدرته الفعالة ٠ واكتفت بشن بعض اغارات « الضفادع البشرية » على ميناء « ايلات » ،حيث تم اغراق بعض السفن المساندة للعمليات الحربية الاسرائيلية في خليج

---

٣ ــ ابير ، مردخاي ، السياسة العالمية في البحر الاحمر ، ترجمة متري رعد ، المجلة العسكرية السورية ، عدد ١ و٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ ٠

السويس وتدمير بعض منشآت الميناء ، وذلك في ايـام ١٩٦٩/١١/٨ و١/٢٥/ ١٩٧٠ و١٩٧٠/٢/٦ ٠

## انتقال الصراع الـى بـــاب المندب :

ولكن تزايد المصالح النفطية الاسرائيلية بعد تشغـيل خط انابيب « ايـــلات ـ عسقلان » ، وتزايد مصالحها التجارية مع دول شرق افريقيا ، وخاصة الحبشة أو « اثيوبيا » التي اصبح لديها فيها شركات تجارية عـدة ، وبالذات فـــي « ارتيريا » ، مثل شركة « انكودا » لتعبئة اللحوم وشركة « اتاجن » الزراعـية وشركة « هارون اخـوان » ، وهي شركات احتكرت بالكامل تجارة بعض منتجات هذه البلاد الزراعـية ٠ بالاضافة الى الدلالة العـملية الرمزية التي شكلتهـــا اغـارة الفدائيين الفلسطينيين البحرية التي تمت عـلى ناقلة البترول الاسرائيلية « كورال سي » قرب جزيرة « بريم » عند « باب المندب » في تشريـــن الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، التي تمت بالتعاون مع سلطات اليمن الشعبية الجنوبية المستقلة حديثا وقتئذ ، كل ذلك دفع اسرائيل الى ادراك المخاطر الكامنة في احتمـــال ممارسة مصر ودول البحر الاحمر العربية مرة اخرى لاسلـــوب « الخنـــق الاستراتيجي » لرئة اسرائيل الجنوبية « ايلات» عـند « باب المندب » بعـيـدا عن « شرم الشيخ » وعـن التفوق الجوي الاسرائيلي ، خاصة وأن الـــدول العربية مثـل السودان وليبيا وسوريا واليمن الشعبية اخذت تقدم لجبهة تحرير «اريتريا » مساعـدات عسكرية ملموسة منذ عـام ١٩٦٨ ، مكنتها من تصعـيـد عـملياتها عامي ٦٩ ـ ٧٠ حتى وصلت بها الى ساحـل البحر الاحمر وسيطرت على معـظم المناطق الشمالية والوسطى وقسم من الساحل في اريتريا ٠ ولذلـك اقامت اسرائيل مدرسة عسكرية لتدريب الجنود الاثيوبيين عـلى أساليب الحرب المضادة للعصابات في مدينة « دقي امحري » ، فضلا عـن مركز للتجسس فـي عاصمة اريتريا « اسمرة » ، وتقوم حاليا بتدريب فرقة « نبلبل » الاثيوبية ٠وفي ١٢ ايلول ( سبتمبر ) عـام ١٩٧١ قام الجنرال « حاييم بارليف » ، رئيـــس الاركان الاسرائيلي وقتئذ ، بزيار سرية الى الحبشة اجرى خلالها محادثات مـع قائد القوات البحرية فيها ، ثم طار اثر ذلك الى « اسمرة » ومنها استقل فـــي الليلة ذاتها طائرة هليكوبتر الى ميناء « مصوع » وتفقده ، ثم عـاد الى الحبشة مرة اخرى حيث عرض على الحكومة هناك تزويد اسرائيل لها بشبكة رادار تقام على شواطىء اريتريا لمراقبة عمليات تهريب الاسلحة من جمهورية اليمن الشعبية الى ثوار جبهة التحرير الاريترية ، الذين قيل وقتئذ انهم يتدربون على استخـدام الاسلحة وحرب العصابات في جزيرة « بريم »٠ كما عرض « بارليف » تزويـــد البحرية الاثيوبية بعـدد من زوارق الدورية والصواريخ سطح ـ سطح ، على أن يقوم ضباط وجنود من البحرية الاسرائيلية بتشغـيل محطات الرادار المقتـــرح اقامتها على شواطيء اريتريا والزوارق المذكورة الى حين اتمام تدريب الاثيوبيين

عـليها · واثر ذلك قامت بعثة من الخبراء الاسرائيليين بتفقد جزيرتي «دهلك» و« هليب » ، حيث قاموا برسم خرائط واعداد دراسات مفصلة عـنهمـا تمهيـدا لاقامة مطار وقاعـدة بحرية تستخدمها سفن الصيد الاسرائيلية في جزيرة «هليب» واقامة محطة رادار على جزيرة « دهلك » ، التي كانت توجد فيها شركـات اميركية للتنقيب على البترول لديها نحو الف خبير ، بينهم نحو ١٠٠ اسرائيلي· واثر ذلك بلغ عـدد سفن الصيد الاسرائيلية العاملة بين ميناء « مصوع »وجزيرة « دهلك » نحو ٢٥ سفينة ، كانت تقوم بتخزين حصيلة صيدها من الاسماك فـي ثلاجات خاصة بميناء « مصوع » حيث تصل سفينة اسرائيلية كبيرة لتفريغ هذه المخازن ، والقيام اثناء رحلتها هذه باعـمال المراقبة البحرية في المنطقة ، اذ ان هذه السفن كانت مجهزة لاداء مثـل هذه العمليات الى جانب تجهيزها الاصلـي لنقل كميات كبيرة من السمك · هذا وكانت بريطانيا قد سلمت الحبشة جزيرة « ابوعـلي » عـام ١٩٦٧ قبل انسحابها من « عـدن » ، ومن المعتقـد ان قـوة المراقبة الاسرائيلية في جزيرة « دهلك » تشرف عـليها هي وجزيرتي « جبـل الطير » و« جزيل » وكلها قريبة من « باب المندب » · (٤)

ورغم ذلك كله فقد امكن للبحرية المصرية بقوة مشتركـة مـن المدمرات والغواصات ، المستندة الى خدمات وتعاون قواعـد بحرية في اليمن الشعبيـة الجنوبية ، أن تفرض فجأة الحصار البحري على « باب المندب » فـي ٦ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ ، كجزء من خـطط عمليات الحرب الشاملة التي بدأتها كل من مصر وسوريا على الاحتلال الاسرائيلي لاراضيهما القائم منـذ ١٩٦٧ · وجاء « الخنق الاستراتيجي » هذه المرة مؤقتا ومرتبطا بالهدف السياسي الرئيسي للحرب ، الا وهو اثبات فشل وعجز نظرية الامن الاسرائيلية ، خاصة من حيث اثبات خطأ وقصور مبدأ « الحـدود الآمنة » · جاء الحصار البحري في اقصى الطرف الجنوبي للبحر الاحمر ليثبت لاسرائيل ان « شرم الشيخ » و« مضائـق تيران » ليست حدودا جنوبية آمنة يحق لاسرائيل الاحتفاظ بها لتأمين حريـة ملاحتها عبر البحر الاحـمر عبر « ايلات » وخليج « العقبة » ، كما كانت ومـا زالت تزعم وتبرر احتلال هذا الجزء من شبه جزيرة سيناء · ونجح « الخنـق الاستراتيجي » المؤقت ضمن الهدف السياسي المحدد للحرب ، نظرا لان فاعـلية الدفاع الجوي حالت دون الردع الاسرائيلي الجسيم المضاد ، ولان ظروف الحرب الشاملة على الجبهتين اربكت القوة العسكرية الاسرائيلية الجوية والبحريـة

---

٤ . مجلة الطليعة الكويتية ، عدد ٣٨٥ في ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ١٩ ·

واضطرتها لتركيز جهودها بالكامل على جبهات القتال المباشرة · ثم رفع الحصار بعد ذلك كتنازل مشروط بترتيبات ضمان امداد الجيش الثالث في السويس بالمؤن والمياه اثناء محادثات « كيسينغر » التي تلت وقف اطلاق النار · ولذلك عملت اسرائيل بنشاط عقب الحرب على دعم وتطوير قوتها البحرية في البحر الاحمر ، واخذت تنقل الى « ايلات » عددا من زوارق الصواريخ بعيدة المدى من طراز ـ« رشاف » ، التي يصل مدى عملها الى نحو ٢٠٠٠ كلم في حالة سيرها بسرعة ٣٠ عقدة في الساعة ، وكانت اولى هذه العمليات نقل زورقين من هذا الطراز في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ الى البحر الاحمر بعد رحلة بحرية طويلة عبر البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي ثم المحيط الهندي عبر « رأس الرجاء الصالح » ·

ويمكن لمثل هذه الصواريخ أن تعمل بفاعلية قرب « باب المندب » ، خاصة اذا ما امكن اعادة تزويدها بالوقود والمؤن والذخيرة من الجزر الاريترية القريبة من المنطقة ، والتي يقال أن اسرائيل تبني حاليا بصورة جدية قاعدة بحرية في احداها ، وتدعى جزيرة « فاطمة » الواقعة على بعد ٥٠ كلم الى الشمال من «باب المندب» ، حيث ترسل اليها ـ شحنات كبيرةمن المعدات والاسلحة والذخائر · وعقب انتقال هذين الزورقين الى البحر الاحمر كتب العميد احتياط « شلومو اريئيل » ، القائد السابق للبحرية الاسرائيلية ، مقالا في صحيفة معاريف يوم ١٩٧٤/٤/٢٦ اوضح فيه الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بالنسبة لاسرائيل فقال « لا مبرر للاسهاب في الحديث عن ضرورة المحافظة على حرية الملاحة في منطقة البحر الاحمر ، التي يمر فيها خط انابيب البترول من الخليج الفارسي الى « ايلات » ، والتي يتوقف عليها تصدير المعادن والاسمدة وتجارتنا الخارجية مع الشرق الاقصى واستراليا وشرق افريقيا ··· وتنطوي التطورات المتوقعة في منطقة البحر الاحمر ، بعد استئناف الملاحة في قناة السويس على مخاطر تصادم مع مصالحنا الحيوية ، ومحاولات زيادة عزلتنا في هذه المنطقة ··· ونحن نملك القدرة التكنولوجية والبشرية كي نكون عنصرا بحريا مسيطرا في منطقة البحر الاحمر الحيوية ، ونأمل ان تكون سفينتا الصواريخ « رشاف » و« كيشيت » المحاولة الاولى نحو مثل هذا التطور ··· ان هذا البحر ، الذي كان في الماضي نقطة ضعف لاسرائيل ، يمكن ان يتحول الى مجال مبادرة اسرائيلية وقت الحرب ، ولخلق تهديد لمؤخرة مصر وطرق ملاحتها ··· ان سيطرة مصر على قناة السويس تضع في يدها ، مفتاحا واحدا فقط في هذا الممر المائي ، اما المفتاح الثاني والاهم ، فبالامكان أن يوجد

في يد اسرائيل ، اذا عـرفت كيف تطور التفوق البحري في منطقة البحر الاحمر وتحافظ عـليه ٠٠٠ ونظرة الى خريطة تلك المنطقة تشير ، دون الحاجة الـى الدخـول في التفاصيل الى أن مصر مكشوفة ومعرضة للضرب في هذه المنطقـة اكثر من اسرائيل » ٠

وخلاصة القول أن البحر الاحـمر اصبح يشكل ضرورة استراتيجية امنيـة عربية ، وهو يحمل امكانات صراع ضخم في المستقبل ، خاصة في ضوء استقلال اريتريا المتوقع واستقلال اقليم « جيبوتي » القريب في ايار ( مايو ) المقبـل ، والارادة الاستراتيجية العربية الموحدة مطالبة بتأمين متطلبات تأمين السيطـرة الاستراتيجية القوية عـليه عـلى ضوء خبرات الماضي وحقائق الحاضر ، وتلك مسألة في حاجة الى دراسة مفصلة اخرى مستقبلا ٠

# القيامة والطفل الضائع

أحمد عبد المعطي حجازي

لكأنها الرؤيا !
قيامتُكِ المجيدةُ !
يَنهض النهرُ القديمُ بضفتيه واقفاً ،
حتى نشاهدَ في السماءِ مصبَّهُ ،
نافـورةً خضراءَ ،
والشلاّلُ يصعد من منابعه الخفية راعفـاً ،
متفجرا بحرارة الماء المضفّر بالمعادنِ ،
حاملاً معـه المدائنَ ، والأهاليَ ، والقرى ،
والطيرَ ، والحيوانَ .

يا أرجوحةَ الميلادِ لا تتوقفي
دوري ، وسوخي في عروق الطينةِ العطشى ،
وعودي للصعودِ ، ورفرفي
ولدي الذي تَعِدينَ من ألفٍ بمولِده ،
وشُقيّ عنـه تُربتكِ العصيّةَ ،
وانزفـي !

مَن علّم الطِّفلَ اجتيازَ النهرِ ؟
تلك هي القطاراتُ التي كانت تمرّ على قرانا ،
تسلبُ الاحبابَ احباباً ،

وتمضي في الظلامِ مهيبةً ،
لألاءةَ الانوارِ ،
كالأقدارِ ، لا تلوي على شيءٍ
وتتركنا على طرفينِ ،
يزدادان بُعداً واستحالة رجعةٍ ،
متشبثين بذلك الخيط الذي يمتد بين وجوهنا
والأوجهِ الاخرى ،
الى ان نستحيل معا الى بُقعٍ ،
تغــور ، وتختفي

تلك القطاراتُ التي دهمت منازلنا الوديعةَ ،
مَن يقول لها : قفي !
ويعيد لي صمتَ الظهيرةِ ،
والطنينَ اللامعَ المعقودَ من اصداء أصواتِ الحقولِ ،
وما تُغنيّ كائناتُ الدارِ وهي تهيم في انحائها ،
نشوى ، بما تُلقي عليها الشمسُ من وهجٍ مثيرٍ ،
يستديرُ مشعشعَ الأضلاعِ كالماسِ المعلقِ ،
والثرى القواحُ ينبضُ بالاجنّةِ ذاهلاً ،
نعسانَ تحت تموّجِ الآلِ الذي تنحلُّ فيه الشمسُ
ابخرةً ملونةً ،
تشفُّ شفوفُها عن قريةٍ ريّانةِ الاعضاءِ ،
خدرّها الشذى الوهاجُ ،
فاضطجعت الى تاريخها السريّ والهةً ،
تبادله النواح العذبَ .
مَن سيردُّني ؟

وأراك في المدنِ الشقيّةِ ٠
كنت احسَبُ انني وحدي الذي ضيَّعت في طرقاتها وجهي ،
واني سوف اخلع ذاتَ يومٍ نيرَها واعـــودُ ،
لكني رأيت النهرَ مثلي ضائعًا فيها ،
مريضًا ، مستجيرًا في حوائطها ،
رايتكِ ، آه يا اماهُ !
كنتِ حمامةً خضراءَ ،
تبكي فوق قافلةٍ من الاسرى تجر صليبها ابدًا ،
وتخترق المدينة ،
والرجال مصفدون الى بهائمهم عرايا ،
سادرون ، مخدرون بموتهم ،
يتناسلون جماعةً في طقسه الدينيِّ ٠
كنت اراكِ فوق تقاطعُ الطرقاتِ ،
فوق تصالب الليل المنيخ على النهار ،
الّهةً مصلوبةً ،
ياتي الجنود لها بإخوتها ليرجموها ،
ثم ينفلتون خوفًا من ضراعة وجهها المستعطفِ !

واظلُّ أهربُ !
ضائعا بين القطاراتِ التي مدّت على جسدي الحديدَ
ومزقتني في المدائنِ ،
راحلاً في غير عمري ،
ناقلاً في كل يومٍ جذريَ العريانَ ،
من ثلجٍ الى ثلجٍ ،
وحين أمدّ طرْفي مرةً اخرى وراءَكِ

تُقبلينَ ،
أراكِ تختلطينَ بالغيم المسافر راجعا لبلادهِ ،
واذا يدور بيَ القطارُ وراء كلِّ مدينةٍ ،
ويلجُّ في الصمتِ النعـــيِّ
اراكِ مُفردةً ، تشقينَ المدَى

يا نخلةً في وحشةِ الصحراءِ ،
طالعةً من الفردوسِ ،
حاملةً على الرأسِ الجميل بحيرةً ،
تأوي لها السُّفنُ الغريبَةُ ، والطيورُ ،
واذ يمر الانبياءُ مشردينَ بها ،
يُقال لهم : ألا هُزّوا اليكم جذعَها ·
اني هززت اليَّ جذعَك لم تجيبيني !
وضِعتُ ، ولم تردِّيني !
وها هو جمرك الوهاج بعد اليأس يُشرقُ
فاغفري ، واسترجعيني من زمان الموتِ ،
ردِّيني اليكِ اصرْ هباءً فيكِ ،
ماءً ، زهرةً في رملتيكِ ،
دُويبةً ،
اني اشيخ وانطفي !

مَن علَّم العمالَ ان يتدرَّعوا بزنود قتلاهم ،
وان يتقدموا في جسمِ مصرَ المستجيب لهم ،
كما يتقدمُ المحراثُ في الارض الخصيبةِ ؟

انه الفرسُ الآلهيُّ ،
الذي يأتي الينا في الربيع مجنّحاً ،

فيرش خضرته على الوادي ،
ويركض في اتجاه البحر حتى يلتقيهِ امامَه ،
فيشب من فوق اثنتين على الغيوم الزرقِ ،
يضربها بحافره الى أن يقدح الشررَ المطيرَ ،
ويشفيَ الظمأ الوبيلَ ،
ويشتفي !
متفجرا بحرارة الماء المضفَّر بالمعادنِ ،
حاملاً معه المدائنَ ، والاهاليَ ، والقرُى ،
والطيرَ، والحيوانَ ،
يا أرجوحةَ الميلادِ ! لا تتوقفي
دوري ، وسُوخي في عروق الطينة العطشى ،
وعودي للصعودِ ، ورفرفي
ولدي الذي تَعِدينَ من الفٍ بمولدِه ،
وشقي عنه تربتك العصية ،
وانزفي !

باريس في ٢٠ / ٢ / ١٩٧٧

# ساحة الملك

(قصّة)

الياس خوري

كنت أسير مسرعا · الدهاليز الرطبة ورائحة المطر المتعفن وثيابي المبللة بالماء · ابحث عن الاتجاه الصحيح بين دهاليز لا اعرفها · اشتم واحاول أن لا ابدو مضحكا · فأنا منذ اتيت هذه المدينة ، أركض من مستشفى الى مستشفى ومن طبيب الى طبيب والجميع : المرضات والاطباء يهزون رؤوسهم ، يجرون الفحوص الطبية : لا شيء ، لا نعلم ربما ، غدا · اجوبة واجوبة حتى اكاد أصاب بالهستيريا والقلق الفادح · ومنذ ليلة امس ، وبعد نهار طويل من العذاب والاستنطاق ، قررت ان انتبه كثيرا : علي ان لا ابدو مضحكا · اكتشفت هذا اول الامر حين امسكت المرضة بيدي · يدي ممدودة على بساط بلاستيكي غرست عليه الاف الابر الحادة · وحولي ثلاث ممرضات · ابتسمت المرضة ثم بدأت تخيط يدي الى البساط البلاستيكي · سألتني عن مهنتي في محاولة منها لالهائي عن الموضوع · قلت لها انني لا اعمل شيئا · دنت المرضة الثانية مني وقالت : هل تعلم كم ستدفع من اجل هذا الفحص الطبي·

ـ لا اعلم ·

ـ ٣٨٥ فرنكا فرنسيا ·

ـ لن ادفع ·

ـ سوف نضعك في السجن ·

هنا انفجرت ضاحكا · كان الجو مشحونا بشيء ما · فانفجر الضحك وضحكت المرضات ·

ـ ولكن لماذا تضحك ؟

ـ لان السجون شيء مؤقت ، قلت لها · نحن الغينا السجون · وحتى المستشفيات كنا على وشك الغائها لولا بعض الامور المعقدة · طبعا لم يكن

هناك وقت لاخبارها كيف هجم الاطفال في حينا على سجن النساء وسرقوا سقفه · اخذوا القرميد · فكوه قطعة قطعة · فالجو لم يكن مناسبا · والمهم الآن هو يدي · طبعا ، دفعت المبلغ كله بعد ذلك ، ليس خوفا من السجن ولا من المرضة · ولكن هكذا ، لانني كنت حزينا · اندفع التيار الكهربائي داخل ذراعي الايسر · شهقت ، كان العصب يضرب بوحشية لا متناهية · تنفس عميقا ، اصرخ،قالت المرضة · تنفست ، لكن وجهي كان يتقلص · في تلك اللحظة اكتشفت البسمة على وجوه المرضات · لا بد وأن وجهي المتقلص وسط بحر الالم هذا يبدو مضحكا · حاولت ضبط اعصابي وايقاف التقلص العضلي · توقفت عن التنفس · لم اكن استطيع · فالالم يمتد الى جميع انحائي · الكهرباء تسحق جسدي · ثم فجأة توقف كل شيء · نهضت عن الكرسي · مشيت · حاولت ان امشي بسرعة · سقطت على الارض · لا تنس انك مريض قالت المرضة · وعندما دفعت ثمن الفحص الطبي كاملا كانت تبتسم ·

توقفت عن الركض السريع وسط هذه الغابة المليئة بالاصوات · علي ان اكتشف الاتجاه الصحيح · فهي تنتظرني · ولن تنتظر كثيرا · في المرة الماضية اتيت قبل الموعد بنصف ساعة · انتظرتها على كرسي في مقهى يضج بالاف الاصوات · لكنها لم تأت · وعندما اتصلت بها في المساء جاوبتني معتذرة · اخذنا موعدنا اليوم ، ولكنها كانت تهدد : لا تتاخر · لن انتظرك اكثر من خمس دقائق · وها أنا احاول أن لا أتأخر ؛ لكن المشكلة انني لا استطيع اكتشاف مسالك الدرب · فأنا مريض ، ودهاليز المترو معقدة ، ونصف اليافطات التي تشير الى الاتجاهات نزعت · مشيت بهدوء · توقفت امام بائع الصحف حين شممت رائحة نبيذ حادة تقترب مني · ثم بدأ يقبلني ويصرخ · كيف اتيت ؟ متى اتيت ؟ نظرت جيدا وبدات اضحك · اخيرا هذا هو برجيس نهرا ·

ـ اخبرني ، تعال · لماذا لا تأتي لتزورني ؟ ·

اخيرا هذا هو برجيس نهرا ·

ـ لم اكن ، لا اريد ، انا مستعجل ، غدا ·

لكن برجيس نهرا يمسكني · يشدني من ذراعي ، تعال · رجل مربوع القامة ، أشقر الشعر ، سميك الرقبة ، يميل قليلا الى البدانة ، يتكلم عشرين موضوعا دفعة واحدة · كان ذلك منذ خمس سنوات · وبرجيس نهرا لا يزال يحن الى قريته · انا ماروني من بدادون · كان ذلك منذ خمس سنوات · كنت فقيرا اكثر من الطلاب الفقراء · وربما كان فقري هو الذي دفعني الى تلبية

دعوته · دخلت بيتا · أخيرا ادخل بيتا واجلس الى مائدة حقيقية · كنت جائعا · اكلت كاني ارى الاكل لاول مرة في حياتي · وشربت وشرب هو · وبقينا نسكر من الثانية عشرة ظهرا حتى المساء · في البداية لم اتكلم · الحديث كان صعبا واريد التفرغ للاكل · وبعد أن سكرنا ، واستمعت طويلا الى ذكرياته عن قريته وعن افلاس والده وعن مغامراته ، بدأ يتحدث في السياسة · دعني من السياسة قلت له · لكنه أصر · بدأ يتحدث عن الفدائيين ومذابح ايلول · وكان يتكلم بلغة عسكرية يتقنها جيدا ·

ـ ولكن من اين تعرف كل هذا ؟

انا مقاتل · كنت مقاتلا حقيقيا اجابني ·

طبعا ، لم اقبض كلامه · فالكرش الصغير المتدلي ، والمطعم الفخم الذي يملكه ، لا تؤكد ادعاءاته ·

ـ ولكن اين ؟

ـ في فييتنام ·

مرة ثانية لم اقبض كلامه · تركته يتكلم وانصرفت الى قطرات الكونياك احاورها · كان يتكلم ولم اكن استمع ، حتى بدا الدوي · اصبح صوته يدوي في الغرفة مثل المدافع · قفزت ·

ـ ماذا تقول · الفرقة الاجنبية !

ـ نعم الفرقة الاجنبية ·

ـ مرتزق ، حقير ، متوحش ·

نهضت ، حملت قنينة الكونياك وهجمت عليه · هرب من أمامي · اسمع انت سكران كان يصرخ · يجب أن لا يفقدك النبيذ اصول التعامل مع الناس · اسمع رأيي انا معكم ومعهم ولكن اسمع · لم اكن استطيع · ركض الى غرفة النوم واغلق الباب بالمفتاح · يبدو ان منظري كان مرعبا · فلاستمع· هدأت وجلست على الاريكة بانتظاره · عاد ·

ـ اسمع يا اخي جيدا · المسألة معقدة · كنت فقيرا ، ولم اكن املك اجازة اقامة في باريس · اعتقلتني الشرطة وخيروني بين السجن والفرقة الاجنبية · ماذا تريدني ان اختار ؟

ـ العودة الى لبنان ·

ـ كان هذا مستحيلا · لبنان لم يكن واردا يومها · السجن أو فييتنام ،

فذهبت الى فييتنام · حاربنا كثيرا ، لكن ليست هذه هي المسألة·المسألة اننا كنا نعرف أن هزيمتنا حتمية · غير أننا بقينا لنحارب · التزمنا الحرب ، اذن يجب تنفيذ التزاماتنا · انا ماروني عنيد لا انسحب · كنت اعرف ان الفرقة الاجنبية وجميع فرق الجيش الفرنسي سوف تهزم · غير اني بقيت معهم وحاربت لاني رجل عنيد · ثم بدا يضحك · لا تصدق قصة العنيد هذه ، اقولها الآن لاني شربت كثيرا · فلقد حاولت الهرب مرارا ، او حتى لا اكذب عليك ، فكرت بالهرب · لكن هذا كان مستحيلا · الحرب شيء منظم بدقة ، ولم يكن من مخرج سوى البقاء · عدا انني احببت هناك إمرأة فيتنامية وتزوجتها · انا لا اكذب · كنت أعود في المساء الى الكوخ المليء بالطين فاجدها في انتظاري هي والبرميل · تضعني في برميل ثم يبدأ الماء ينزلق على جسدي · انهض شبه عار والتهم طعامي مع نبيذ الارز · اسكر وابقى جالسا · انام معها وانا جالس ، فالذي يشرب هذا النبيذ لا يستطيع الوقوف أو الاستلقاء · كانت امرأة جميلة · بقيت جميلة حتى ماتت · اعتقد انها ماتت عندما كانت المدفعية الفرنسية تمشط المناطق الفييتنامية قبل هزيمة ديان بيان فو · ورغم موت زوجتي وموت الآلاف ، كانت الهزيمة حتمية · حملوا المدافع على الدراجات ، تسلقوا بها الجبال على اكتافهم ، وكان لا بد من الاستسلام · لكن افضل شيء هو البرميل · انا علاقتي مع الحرب علاقة مزدوجة ، علاقة مع امراة جميلة وعلاقة مع برميل ·

لم اعد اذكر كثيرا ، فهذا الحوار جرى منذ خمس سنوات ، ومن يومها اصبح برجيس نهرا صديقي · الصداقة تعني بالنسبة لي شيئا محددا ، ان نسكر مرة في الشهر · اما بالنسبة له فكانت مناسبة لطرد زوجته الفرنسية من البيت والتكلم بالعربية · لكن عندما اتيت هذه السنة لم اكن اريد مقابلته · فالحرب الاهلية جرحت جميع العلاقات · ومن المؤكد ان اخبار دخول الفدائيين الى بدادون في احدى ليالي الحرب وصلته · لذلك لا اريد مقابلته · لكنه هنا، يقف امامي صنما من الصدفة العجيبة ·

ـ لماذا لم تأت لزيارتي · تعال فورا ، انا اريد معرفة اخبارك واخبار الحرب في لبنان · كان المستحيل هو اقناعه · انا مشغول الآن يا سيدي برجيس · نلتقي غدا · كما تريد · نتكلم في كل المواضيع · وعندما بدأ انه اقتنع بدا يتكلم كانه يهذي ،

ـ انظر الى المترو · انظر الى هذه الدهاليز · هذا يعني ان الحرب الاهلية حتمية · حرب اهلية مع دهاليز المترو ، شيء مخيف واسطوري · تنهار

جميع الحسابات وتدخل الارض في باطنها · شيء مذهل ·

ـ حتى عـندما تأتي لزيارتي ، لا بد وان تاتي معـي الى المترو · اعرف انك رايت المترو · لكن انظر ، انظر · المدينة التي تخترقها دهاليز المترو تهتـز ، سوف تنهار · الحرب الاهلية هنا حتمية ·

ركبت المترو كثيرا ، وزرت الكثير من المدن ، لكني لم اكتشف العلاقة بيـن المترو والدهاليز ، وبين الدهاليز والحرب الاهلية · فالمدن ، جميع المدن تتشابه· بعضها يخترقها المترو ، وبعضها بدون مترو · لكن لا عـلاقة بين كـل هذا والحرب · في القاهرة هناك مترو، ولكنه فوق الارض · الناس يتراكضون بين عربات المترو والباصات والازقة · يحرقون القطارات او يتوقفون عن حرقها · في بيروت لا يوجد مترو ولا توجد انفاق · في ميلانو ، قلب المتظاهرون حافـلات المترو ، عـندما اقفل البوليس مداخـله لمنـع الناس من الالتحاق بالمظاهرات · في دمشق لا وجـود لانفاق المترو ، لكن قاسيون يحفر ويهـدم لكي يحولـوه الى فيلات جميلة أو قبيحـة · المسألة هنا · مدن فوق الارض ومدن تحـت الارض · بعد ان هدمت بيروت العثمانية بداوا يبحثون عن بيروت الرومانية تحت الانقاض · في الجوهر ، جميع التغيرات جيولوجية ، مثـل الزلازل والبراكين· يحفرون احشاء المدن ليقيموا ادوات اتصال ، وادوات اقامة · لكـن الادوات باسرها لا تخدم في النهاية سوى هدف واحد ، الحرب والموت ·

كنا وسط دهاليز المترو · صوت برجيس يرتفع ، وانا اقف لا استطيـع أن افعـل شيئا · هذه هي المسالة يقول · المسالة ان هذه المدينة سوف تتهدم في الحرب الاهلية · كل المدن سوف تتهدم · كنت احاول ان اقول شيئا · المسالـة شيء آخر ، لكني بدات اخاف ولم اتكلم · هذه المرة انا وبرجيس وصوت المترو والمترو نفسه نبدو مضحكين · لا يمكن ان افعل شيئا حتى لا ابدو مضحكـا · صحيح انا مريض · لكن هذا الرجل لا يتوقف عن الهلوسة ·

ـ ارايت · الحرب الاهلية حتمية · الناس سوف تكسر بعضها كسرا · المدن سوف تنهار · هذا شيء حتمي واراه كما كنت ارى صور الحرب الاتية مـن بيروت ·

ـ ولكن يا برجيس ··

ـ تخيل معـي ، ماذا يمكن ان يحدث بين هذه الدهاليز التي تتشعـب الـى ما لا نهاية ، وبهـذه الاسلحة الحديثة المدمرة · الحرب الاهلية سوف تكون حـرب المترو · انت موافق · طبعـا موافق ·

لست ادري لماذا بدات اوافق · الكلام غـير مقنع · ومنظر برجيس وهـو يتكلم عن الحرب بخشية وفرح لم يكن مقنعـا · التفاتاته الدائمـة نحـوي ،

وامساكه بيدي مخافة ان اهرب ليست مقنعة · الحقيقة انني لم اقتنع بنظرية برجيس ، لكني بدات اقتنع · رجل اربعيني تفوح رائحة الخمر من ثيابه · يقف وسط غابة مليئة بالاصوات · الناس يتراكضون وكانهم تاخروا عن مواعيدهم· وانا انظر الى ساعتي خوفا من التاخر · وهو لا يبالي · يتكلم بيديه وصوته وقامته · يتمايل ويبشر بالخراب · هؤلاء الذين يتراكضون سوف يتراكضون ولكن بدوافع اخرى ، لان الحياة لم تعد تستطيع ان تستمر هكذا · الاشياء تنقلب · البنادق والمدافع والحرب · وبرجيس يتكلم ويخاف · وانا احاول للمرة الاخيرة ان لا ابدو مضحكا ·

لكن ليست هذه هي المسألة ·

★ ★ ★

المسألة كانت هناك · امراة تضيء · امسكتها بيدها وذهبنا الى اصغر غرفة في العالم · وكانت الغرفة حمراء · القرميد الاحمر والخشب الابيض والستائر الصفراء · وهي وسط الغرفة تنحني عارية وتضحك · تنزلق من يدي الى السرير ومن السرير الى الارض ومن الارض الى يدي · امراة تضيء · بيضاء ، عيناها صغيرتان لكنهما تمتدان مثل العيون الصينية · وانا امسكها بشعرها واغرق في نقطة الاوجاع التي تنحدر من كتفيها · امسكها فتسقط ، لكنها لا تنكسر · تنطوي الى نصفين وانا نصفها الثالث وصوتها يرن مثل حديقة متوحشة ·

اقتربت منها · كانت قدماي تزحفان على الارض ، تخدشان خشب الغرفة · اتمايل وانقسم ثم اقترب اكثر · اللون الخمري ينتشر على الارض مثل رائحتها · لا اتكلم ولا اسكت · هذه هي حالة الحزن القصوى · بكت · جلست في طرف الغرفة وهي تمسك بنهديها · تقدمت وانا خائف · كلا لم اكن خائفا · كنت ابحث عن شيء ما ، عن كلمة · لكنها لا تزال في طرف الغرفة· وقفت وتقدمت نحوي · امسكتها من يدها فسقطت على الارض وانكسرت ، وامتلات الغرفة بالشظايا · انحنيت عليها لالملمها ، بدا الدم ينزف وامتلات الحيطان بالوحل والشجر · كنت اصعد الدرج باقدام ثابتة · لم اعد استطيع التقدم · امسكت بها · كانت الاضواء تلون السماء ، وكان الجسد عجينا يتلون كل لحظة · اخذتني · ارتجف جسدي قليلا كانه في حمى ، ثم سقطت · وكانت المسافة طويلة جدا ·

هي كانت المسألة · كنت امسك بها فلا امسك شيئا ·تتركني مذهولا وتركض· اركض خلفها · هكذا اعتقلتني داخل حلم من الصعب الخروج منه · كان ذلك

في الخريف ، وكانت السماء حمراء بالوان الاوراق ، واغصان الشجر المنحنية· وكانت هي الى جانبي تبحث عني حين أضيع وتضيعني حين اجدها · وكانت مذهولة بكل شيء· حين ترى الشجر وقد لبس الاحمر، تصاب بالدهشة ،وتنظر الى السماء وكانها لم تر سماء من قبل · كل شيء صار جديدا لم نالفه · في البداية ، اعجبت بنمط الحياة الجديد ، ثم بدأت اتضايق · لا يمكن ان نمارس الحياة هكذا دون نقطة ثابتة · لا يمكن ان اعيش هكذا مفتتا في الهواء · غير انها اصرت ، كانت تعيش حياتها كما تعيش الحياة ·بدأت اكتشف بها الحياة · رميت نفسي في الدهشة · مرة كنا نركض او نسير في شارع طويل مليء بالاشجار الحمراء · كانت الى جانبي وامامي وورائي · امسكتها من شعرها ومشينا بهدوء · حاولت ان اتكلم معها · لم يكن هذا ممكنا · من الصعب التكلم مع هذه المرأة · عليك ان تبدا كل شيء من البداية كانك تتعرف عليها هذه اللحظة · لذلك لم نكن نتكلم الا نادرا · اوقفتها وسط الشارع ، وكانت الاوراق الحمراء تنبت على يديها ·

هذه هي الثورة قلت · هكذا ، نعيش وسط اكتشاف كل شيء ، وسط فراغ كل شيء · هذه هي الثورة ·

ـ انا لا احب السياسة ·

ـ وانا لا اتكلم في السياسة ، بل اتكلم عن الثورة ·

ـ ولكن الثورة سياسة · اليست الثورة سياسة ·

ـ لكنها تبدأ دائما ، رغم السياسة او داخل السياسة · انها الشيء الذي يبدأ دائما · مثل الحب ، مثل الموت ، مثلك ·

لم تجاوب · كان جسدها شفافا · لا ليست مرآة · الشفافية الاخرى ، حيث لا ترى نفسك ، بل ترى خلف الاشياء كأنك في حلم ·

امسكت بها ورميتها الى الماء · لكنها ليست سمكة ، انها امرأة · لذلك بدأت تغرق · كان الماء ينحدر حول وجهها وبين نهديها · لكنها ليست سمكة · امسكتها وتسلقتها الى النهاية ولم تكن النهاية ممكنة · هذه هي المسألة ·

جميع الامور تبدو هكذا غامضة وغير قابلة للاستيعاب · لكنها في النهاية تتداخل وتأتلف في مثلثات · لا يمكنك ان تكتشف الاشياء عارية هكذا · انها جميعها تدخل في المثلثات والمثلث هو البداية او ما يشبهها · والمثلث يدخل في الدائرة · كل مثلث مهما كان شكله ومهما كان حجم زواياه يدخل في

الدائرة · والدائرة لا بـد وان تنفجر · هكذا اكتشفت قصتنا · لم اكن استطيع ان ابدأ من الاحداث · فالاحداث غامضة ومشوهة وغير قابلة للبداية · بدأنـا كمثلث · وكان ذلك في الجامعـة · كنا لا نزال نحمل بضعـة احـلام عـن الجامعة ونناضل من اجل بناء جامعة وطنية · ولم نكن قد اكتشفنا بعـد ان الجامعة هي مجرد حذاء · وان هـذه الاحلام التـي نتبناها سوف تحيلنا الى احذية اذا لم تتحطم الجامعـة · طبعـا تحطمت الجامعـة داخل سياق آخر كما تحطم كل شيء في هـذه المدينة · لكن الكثير من الاشياء تبدأ من هذا المثلث ·

الضلع الاول : الدكتور حنا · رجل في حوالي الخامسة والاربعين مـن عـمره · طويل القامة · يخترق الشيب رأسه · ظهره ينحني قليلا · يدخـل الى الصف مستعجلا ويخرج مستعجلا كانه على موعـد دائم مع شيء ما · ولم يكن هذا الشيء واضحا · كان من المفترض ان يعـطي دروسا في عـلم النفس· لكنه لم يكن يتكلم الا نادرا عـن عـلم النفس هـذا ، او عـن اي شيء له علاقة بالموضوع · يحدثنا دائما عن طفولته · سنوات الفقر حين كان يعـمل شغـيلا في محل لبيع الالبسة الجاهزة في سوق سرسق · وكيف استطاع بعصاميتـه متابعـة دراسته ، ثـم نيـل شهادة الدكتوراه والوصول الى الجامعة · لا اعلم لماذا لم اكن اصدق حكاية العـمل في سوق سرسق هذه · فأنا اجزم انه كـان يعمل شيئا آخر · ربما كان نـدلا في مقهى · فشكله يشبه الغارسون واناقتـه تشبه اناقة الذين يعـملون في مقاهي شارع الحمرا · ليس هذا مهمـا · المهم هو الكتاب · كان يدخـل الى الصف وهو يحمـل في يده كتابا مستطيـلا ، يلوح به في الهـواء ، ثم يضعـه بعـناية داخـل حقيبته · هذا هو انتمائـي · انا انتمي الى الكادحين لذلك احـمل افكارهم وقضيتهم · وكان الكتاب ، عـلى ما اذكر ، يتحـدث عـن عـلاقة الماركسية بالمسيحية او عـن الماركسية الانسانية او ما يشبهها من الخزعبلات التي كانت عـلى الموضة في ذلك الوقت · كنـا نعجب بهـذا الاستاذ وبماركسيته الانسانية وبكتابه المستطيل المكتوب باللغـة الفرنسية التي لم نكن نفهمها جيدا · ونعجب اكثر باخلاصه لطبقته واصـراره العجيب عـلى لوي يده اليمنى وهو يحدثنا عـن الديالكتيك · انا منفتح · لست ماركسيا متعصبا · انا رجل انساني ، افهم واحـب ان افهم وعـلى كامـل الاستعداد لتغيير رأيي اذا اقتنعت بخطئه · هذا هو الديالكتيك · فالديالكتيك هو مفتاح كل شيء · بقي يحدثنا عـن الديالكتيك ثلاث سنوات · وكل سنـة يزداد اعجابنا بهـذا الديالكتيك الجميل · حتى حـدث مرة ودخل البوليس الى الجامعـة بحثا عـن الثوريين المتعصبين الذين لا يؤمنون بالحـوار ويصـرون عـلى رمي البوليس بالحجارة · يومهـا هرب الديالكتيك من الباب الخلفـي وانصرف بكليته الى عـلم النفس ·

الضلع الثاني : اسمه يعقوب · وكنا نحبه · كان طالبا يشبه الشخصية الفهلوية التي اهلكنا بها صادق العظم بعد هزيمة حزيران ، حتى اصبحنا نعتقد ان وراء كل هزيمة تقع هذه الشخصية السحرية · لكنه لم يكن فهلويا · كان كسولا قليلا · مقبلا على الحياة · يحب الكأس والطعام الجيد والثرثرة والضحك · واهم شيء فيه انه يحب اصدقاءه · وكلنا نحبه · ياتي الى الكافيتيريا حاملا كتاب ارسطو « الميتافيزياء » في يده · فيعقوب اختار الفلسفة · وارسطو هو اساس الفلسفة · بدا الكتاب يهتريء ، وهو موضوع على الطاولة في الكافيتيريا · الغلاف يتآكل · لكن يعقوب نظرا لمشاغله الكثيرة لا يجد الوقت الكافي للقراءة · كان لا يتخلف عن مظاهرة واحدة · يركض في المقدمة · يهتف · يرقص امام خراطيم المياه · يضرب باعقاب البنادق ، ويعود في المساء تعبا ، بالكاد يجد الوقت الكافي ليشرب كأسا من العرق ويغني بعض الزجل وينام · كنا نحبه · ثم عندما ذهبنا الى الفدائيين ذهب معنا واصبح فدائيا · ثم سافر الى اوروبا ليدرس · لم يبق معنا ليكتشف لعبة الموت · ربما لو بقي ، لالتحق برفاقنا الذين ماتوا · وكنا نسينا حكاية ارسطو ، ونحن نذكره ، حاملا بندقيته ، ينحني على قطرات دمه ويموت · لكن اليس من الافضل ان لا نموت ؟ بعد كل هذا اذا لم نمت نستطيع ان نقيم حروبا اخرى ، وربما تكون افضل من هذه الحرب · ويومها يكون يعقوب قد عاد ، وترك ارسطو وراءه وحمل معنا بندقية الفدائيين ·

الضلع الثالث : كان ذلك بعد ٢٣ نيسان ١٩٦٩ مباشرة · كانت بقع الدم التي غطت شوارع بيروت بداية لبحر الدم الذي زلزل المدينة · جاء سالم الى الجامعة · فوجد ان نصف الطلاب دخلوا الصفوف · وقف في باحة الكلية والقى خطابا · لم يكن خطابا · كان مجموعة من الشتائم ضد البوليس والدولة واميركا · ثم اضربت الكلية · وحصلت بعض الاشتباكات بالايدي بين الطلبة · وانصرف الجميع · وفيما كان سالم خارجا من باب الكلية في طريقه الى بيته ، اكتشف سيارة كانت تنتظره وحملته بالقوة الى المخفر · جلست مع عشرات الطلاب في غرفة معتمة حيث كانت تنهال الشتائم على رؤوسنا ·

ـ انا عطشان يا افندي ·

لكن الافندي لا يجاوب ·

ـ الله يخليك يا افندي · اريد ان اشرب ·

جاء الافندي بابريق ماء ·وضعه امام القضبان الحديدية ، وطلب منا ان

نقف · لنشرب من خـلال القضبان ·

ـ ولكن يا افندي ما هذا · ولو · نحن لسنا في اسرائيل · ماذا فعلنا ·

اخذ الافندي ابريق الماء ولم يشرب احد · ثم عـاد وحوله ثلاثة افنديـــة قبضايات · فتح الباب وبدأ ياخذنا واحدا واحدا · نضرب بوحشية بالسياط ، ثم يدوسنا بقدميه · نبطح ارضا ويقف على جسدي ويدوس ويدوس حتى يشبـع او حتى ينزف الدم من اذني · ثم جمعونا في طابور ثلاثي · وقف الضابـط ، والقى خطابا عن لبنان ومحبة لبنان · وطلب من الطلاب الهتاف بحياة لبنان · هتفنا وخرجنا من المخفر · مسحنا آثار الجروح · لكننا لم نكن نعلم ان الحرب بدأت هذه اللحظة · ثم امتدت الى غندور والقتل · ثم اشتعلت وبقيت مشتعلة·

المثلث داخل الدائرة · لكننا لم نكن نعـلم ان الحرب بدأت · كنا نعتقـد ان المسالة سوف تبقى داخـل اطار ترتيب اوضاع المثلث وتعديل شروطه · ولكـن حين انفجر المثلث ، اتسعـت الدماء بغـير حدود · اتسعـت فانهارت الدائـرة باسرها · كل دائرة محكوم عـليها بالانهيار · هذه هي القاعـدة · وعندمـا تنهار الدائرة تنكسر اضلاع المثلث ·ونجلس تحت المطر بحثا عن مثلثات جديدة·

وحيدا كنت · انا الفارس الوحيد · وحولي الليل وامرأة تقول انها تحبنـي ودائرة تنتظرني ·

★ ★ ★

ـ ولكن يا برجيس نحن هنا ولسنا في بيروت او برشلونة او مدريد ·وباريس مدينة ثابتة ومستقرة · ولا لزوم للحديث عـن حرب اهلية فيها · بعد بضعـة اشهر سوف تجري انتخابات الجمعية الوطنية ، وليس فوز اليسار مؤكدا · حتى اذا فاز فالاحداث على الطريقة التشيلية ليست حتمية · يستطيـع جيسكـــار ديستان ان يحـل الجمعـية الوطنية ، وتاتي الدولارات من اجل المحافظة عـلى روح مؤتمر هلسنكي وينقسم الاشتراكيون الفرنسيون الذين نصفهم صهاينـــة ونصفهم الآخر عواطفه اطلسية وتتجنب فرنسا الحرب الاهلية · طبعـا باريـس سوف تدمـر ، مثـل جميع المدن ولكن ليس بهذه السرعـة · او ربما ليس عن طريق حرب اهلية · ربما كانت الحـرب العـالمية هي الطريق الوحيد من اجـل الوصول الى هذا الدمار ·

لكن برجيس لا يجاوب · يقف وسط الدهاليز ثم يقودني الى خريطة كبيـــرة

لخطوط المترو معلقة على الحائط · ويبدأ في حديثه الى نفسه · انظر انظر كان يقول ·

ـ ولكن لماذا ؟ هل انت على حافة الافلاس ؟ ·

ـ ابدا · على العكس · الم تر المطعم الجديد · غدا تأتي وتزور المطعم الجديد ·

ـ هل تشعر بضيق نفسي ؟ هل تريد ان تطلق زوجتك ؟

ـ لماذا تسال هذه الاسئلة السخيفة · انا رجل متزن ، متحضر · انا تاجر·

ـ اذن ، لماذا تسعى الى الحروب الاهلية ؟

ـ انا اسعى · لا·لا· انا ضد الحروب الاهلية · لكني اخاف · حين ارى ما جرى في لبنان ، ينتابني شعور غامض بان هذا الخراب سوف يعم العالم · وانا اخاف من الخراب · لقد صنعت حياتي ثلاث مرات انطلاقا من الصفر · المرة الاولى في فيتنام لكنها تهدمت · ثم ذهبت الى الجزائر وفتحت مخزنا لبيع الادوات المنزلية · وصدقت ديغول · قال ديغول باننا لن نغادر الجزائر فصدقته · وسعت تجارتي على اساس اننا باقون · انا لم تكن تهمني كل هذه الحرب · كنت على علاقة طيبة مع الفرنسيين بوصفي فرنسيا · وعلى علاقة طيبة مع رجال جبهة التحرير بوصفي لبنانيا · لكن ديغول ترك الجزائر · هرب ولكن بشكل عقلاني هذه المرة فافقدني عملي وعقلي · تركت المخزن واتيت الى باريس لابدأ من الصفر · ويبدو ان الامور في هذا العصر اللعين لا تقودنا الا الى الصفر ·

ـ واذا حصلت الحرب الاهلية ، الى أي جانب سوف تقف ؟

ـ لن اقف · انا رجل عملي · انا لبناني عنيد · راسي في جيبي · اضع راسي في جيبي واتركه يقودني · اذا نشبت الحرب الاهلية او اذا فاز اليسار سوف يقودني راسي الى مكان آخر · سوف اذهب الى اميركا الجنوبية ·ولكن، هذه المرة ليس مع الصفر ، بل مع ثروتي · لقد جهزت كل شيء ·

مسكين برجيس · يقف امام لوحة المترو ويؤشر بيديه · مثل بوليس السير الذي اصر على مزاولة مهنته في بيروت · جاء المسلحون اخذوا مسدسه · لكنه بقي يلبس بذلته الرسمية ، يقف وسط الشارع ويؤشر للسيارات القليلة التي تجرؤ على المرور · ثم اصبح يؤشر للقذائف · بقي هكذا واقفا وسط شارع فارغ ، يؤشر لاي شيء ، حتى اصيب بقذيفة ومات ·

ـ انظر كيف تتداخل المدينة داخل هذا المترو اللعين الى درجة الجنون. هنا تخرج الى احياء العمال الجزائريين . هنا الشانزليزيه . هنا ساحة الكونكورد . ماذا يمنع سكان الاحياء العربية من الوصول الى الكونكورد ؟ الاشياء مفتوحة ومتداخلة ، وتستطيع ان تدمر بعضها في اية لحظة . الم اقل لك . الحرب الاهلية حتمية . اخبرني ، اخبرني كيف بدأت الحرب في لبنان .

لم اخبره . كنت اقف وهي الى جانبي . نخرج الى ساحة الكونكورد فنرى السماء . نرى ساحة فسيحة وفوقها السماء .ليست السماء امتدادا ولا الساحة . انها قبة . اقف على الارض فاشعر بقبة فوق راسي . زرقاء او رمادية او بيضاء . والحجارة المرصوفة والمسافات الشاسعة التي بنيت من اجل العربات التي تجرها الخيول . قطعة من السماء وقطعة من الارض وانا بينهما .

انظر ، قالت . انظر الى الحضارة .

اما انا فلم اكن ارى الحضارة . كنت ارى مساحات واسعة وعيونا . لست ادري من اين اتت قصة العيون هذه . لكنني لا ارى سوى العيون والمساحات وبقايا السماء .

انظر ، قالت . انظر الى الحضارة القديمة .

اما انا فلم اكن ارى لا الحضارة القديمة ولا الحضارة الحديثة . كنت ارى الاشكال وهي تنحني . هنا يوجد كل شيء . الماء والخضراء والوجه الحسن والحجارة البيضاء . كل شيء يرقص بالابيض . هذه علامة المستشفى . لا . هذه مسلة مصرية قديمة . فخلال حملة نابليون على مصر ذهب المؤرخون والكتاب والفلاسفة الى جانب العسكر . العسكر يسرقون والعلماء يبحثون في تاريخ مصر القديمة . ثم اكتشف العلماء انهم يستطيعون ان يصيروا لصوصا . فبدأوا يسرقون التحف الثمينة ومومياءات الفراعنة . وعلى الرغم من اللعنة سرقوا . لم يخافوا . وها هي المسلة البيضاء تقف ناصعة وسط اجمل ساحة في العالم . تقدمنا نحوها كانت تحمل الاف الرسوم والتواقيع . العصافير المصرية ، تطير من ناحية الى اخرى . لوحات لا تحصى . تنظر اليها فترى الرجال والنساء بالمئزر المصري القديم وعلى افواههم تطير الكلمات التي تلتصق بالحجارة . وبين الرجل والرجل تقع المراة وهي تحمل صورة الفرعون ـ الاله . او طفلها الذي ولدته وسيخرج لبناء القبور .

ـ انظر ، اجمل مسلة في العالم تقف شاهدا على تواصل الحضارات .

تتراكم · مثل التراب امام مصب الانهار · اعظم حضارة قديمة تقف وسط اعظم حضارة حديثة ·

لم افهم بالضبط معنى هذا الكلام · لكنني اعرف ان الاحذية وضعت على رؤوسنا باسم اشياء تشبهه ·

الم تقرأ الصحف قالت · لقد جلبوا مومياء رمسيس الثاني بالطائرة من مصر · جلبوها كي تداوى في باريس · لقد بدا الفطر ينمو على جبين رمسيس الثاني وبدات الجراثيم تاكل يده اليمنى ·لذلك ادخل هنا الى المختبر المستشفى· يداوى · ثم يعود الى بلاده معززا مكرما ·هذا دليل آخر على تواصل الحضارات ·

لم افهم · تقدمت · نظرت الى المسلة البيضاء فرايت راسها مدببا واسود · وحين هممت ان ابدي دهشتي لهذا الابداع المعماري الذي يمزج تداعيات الالوان، اكتشفت ان اللون الاسود يتحرك · انه ليس مجرد لون · هذا جسم غريب يتحرك وهو معلق على رأس المسلة المصرية · يتحرك يمينا وشمالا وكانه احد اوجه الريح · تقدمت من المسلة · لا فائدة · يجب ان ابتعد حتى ارى · ابتعدت قليلا فرايت جسما صغيرا اسود · جسم رجل يضع على راسه التاجين· يهز راسه ويبتسم للناس الذين يتجمعون حول المسلة ليتفرجوا على هذا الملك ·

ـ ما هذا ! رجل على رأس المسلة ! ·

انا لا ارى شيئا ، قالت · مجرد نقطة سوداء وتسميها رجلا ·

ـ هذا رجل حقيقي · انا متاكد · هذا رجل حقيقي يجلس على رأس المسلة، ويحكم الساحة ·

ربما كان حاكم المدينة الجديد ·

وكان حاكم المدينة رجلا يشبه رمسيس الثاني · يأتي كل صباح من كوخه في المختبر · يحيي الجمهور الذي يصفق له · ثم يضع حبلا على وسطه · يتسلق المسلة ويجلس عليها · هكذا يشعر انه لا يزال ملكا ·

الرجل القصير القامة ، الذي يخرج كل صباح من المستشفى ، يمشي ببطء· فهو رجل مريض ، نحيل الجسم ، ينحني قليلا · رجلاه صغيرتان ·يتمتم كلمات غير مفهومة · يأتي بعضهم ويقبل يده · لكنه يرفض هذا دائما · انه رجل مشغول وعليه ان يحكم بلادا شاسعة · وهو لا يفهم هذه التقاليد الجديدة في الحكم · لكنه يمارسها · عليه ان يتسلق مسلة طويلة كانه احد عمال البناء · ثم عليه ان يجلس على شيء يشبه الخازوق · هناك عدة انواع

من الخازوق يفكر الملك · الخازوق المميت الذي يدخل في الجلد فوق العمود الفقري ويخرج من الرقبة · خازوق التشويه الذي لا معنى له سوى الانتقام· حيث يؤتى بجثة عارية او شبه عارية ويجري اجلاسها على خازوق · وهناك هذا الخازوق الجديد · لا ، هذا ليس خازوقا يفكر الملك · هذا هو العرش الجديد ·

الالم الخفيف الذي يشعر به الملك يذهب تدريجيا امام جمال الساحة · يهبط في السماء عن عرشه ويسير في طريق طويل ومتعرج · يستطيع ان يحيد عنه قليلا ارضاء للجمهور لكن عليه ان يصل في النهاية الى المستشفى ·

يأتي الملك · جلالة الملك بقامته القصيرة وانحناءته التقليدية ولباسه العصري· ينحني مرة ثانية مخافة ان لا يكون الجمهور باسره قد راى انحناءته الاولى، او تاكيدا على تواضعه الديمقراطي ، او لاي سبب آخر نجهله · لكن جلالته لا يجهله · فهو يعلم كل شيء · والناس على دين ملوكهم كما يقول ابي · والملوك هم اسياد القرى حتى اذا افسدوها ·« ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة » ، كما يقول ابو زياد عندما نسأله رأيه في الاوضاع الراهنة · لكن ابو زياد لا يفهم في السياسة · يهتم بدكانه الصغير الذي كنا نأتيه والبنادق على اكتافنا ، نشتري الطعام القليل الذي يبيعه وهو يشكر الله · ثم حين اختفت البنادق واختفى الزبائن ، وجاءه الزبائن الجدد الذين يضربون الارض باحذيتهم القبيحة ، بدا يلعن الزمن والملوك ويردد آيته المفضلة التي عليك ان تسمعها حتى ولو اشتريت بالف ليرة · والا فهو لا يبيع · ينحني الملك ، يتقدم ، يعلو التصفيق ، تضيق الساحة · تضيق حتى تصبح علبة صغيرة · تنبت المسلة ، تعلو حتى تصبح خازوقا · اركض باتجاه الملك ، اريد ان اسأله سؤالا محددا · اريد ان اسأله عن صحة الخبر الذي نشرته الصحف والذي يقول أنه يعالج من الفطر الذي ينمو على جبينه والجراثيم التي تأكل يده·

ـ ما هي القصة الحقيقية يا جلالة الملك ·

لكن جلالته لا يجيب · الهواء بارد والساحة فسيحة وجلالته مستعجل · يريد ان ينهي المراسيم بسرعة كي ينصرف الى عمله · وهي الى جانبي لكنها لا ترى· لماذا هذه المرأة لا ترى وجهي والفطر الذي ينمو عليه ، ويدي التي تأكلها الجراثيم · لماذا لا ترى سوى الحضارات ، وكأن الحضارات أكياس من البطاطا التي اختلطت حتى لم تعد تستطيع تمييز حباتها ، لكنها لا ترى والملك لا يجاوب والهواء يصفق بجسده الصغير الذي يطير مثل القماش الاسود،وكأنه علامة الحداد وسط ساحة تمتليء باللون الابيض · ووسط انحناءات لا تحصى لرجال قدموا من مختلف القارات ·

امسكت بيدها · كانت تطير في الساحة ، وانا احبها · لكن جسدي يؤلمني · والاشياء تنمو او لا تنمو ، لكن المسألة اكثر تعقيدا كما احب أن اؤكد دائما ، حتى لا اتورط في مواقف لا اريدها ، او حتى اموت مطمئنا الى صورتي المعلقة على الحائط · انه يشبه الاخطبوط · ملك دون ريش ، وجهه صغير جدا ،اطرافه تنمو وتلتف حول المسلة المصرية كي تمسك برأسي وتسحقه، لكنني اهرب· اركض وسط الساحة ، الساحة محاطة بسور طويل وسميك · لا استطيع ان افعل شيئا · اريد سكينا كي اقطع الاطراف السوداء · انا في الزاوية ويدي تمسك نصلا حادا · والدماء حول رأسي مثل تاج لا اريد ان اخلعه · انا هو الملك الحقيقي قلت لها · لكنها لا تفهم · لماذا هذه المرأة لا تفهم ؟ ولماذا هذا السور ؟ ولماذا هذا الملك الآخر ؟·

★ ★ ★

بدأ المطر الذي يبلل رأسي وثيابي يجف · وهذا الرجل العنيد لا يزال يمسك بيدي ، ولا يسمح لي بالخروج من هذا الدهليز · فبرجيس نهرا رجل عنيد · لذلك تفوح رائحة الخمر من فمه وتدفعني الى حافة اليأس من هذه الحياة · فأنا رغم كل شيء مستعد ان اقتنع · استطيع ان اقتنع بان جميع المدن تتشابه ، وبأن الساحات تتشابه ايضا · لكنني لا استطيع ان اقتنع بأن النساء تتشابه ·فالمسألة اكثر تعقيدا وتحتاج الى مراجعة شاملة · ونحن حين كنا نهدم بيروت ، كنا نعتقد باننا هدمناها · نركض بين الساحات التي تخربت والبنايات التي انهارت او التي هي على وشك الانهيار ونقتنع باننا دمرنا المدينة · اخيرا دمرنا المدينة لكن حين قالوا بان الحرب انتهت ونشروا صور الدمار الهائل الذي حل ببيروت، اكتشفنا اننا لم ندمرها · احدثنا بعض الفجوات في حائطها لكنها لم تدمر · وان القضية ربما احتاجت الى حروب جديدة · لكن جميع المدن تتشابه وانا مقتنع · غير اني لم اكن اعرف لماذا يقيمون الساحات وسط المدن · من اجل الهواء قال ابي · حتى لا تأكل البيوت بعضها وينبت الفطر على وجوه الاطفال · لكن جمال باشا له رأي آخر · وربما كان على حق · اذكر انه بعد احداث ١٩٥٨ اعتقلوا رجلا اسمه التكميل والبسوه كل انواع الجرائم التي ارتكبت خلال الحرب الاهلية · ثم قالوا له بأن يصطنع الجنون · فنبتت لحيته واصبح يجلس في السجن ويروي انه الله ، ويبعث برسائل الى رئيس الجمهورية مبشرا بدينه الجديد ومعلنا براءته من الجرائم التي نسبت اليه · وكان مقنعا · ومن الواضح ان المحامي الذي اقنعه بأن يصبح مجنونا هو الذي كان يكتب هذه الرسائل التبشيرية الجميلة · لكن الامور لم تسر في الخط المرسوم لها · كان لا بد من اقناع الحبال، والحبال لا تقتنع بسهولة · لذلك شنقوه · امام المشنقة لم يعد التكميل مجنونا · اعترف واستغفر · لست المجرم الوحيد قال · فالمجرم الحقيقي لا يزال في بيته

او في الشارع او في مدينة اخرى · ورغم ان الجلاد بدا يومها مقتنعا · الا انه لم يكن هناك وقت ، فشنقه · وارتاحت ضمائر رجال البوليس ، وعادوا الى مزاولة اعمالهم الجميلة كالمعتاد ·

جميع الساحات تتشابه · هناك ساحات بيضاء ، وساحات خضراء ، وساحات رمادية انا افضل الساحات البيضاء ، قالت ·

ـ لكنها تشبه المستشفيات · ورائحتها مزيج من الادوية والبلازما ·

ـ لا · انها ساحات الملوك ·

ـ لكني اكره الملوك وافضل الساحات الرمادية · في الساحات الرمادية تجد السجون · وفي السجون قد نجد الراحة · ربما كانت السجون ضرورية في بعض اللحظات ، هناك ارتاح قليلا وانسى همومي · لان السجن يخلق همومه اليومية، وهي هموم مقنعة ·

وجميع الساحات تتشابه · حتى في الساحات الخضراء ، حيث الماء والعشب والازهار· نجد حبلا يتدلى · او ملكا او خازوقا يشبه الاشياء الفنية المعقدة · نقترب منه فنجده مجرد خازوق عادي جدا ·

كانت الساحة فارغة · الاصوات هي اصوات بعض الباعة الذين استيقظوا باكرا وحملوا الخضار والفواكه الى الاحياء حتى يبدأ النهار والامور تأخذ شكلها الطبيعي · هكذا يبقى كل شيء طبيعيا رغم كل شيء · وحتى اكون دقيقا · كانت هناك اصوات شاحنات النفاية التي تدور بعمالها على الاحياء السكنية الراقية ، خوفا من انتشار الاوبئة · الاضواء لا تزال خفيفة وتشبه اضواء الصباح الباكر · وانا اقف في الساحة وهي تمسك بيدي وامامي يقف رجل سمين وقصير · رقبته سميكة كأنه خنزير بري · اصلع قليلا ، يحمل ورقة طويلة عليها كتابات بكل الاحرف · يقف في مواجهتي تماما · ينظر في عيني · والى جانب الرجل هناك حبل طويل يتدلى وكأنه سقط من السماء · يتقدم الرجل مني ويبدأ في قراءة الورقة التي يحملها · ولم اكن افهم شيئا · نظرت اليها· كان وجهها يتمدد ويصبح اكثر بياضا · يبدو انها تفهم الكلام الرهيب الذي يقوله الرجل ·

ـ ماذا يقول ؟

ـ ليس مهما الذي يقوله · فالمهم انه سيتحقق ما جاء في الكتب ·

ـ ولكن · ماذا جاء في الكتب ·

ـ كتبوا اشياء كثيرة في الكتب · وستتحقق ·

ونحن لا نحب الكتب ولا نحب قراءتها · ولا يهمنا ما كتب فيها · لاننا نعلم بالضبط ما هو مصير الكتب · واستاذنا يعلم ذلك ايضا · التقيته في الشارع ، وكانت القذائف تطير في سماء المدينة · لم اعرفه في البداية · كان متهدلا ومسحوقا · وفمه يميل قليلا الى اليمين اكثر من اللازم · ثم فهمت انه مرض مما ادى الى التواء فكه الاسفل

ذهبت الى الجامعة قال · فوجدت اشياء لا تصدق لماذا فعلوا هذا · هذا اجرام بحق الاجيال الطالعة · نهبوا الكراسي والطاولات والسجاد والالواح السوداء والطبشور · نهبوا كل شيء · بسيطة،يمكن تعويض هذه الامور · لكن المكتبة · هل تعلم ماذا فعلوا بها · يا ليتهم نهبوها حتى نقول انهم يستفيدون الان من الكتب · دخلتها فوجدت كل شيء في مكانه لكنه ممزق · مليون ليرة من الكتب الثمينة والقديمة مزقوها وداسوها باقدامهم ورموها على الارض وفي الحديقة وعلى النوافذ · المجانين · انا معهم ومع قضيتهم لكن ما هو ذنب الكتب !·

طيبت خاطره وتركته وانصرفت ·

ـ سيتحقق ما جاء في الكتب !

كان واثقا من نفسه حد الاختناق ، وانا لا افهم الكلمات التي يتفوه بها · دنا مني · كنت اقف وخلفي حائط سميك لا يمكن اختراقه · دنا فمه من وجهي وبدأ يقرأ بصوت مرتفع · يرتفع الصوت وفمه يدنو من وجهي اكثر حتى احسست انه يكاد يبتلعني · كنت احاول التراجع فلا استطيع · ثم بدأ بصاقه يتناثر ·اخذ يسرع في قراءته وبصاقه يسرع في تناثره على وجهي · صرخت به ان يتوقف · لكنه كان يتابع كأنه آلة عمياء · لا تفهم · ثم بدأت ، وتحت هذا المطر الكريه الرائحة افهم ما يقول · يبدو انه يتكلم عن اشياء خطيرة ، واحكام متفاوتة واعدامات ومشانق ·

تستطيع ان تشنقني قال الرجل · وهذا حسن · لكن لا يحق لك ان تبصق في وجهي كل هذا الوقت الطويل · الاعدام شيء مشروع وقانوني · ولكن توقف عن هذه اللعبة السخيفة ·

لكن الرجل السميك الرقبة كرقبة خنزير بري يتابع وكأنه لم يسمع شيئا · او كأنه لا يريد ان يسمع · يبدو ان الجزء الرئيسي من مهنته هو عدم سماع اقوال المتهمين · ففي بعض الاحيان يكون احد هؤلاء مقنعا وهذا يشكل خطرا على وظيفة الرجل السميك الرقبة · فهو رب عائلة كبيرة ويريد ان يعيش ولا يعرف مهنة اخرى تدر ربحا يوازي هذه المهنة · رغم ان جميع الجيران يعتقدون انها مهنة قذرة · لكنه مقتنع بان جميع المهن قذرة ، وجميع المهن تتشابه والافضل ان نشرب من رأس النبع · لذلك يتابع مهنته · لا يتوقف لحظة · يقرأ الورقة محاولا

البقاء عند مخارج الاصوات · فهو لا يهمه مضمون الورقة · الذي يهمه هو العمل فبعد لحظات يجب شنق هذا الرجل · وعملية الشنق لا تأخذ وقتا طويلا · بضع دقائق لسماع خطاب من المشنوق · ثم بضع دقائق اخرى كي ينفذ طلبه الاخير · وهم يطلبون غالبا تدخين سيجارة ويتباطأون في تدخينها · لكن مهما تباطأ فالسيجارة ، وخاصة اذا كانت اميركية ، تنتهي بسرعة · ثم يبدأ العمل الحقيقي الذي لا يستغرق وقتا طويلا اذا احسن تحضير الحبل · حيث يختتم مهمته بالتسلق بقدمي الرجل وشدهما الى اسفل حتى لا يتعذب كثيرا · انما اكثر الاشياء التي يكرهها في هذه المهنة هو قراءة الورقة الطويلة · في الماضي كانوا يجلبون احد القضاة لقراءة الحكم · اما الآن فعليه هو ان يقرأ · وهو يعلم ان هذا ليس قانونيا وان الحكم لم تصدره هيئة قانونية · لكنه لا يكترث فالهيئات القانونية تشبه الهيئات غير القانونية · وكل شيء يقود الى نتيجة واحدة هي استمراره في العمل ·

تقدم الرجل · كان يلبس الثوب الابيض الكلاسيكي ، وكانت الساحة خضراء والسماء رمادية · لم يطلب شيئا · حتى انه لم يطلب مسح المطر الكريه الرائحة عن وجهه ·

ـ سيجارة ؟

لم يجاوب · رفع رأسه الى اعلى ·

ـ هل تريد شيئا ؟

لم يجاوب · رفع رأسه الى اعلى ·

ـ ما هي وصيتك ؟·

لم يجاوب · ومرة ثالثة رفع رأسه الى اعلى ·

ما هذا الصنف الجديد من الرجال · فكر الرجل السميك الرقبة · لكنهم في النهاية يتساوون امام الحبل · يرتجفون ويبدأون بتلاوة الآيات والتعاويذ ويستغفرون ويبكون · تقدم الرجل بثوبه الابيض · لم يكن يرتجف · ربماارتجفت رجله اليمنى قليلا · لكن ليس هذا مهما · تقدم وكان على وجهه اثار حروق والماء ينزف من اذنيه · لم يقل شيئا صعد الدرج وتدلى على الحبل · كانجسده ينحني · يرتجف قليلا · لكنه كان يصعد باقدام ثابتة · لم يعد يستطيع التقدم· امسك به · كانت الاضواء تلون السماء · كان الجسد عجينا يتلون كل لحظة· لم يسقط · اخذته · ارتجف جسده قليلا كأنه في حمى · ثم سقط · وكانت المسافة طويلة جدا ·

هذه هي المسألة · المسافة الطويلة والساحة الطويلة والحبل الطويـل · لكن الملك كان قصيرا ويرتجف · المسلة كانت طويلة ·

سيتحقق ما جاء في الكتب قالت ·

لكن الكتب بعـيدة ، والمسافة طويلة جدا · الحبال اهم من الكتب اجبتها ·

كنا نسير ، يدها في يدي ، والحزن الذي يصفع وجه المدينة يصفع وجهينا · وكان الرجل الذي شنقوه حزينا · في المرة المقبلة يجب ان لا نكتفي بسرقة الحيل بل يجب تمزيقه، في المرة المقبلة يجب ان لا نكتفي باحتلال الساحات والابنية بـل يجب تدميرها · الاساسي انه يجب ان تكون هناك مرة مقبلة ·

ـ الم اقل لك · جميع الساحات تتشابه · وجميع المدن التي تخترقها الانفاق ستدمر · بدأ برجيس نهرا يبدو الآن شاحبا · ثم بدأ ينزلق داخل ثيابه ، حتـى اصبح مجرد ثياب تتحرك · العرق يتصبب من ثيابه بدأ يفكر بالفرقة الاجنبية · الفرقة الاجنبية مجرد حل مؤقت · لكنه افضل من لا شيء · الثياب تتحـــرك واشارات اليد لم تعد تعني اشياء كثيرة · الفرقة الاجنبية هي الحل الوحيد · انها افضل من لا شيء · وقد تصبح كل شيء ·

تركته ، وبدأت اركض باتجاه المترو · لم التفت الى الوراء · كنت اركـــض مسرعا · فربما لا تزال تنتظرني ·

# الأدب والسياسة : علاقة تلاقي أم علاقة اغتصاب ؟

د. فيصل دراج

لن يرضى السياسي عن الفنان ابدا

غرامشي

يحقق الفنان في عمله ما وجده وليس ما بحث عنه

بيكاسو

يحاول البعض وهما تقييد الادب بقواعد أو قوانين ، بانتاج نظرية تطمح لاحتوائه وتأويله وشرحه ، لكن تنظير العمل الادبي لا يساوي انتاجه ، فالممارسة الادبية اوسع من النظرية الادبية · النظرية تتبع النص ولا تنتجه ، ربما تلقي اضاءة ، تترك له انارة وصوى ، لكنها لا تستطيع المساهمة في تحديد البناء الداخلي للعمل الادبي · لذلك **فالنظرية الادبية لا تطابق الممارسة الادبية** ، والاعمال الادبية العظيمة لم تلد من رحم النظريات الادبية العظيمة · العمل الادبي سابق دائما للنظرية ·

**الادب والسياسة :** « الادب الثوري » ، « الادب المقاتل » ، « الادب الجماهيري » ، « الادب الملتزم » كلمات ـ شعارات شاع استعمالها حتى الصخب، مع أنها معايير سياسية أقحمها الصراع الايدولوجي في حقل الادب ، فاستقرت رغم زيفها ، لترجع الادب الى سياسة أي لتنفي أدبية الادب واستقلاله الذاتي ·

نقول منذ البدء أن بين الادب والسياسة علاقة ، لكن عدم تحديد شكل هذه العلاقة جعلها محكومة **بنقطة عمياء** تعجز عن تمييز مفاصل الادب عن مفاصل السياسة · يرتبط الادب بالسياسة لكونه شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي المرتبط بموقع طبقي وموقف سياسي · لكن هذا التحديد حكم واقع لا حكم قيمة . فلا تنبع قيمة العمل الادبي من موقعه الطبقي أو التزامه السياسي ، فتقييمه يتم بأدوات أدبية متميزة ·

تسمح النقطة العمياء في شكل علاقة الادب بالسياسة لبعض النقاد

بالدخـول الى حقل الادب من بوابة السياسة ، يدخـلون الـى الادب بشكـل مغتصب وتعسفي ليخضعوه الى قوانين كسيحة ، فيرفعون الادب الساقط باسـم السياسـة ، ويسقطـون وهمـا الادب الحقيقـي باسـم السياسـة ايضا ٠ ينتج هذا الموقف الهادف الى طمس الحدود بين الادب والسياسة عـن موقف براغماتي ساذج ، براغماتي حتى الارهاب وساذج حتى الجهالة ٠

براغماتي لانه يحاول فرض أدب معـين ( كسيح بالضرورة ) باسم السياسة، أي يستعـمل مفهـوما مرهبا ومحرجا لاقرار معايير ونفي اخرى ، أي يكسـر المعايير السليمة ويفرض المعايير الهجينة وتسويق أدب بائس ٠

براغماتي أيضا لانه يحاول جعـل الادب ملحقا ذلولا للسياسة ، يقبل بما هو قائـم ويعـمل عـلى تأييده ، يثبت الحاضر وينسى المستقبل ، يمجد السكون ويحارب الحركة ، يكره النقد ويدعـو للصمت ، أي يدعـو **لادب تغطية الثقوب**٠ مع أن الادب كممارسة ابداعـية يقوم عـلى نقد ما هـو راهن ، يبشر بالمستقبل ويدعـو الى الحركة والتحريك والثورة ٠

ساذج لاعتقاده بامكانية تأطير الذاكرة ، واخضاع الفنان بتميزه وفرديتـه وابداعه الى قانون محدد ، لاعتقاده بامكانية تنظيم الخيـال الفني وترتيـب الممارسة الفنية ، ينسى أو يجهل بان الابداع الفني يرفض كل قيد وتقييده يعنـي موته ، فقانون الفنان عفويته ، وتجربته الفنية تتبع فقط قانونها الخاص المستقـل عـن كل قانون ٠ فالابداع ينمو كعـملية تلقائية حرة مطلقة السراح تنمـو وتغتني تبعـا لمنطقها الداخلي ٠

جاهل لانه لا يعرف التحديد ، يخلط بين الحقول ، لا يعرف مسـار المعرفـة الانسانية في التاريـخ ، يقفـز أو لا يرى خصوبة الممارسات الانسانية ووظيفة كل منها ، لا يميز بين العـلمي والايدولوجي ، بين الظاهر والجوهر ، بيـن المقولة والمفهـوم ، بين الادبي والسياسي ٠

لا تنمو المعـرفة البشرية بشكل احـادي الجانب ، بل تعبر عـن نفسهـا بأشكال مختلفة ، تعبير شجري في تفرعـه وخصوبته يتجلى في حقول عـديدة من المعرفة أو شبه المعـرفة ٠ فاذا تركنا الحقل العـلمي البحت جانبا وانتقلنا الى الحقل الادبي ـ الفني لوجدنا : الرواية والمسرح والشعر والموسيقـى والسينما ٠٠٠٠٠ كل حقل وله دور متميز يتداخـل مع الحقـول الاخـرى ولا يتطابق معـها ، نشأ ونما ليعبر عـن رغبة معينة لا يلبيها حقل غـيـره ٠ أي ان هناك **المفهوم التكويني للممارسات الانسانية في تنوعـها وخصوصيتها**٠ يتكون كل حقل ليقوم بوظيفة معينة ، لهذا فهـو يأخـذ خصائصه من بنيانـه الداخلي وتميزه ولا يمكن ارجاعـه الى أي حقل آخر على الرغـم من ارتباطـه به ، ويتكلم المختصون في الادب والفن الان عـن روائية الرواية وقلمية القلـم وشعرية العـمل الشعـري ٠٠٠٠

يعني هذا أن الادب حقل متميز ، له استقلاله الذاتي النسبي ، ولا يمكن أن يقيم الا بواسطة أدوات تنتمي الى حقله لا الى حقل آخر · اذا رجعنا الى السياسة وجدناها أيضا حقلا خاصا لممارسة متميزة · فأدوات الاديب غير أدوات السياسي · تتقدم السياسة بمعاييرها ومقولاتها الخاصة :الاستراتيجية والتكتيك ، ميزان القوى ، المناورة ، المبادرة السياسية ··· والتي تتلاحم جميعا لتعطي الممارسة السياسية بنيتها ، فاذا انتقلنا الى الادب وجدنا له نمط تقدمه الخاص به : المستوى اللغوي ، توازن الشكل والمضمون ، وحدات المعنى التي تحدد البنيان اللغوي الشكلي للعمل الادبي وأسلوبه ، الصورة والكناية ··· ، أي أن لكل من الادب والسياسة نمط وجوده الخاص ، أدواته، دوره في المجتمع ، وبالتالي **فان سحب حقل الادب الى حقل السياسة الغاء للاول ومضاعفة للثاني** ·

ان هذا التميز والتفارق بينهما لا ينفي العلاقة بينهما ، على شرط أن تكون علاقة مبصرة لا علاقة عمياء · يجب ان نميز هنا بين الاديب وعمله، فالاديب انسان أما عمله فنص أو موضوع ابداعي ، الاديب لا يساوي عمله · يمكن ان نقول انطلاقا من التمييز بين الاديب وعمله :

يقدم الاديب من حيث هو ذات انسانية حرة موقفا سياسيا من العالم بينما يقدم عمله موقفا أدبيا من العالم له أثر سياسي · ولا يتطابق موقف الاديب مع أثر موقف عمله الا عندما يستطيع تحقيق التوازن بين مفهومه للعالم وبنائه الفني ·

فالاديب كانسان ، كفرد ، يقدم اذن موقفا سياسيا مباشرا في حين يقدم عمله موقفا لا مباشرا · لهذا **فبين الاديب والسياسة علاقة تداخل اي علاقة مباشرة وبين العمل الادبي والسياسة علاقة تخارج اي علاقة لا مباشرة** ·

**السياسي والاديب :**

يرافق الاديب السياسي في مسيرته متميزا عنه في شكل تعامله مع الواقع وشكل فعله في التاريخ ، لكل منهما أدواته الخاصة وانتاجه الخاص وتأثيره الخاص ، بينهما افتراق ولقاء ، افتراق في شكل الوصول الى المثال ولقاء في المثال نفسه · لكل شكل ممارسته فالسياسي : يتعاطى مع الزمن المباشر ، الفيزيائي ، اليومي ، يهتم باللحظة المباشرة لحل تناقضها وتجاوزها، يحصر نفسه فيما هو راهن ، فزمان السياسي متقطع ، منكسر ، مراوح ،متراجع أحيانا ·

أما الاديب فيعيش في **الديمومة** · له زمن رحب متجانس تنفتح فيه اللحظات على بعضها ؛ **زمن دائري** يحدده منطق الابداع ·

لا يتناول السياسي « الحقيقة » مباشرة على الرغم من نضاله لاجلها، يناور ، يبرر ، يقبل بالحقائق الجزئية ، يتجاهل الحقيقة مع ارتباطه بها · أما الاديب فهو لا يجزيء الظواهر ، يتعامل معها ككل باحثا عن الحقيقة والشفافية والصدق ، انه وعي السياسي في يقظته المستمرة ، يقول ما لا يستطيع أن يقوله الاخير ويقول ما يرفض ان يراه احيانا هذا الاخير ·

يخلق السياسي وفقا لمنطق عمله جملة محرمات محاذرا الا تمس ·بينما يتمحور عمل الاديب على كسر المحرمات ، على تحرير الوعي والانسان بلا حدود · فحقيقة السياسي راهنة ، مجزأة وحقيقة الفنان كلية منسقة · لا يعني هذا حكم قيمة فلكل منهما شكل عمله وأصوله ، يلتقيان ويفترقان في مسار الثورة المعقد ، لكل منطقة · لهذا يؤرق الاديب السياسي ويؤرق السياسي الاديب في ضفاف عملية تاريخية مستمرة تهفو الى المثال·

يعرف السياسي المساومة والبراغماتية ، يدور في فضاء الاحصاء والحسابات الباردة · أما العمل الابداعي فلا يعرف المساومة وان عرفها سقط فالعمل الكاذب لا يكون عظيما ·

يهتم السياسي في يوميته بعملية الربح والخسارة بالواقع المباشر بخشونته ونجاحاته واخفاقه مفترقا في ذلك عن الاديب الباحث بدأب عن الحقيقة في الديمومة · لكل منهما شكل اقترابه من الحقيقة والثورة · يعيش كل منهما زمانه بشكل مختلف ·

يتوجه السياسي الى عقل الجمهور مقدما مقالا سياسيا مرتبطا بواقع مشخص ومهمات مشخصة أيضا · في حين يتوجه الفنان الى الاحساس والعاطفة مقدما صورة جمالية تداخلت فيها الازمنة وترامت فيها الامكنة ·

اذا كان السياسي يطمح الى صيغة سياسية متوازنة يتعامل بها مع المهمات المباشرة المطروحة عليه فان الاديب يطمح الى صيغة فنية متوازنة يعكس بها زمانه ويتعامل معه · **فالاول يحاول ترويض اللحظة السياسية والثاني يجاهد لترويض اللحظة الادبية ·**

ان اختلاف السياسي عن الاديب يجرهما احيانا أو غالبا الى الافتراق والمصادمة ، فيعمل عندها السياسي على خلق أدبه بنفسه ، يصنع ويفبرك الادباء والفنانين كي يدوروا في فلكه ويناور بالادب والفن · يخلق السياسي وهو المولع بالادارة والتنظيم أدبا اداريا أو أدبا مؤسساتيا يكون دوره التبرير والتجميل والتعطير ، يبرر السقوط ، ويجمل القبيح ، ويقبح الجميل · أي يصبح دور الادب ليس البحث عن الابداع الادبي بل عن التبرير الادبي للمارسات السياسية الخاطئة أي مشتقا أدبيا للسياسة ، **انه أدب تغطية الثقوب ·**

يستطيع السياسي اذن من خلال أدواته الادارية خلق أدب رسمي وتعميمه وخلق حركة نقدية موازية له وانتاج قارىء مشوه يدور في فضاء الحركة الادبية المشوهة · أي تستحيل الادارة السياسية الى اداة تكبح الوعي وتحارب الابداع وتكرس القيم المتخلفة والزائفة · **تخلق حفلا ثقافيا مشوها** · نستطيع بالاعتماد على ما سبق أن نطرح ما يلي :

**ا ـ عندما يسقط الفنان لدى الجمهور فالساقط هو السياسي وليس الفنان·** فالمسؤول عن خلق المناخ الثقافي المسيطر بارتفاعه وسقوط هو السياسي أولا ، فامكانياته وقدراته على الحركة والتعبئة والتوعية وهندسة مفهوم العالم تتجاوز بكثير امكانيات الاديب · يتقدم الاديب بعمله ، بانتاجه كأديب، بينما يتقدم السياسي بأجنحته المتعددة الادارية والتنظيمية والجماهيرية · **فخلق الوعي المسيطر بكل اشكاله ممارسة سياسية بالضرورة مناطة بالسياسي قبل الاديب** ·

ب ـ تنتج كل حركة سياسية جماهيرية اطارها الثقافي ، أطرها الادبية والفنية ، ممارسة ثقافية جديدة مرتبطة بممارسة سياسية جديدة · لذلك فان **فشل الحركة الثقافية أو سقوطها فشل للسياسي قبل الاديب والفنان** · واذا كان انتاج العمل الادبي مرتبط بالاديب فان انتاج الحركة الثقافية بأشكالها يعود الى السياسي · فاعطاء الثقافة الجماهيرية الجديدة **ممارسة سياسية** في التحديد الاخير ·

ان تصحيح شكل العلاقة بين الادب والسياسة شرط أساسي لانتاج أدب حقيقي ، وهذا يتطلب نضالا مستمرا يقتضي بالضرورة الدفاع عن الادب ·

## الالتزام · كيف ؟

تحمل كل فكرة آثار الشرط التاريخي الذي أوجدها ، فاذا انتهى هذا الشرط كان على هذه الفكرة أن تتجدد أيضا والا تخلفت وتاهت في المراوحة والجمود · و« الالتزام » في الفن والادب كلمة ترتبط بفترة تاريخية سابقة ، نمت في فترة معينة وحملت دلالة قسرية ، أو حملها الشرط التاريخي الذي أوجدها صفات قسرية أي خارجة عنها ·

بقيت هذه الكلمة « الالتزام » قائمة ـ مراوحة حاملة معها تشوهها حتى الان ، واستعملت حتى اغتصبت مقام المفهوم العلمي مع أنها ضبابية في محتواها ، مترهلة في حدودها · الالتزام كلمة غامضة ، مرهبة ، مضللة ، زئبقية ، لا محدودة الدلالة · وهي ليست شعارا أدبيا بل أداة لمحاربة الادب باسم السياسة أي حصارا للادب ·

كل أديب ملتـزم بطبقته ، أي ملتـزم ايدولوجيا وسياسيا ، لا يشذ عـــن هذا القانون أحـد بما فـي ذلك دعـاة الفن للفن الذين يعبرون في حملتهـــم المسعـورة عـلى الالتزام عـن موقف طبقي ، وعـن شكل معـين من الالتـزام يخدم الطبقة البرجوازية والمسيطرة · فالالتزام بكل أشكاله تحصيل حاصـل ، ليس اكتشافا ولا معيارا أدبيا · فكلمة الالتزام اذن زائدة نافلة ، ينبغـــي حذفها بشكلها الراهن من معـايير العـمل الادبي · واذا شئنا الاحتفـــاظ بها كان عـلينا التخلص من ضبابيتها ·

يقال عـادة أن الالتزام هو تناول الاديب أو الفنان للمواضيع السياسيـــة والاجتماعـية ، أي تناول حركة المجتمع بكليته المتناقضة · هل يعـني هـــذا شيئا ؟ فكل عـمل أدبي مهمـا كان شكله أو موضوعـه يمكن ارجاعـه الـى الوعـي الايدلوجي الذي أنتجه ، ويمكن القيام بقراءة سياسية حتى لروايـات الحب وأصول المطبخ · فالحياة سياسة والسياسة قائمة في كل مكان · واذا التزمنا بمقولة الالتزام لتحديد أدبية الرواية العـربية لوقفنـــا أمام جـدار واكتشفنا كسافة الضوء الذي نهتدي به · فكل الروايات العربية تتناول الصراع الاجتماعـي ـ السياسي : غسان كنفاني ، اميل حبيبي ، مولود فرعـــون ، صنع الله ابراهيم ··· ، وكذلك حال الشعر العربي : السياب ، الجواهري، محمود درويش ، توفيق زياد ··· هل يعـني هذا شيئا ؟ ان فكرة الالتـزام لا تقدم لنا أية انـارة أدبية · ويمكن بشكل عام أن يتناول أديبين ذات الموضوع فيكون أحدهما فنانا والاخر ناسخا مبتذلا · فكلمة **الالتزام اذن موقف سياسي من الادب لا موقف أدبي منه** ·

اذا تركنا الادب العربي والتفتنا الى الادب العالمي لوجدنا مفهوما عائما فـــي كل مكان ، ان شرحـه للادب لا يعـني أكثـر ما يعـنيه قولنا ان الاديـــب يستعـمل الحبر والورق في عـمله · يقول نورمان ميلر انه ملتزم بقضايـا الانسان ، وسارتر ملتزم بقضايا الحرية ، ومایاكوفسكي بالثورة الشيوعية · ويدخـل في اطار أدعـياء الالتزام الاشتراكي الديمقراطي الالماني جونتر جراس المعـادي للشيوعـية ، والمسيحـي الفرنسي برنانوس ، والامريكي فيليب روت، كما يتكلم غاستون باشلار عـن التزام الروح · فكلمة الالتزام موجودة وجـود الطبقات الاجتماعـية في هـذا العـالم ، لكل مثـاله على طريقته ، وهـــي موجودة في كل اللغـات حتى قبل ظهور الثـورة الاشتراكية ، واستعملـت بالفرنسية منذ القرن الثاني عـشر ، كما يظهر انجلز بأن اليوناني ايخيليوس كان ملتزما وكذلك أرستوفان · وشعـرنا العربي بشقيه الجاهلي والاسلامـــي ألم يكن ملتـزما بالقبيلة والقصر والخليفة !!

قد يقول البعـض اننا ضد فكرة الالتزام بمعناها الضبابي الواسع ، واننـا ندافـع عـن شكل متميز من الالتزام يخـدم قضايا الفقراء والثورة · لكـــن هذا لا يغـير شيئا في طرح المسألة بمنطقها الادبي ·

تعني الدعوة الى الالتزام الادبي عند أنصارها خلق مدرسة أدبية تتناول نفس المواضيع بأدوات أدبية متماثلة أو متقاربة للتقدم الى جمهور معين واعطاء أثر أيديولوجي وجمالي معينين · ان هذا المنطق على الرغم من نبل أهدافه يتهافت أمام الاعتبارات التالية :

ـ ينبع التزام الكاتب من ذاته لا بصيحة خارجية عنه ، فعمله وحدة تعبر عنه أدبيا وسياسيا · ان الدعوات الالتزامية لا تخلق ادبا ملتزما وقيادة النص من الخارج لا تنتج أدبا · فالالتزام دعوة لقيادة النص من خارجه وتدخل في ممارسة الاديب الذي هو ذات محددة بممارستها وتجربتها وخبرتها ووعيها ولا يمكن أن تكون الا خلاصة لذلك · لهذا فان ادارة العمل الادبي من خارجه تحطمه ، وتحوله الى بنيانين بدلا من بنيان واحد ، بنيان يعبر عن الاديب وبنيان يخضع للقيادة الخارجية ·

ـ اذا كان الالتزام لا يصدر عن الاديب كاختيار حر وتلقائي ، فان دعوته الى الالتزام لن تؤدي الى شيء ، ويصبح الالتزام **موقفا أخلاقيا ـ برجوازيا** مقطوع الصلة بالمفهوم المادي للعالم ويتعارض مع المفهوم المادي لعملية الكتابة وأثرها السياسي · فالدعوة للالتزام ترادف الدعوات الاخلاقية الاخرى مثل حب الخير وتجنب الشر أي مرتبطة بمفهوم أخلاقي للعالم ·

ـ ان خلق مدرسة أدبية ملتزمة ليس مناطا بالاديب بل بالحركة السياسية التي عليها أن تناضل لخلق **شروط مادية** تسمح بولادة أديب ملتزم يعطي نصا أدبيا موحد البنيان · واذا كان الانسان بشكل عام محصلة للعلاقات الاجتماعية فان الاديب أيضا محصلة للعلاقات الاجتماعية ، لذلك لا يمكن تغييره بقرار · لهذا ينبغي أن نميز بين **المفهوم الارادوي** للالتزام **والمفهوم المادي** للالتزام · فالاديب يعكس ممارسته ·

ـ تهدف فكرة الالتزام الى تنظيم دور الادب وتنظيم علاقته بالجمهور ، أي تنطلق من مفهوم التنظيم والادارة · لذلك تسقط نظريا في المفهوم الآلي للعالم والمفهوم البيولوجي للمجتمع ، انها موجهة نحو مجتمع ، يسير بدقة الجسم البشري وضبط الآلة ، لكل وظيفة ، طرف يرسل وطرف يتلقى في وحدة انسجامية · ينسى هذا المنطق الميكانيكي **مفهوم التناقض** · فالالتزام ليس رغبة ذاتية بل مرهون بعملية التحول الاجتماعية المدفوعة بتناقضاتها المتجددة ·

**ان فكرة الالتزام على الرغم من ظاهرها الثوري مثالية فلسفيا وبرجوازية سياسيا** · فهي تنهض على مفهوم أخلاقي للادب والعالم · هل يعني هذا ان فكرة الالتزام لا وجود لها في الادب ؟

اذا كانت ممارسة الاديب لها تميزها فان التزامه له تميزه أيضا ·ان الالتزام

السياسي للاديب هو الالتزام الادبي للاديب ، فمهما كان موقفه السياسي وموقعه النضالي يتقدم الى العالم أدبيا · **فالالتزام الاساسي للاديب التزامه نحو أدبه** ، وعندها فقط يقدم أعمالا ذات قوة أدبية تساهم في تغيير العالم وتحويله · أما الاعمال المباشرة والخاضعة للالتزام السياسي كالتزام أساسي ووحيد فلا تقدم أكثر من اضافة تحريضية سريعة الزوال ·

يعبر الالتزام الادبي عن نفسه ببحث مستمر عن شكل جديد ومضمون جديد ، بحث عن الجمالي وبحث عن المعرفي ، فالشكل لا يخلق وحيدا بل كتعبير عن مضمون بحث عنه الفنان طويلا · فالمعرفة تهدم الظواهر الزائفة وتظهر بشكل ديالكتيكي امكانية تحويل العالم وتثويره · فالفنان يحاول فهم الظواهر وتأويلها ، يراقبها ويرصد حركتها ، ويولد الشكل لديه كأداة ضرورية لتجسيد هذه المعرفة في موضوع جمالي ·

فالبحث عن الشكل بحث عن المعرفة ·

**المثال الفني والمثال الاجتماعي :** يتوارى في فضاء العمل الادبي العالم المعاش بمباشرته واقنعته المتعددة ليحل مكانه عالم اخر يغايره ولا يماثله على الرغم من ارتباطه به ، عالم له منطقه الخاص وبنيان يتداخل فيه الحلم بالواقع وتنكسر لديه دلالات الزمان والمكان · **فالعالم المعاش لا يساوي صورته الادبية ·**

يتناول الاديب الواقع بأدواته ليعيد انتاجه كامتداد لرؤياه الفنية وطموحه السياسي والاخلاقي · يحاول في اعادة انتاجه للعالم المعاش أدبيا اعادة انتاجه ماديا أيضا ، فرحلته الادبية بحث عن خصوصيته كفنان وبحث عن عالم جديد ، رحلة ثنائية البعد يبحث الفنان عبرها عن شكل جديد وعالم مفقود ، يجاهد لتملك العالم فنيا كي يتملكه فيما بعد سياسيا واجتماعيا · أي يبحث عن عالمه ـ المثال في لحظة بحثه عن مثاله الفني ·

يشكل العالم المعاش مادة أولية لانتاج العمل الادبي ، فبين العالم وصورته الفنية علاقة ، لكنها **ليست علاقة تماثل بل علاقة نفي** ، فعندما يصيغ الفنان عالمه في عمله ، يخضعه لمفهومه ، فينزع عنه توازنه الظاهري ، يكسره ، يبدد سديمه اللامرئي ، يولده من جديد عاريا شفافا كثيفا · **فالفن تكثيف واثارة للعالم ·**

يضعنا الفنان اذن أمام عالم جدلي الدلالة : الواقع التجريبي المباشر / الواقع المصاغ فنيا · عالمان يولد أحدهما ( الثاني ) من هدم الاخر · وتبقى وحدتهما وتطابقهما حلما وشوقا ومهمة للثورة ·

يهدم الفنان الواقع ويبنيه في الوقت نفسه ، فيموت في مباشرته ويبعث فنيا ·

لا يعني هذا المنطق أن الاديب ( الفنان ) روح خالصة ، مطلق لا يصيبه التحديد ، فهو يخضع رغم تميزه وفرديته الخاصة لمفهوم التحديد ، يعبر عن موقف سياسي مشروط بموقع أيديولوجي ، أي له باستمرار مثال اجتماعي يسعى اليه ، فان وجد جاهد لتثبيته وان لم يوجد عمل على الوصول اليه ، **ويتعامل في الحالتين مع العالم فنيا** · لكن اذا كان الفن نفيا للعالم فكيف يستطيع فنان الطبقة المسيطرة المناهضة للثورة أن يهدم عالمه مع أنه يسعى لتثبيته ؟

يعمل فنان الطبقة المسيطرة في فنه على نفي وتثبيت عالمه ، لكنه في نفيه يقوم بانتاج عالمه وهميا منتجا صورة وهمية له ، أي يثبته بتجميله واضافة صفات اليه ، او بانتاج موقف منه يهدف الى ابقائه لا تحطيمه ( مسرح العبث ) · ويبقى مع ذلك موقفه السياسي وموقعه الطبقي ليس معيارا أدبيا أو جماليا ·

نستطيع بعد هذه المحاكمة اقرار الاطروحة التالية : ينطلق الفنان من الواقع ليعود اليه اما مثبتا أو باحثا عن البديل · فالعمل الفني يتضمن الواقع والاشارة الى البديل ، البديل في شكله الوهمي أو الحقيقي ·

يحدد الاديب موقفه من العالم عبر بنائه الفني لهذا العالم ، ويتقدم العمل الفني من داخله لا من خارجه ، فالاديب ينتج موقفا فنيا لا أطروحة سياسية·

يهدم العمل الادبي الواقع مرتين أو يطمح لهدمه مرتين : عندما يصيغه فنيا وعندما يصيغه ليبرز ضرورة هدمه · لكن عملية الهدم هذه ليست متواقتة ، فعملية الهدم الفنية تتم في زمن انتاج العمل الفني ، أما عملية الهدم المادية والتي هي طموح وأثر للعملية الاولى فتتم في زمانها · يخاطب الفنان الحاضر والمستقبل ويتداخلان لديه كوحدة زمانية ترشح في البناء الداخلي لكل عمله ·

اذا كان لكل عمل ادبي اثر سياسي فمعنى ذلك ان كل مثال فني يشير الى مثال اجتماعي ، فما هو شكل العلاقة بين المثالين ؟ وكيف يومىء الفني الى الاجتماعي ؟ ما دمنا نتكلم في حقل الادب ونحترم استقلاله النسبي فان هذه العلاقة واليتها لا تتواجدان الا في حقل الادب او الادبي · لذلك نستطيع ان نقول :

**يقترب المثال الفني الى مثاله الاجتماعي محمولا على آلية التأثير الجمالي،** يعبر فضاءه التاريخي مدفوعا بحمولته الجمالية · فالعمل الفني مساهمة متميزة في الثورة ومن أجل الثورة · وكما أن الثورة صيرورة وسيرورة فكذلك حال آلية التأثير الجمالي ، ففعلها ليس مباشرا وان كان في جوهره مباشرا ، لا يفهم العمل الادبي دفعة واحدة بل ينتظر دائما مرحلته لكونه

مشروطا ببنية اقتصادية ووعـي اجتماعـي معينين · فتملك الاثر الجمالـي محكوم بمستوى الوعـي المسيطر ·

اذا رجعـنا الى مقولة : المثـال الفني / المثال الاجتماعـي ، نرى ظاهريـا علاقتين جمالية واجتماعـية ، لكن العـلاقة الاجتماعـية تنضوي تحت العلاقة الجمالية وتذوب فيها أي تستحيل بدورها الى عـلاقة جمالية رغم مضمونهـا الاجتماعـي · فالعـمل الادبي اذن :

**بنيان معـقد فيه عـنصر مسيطر هو العـلاقة الجمالية** · ويعـني هذا ان تقييم العمل الادبي ينهض من العـلاقة الجمالية المميزة له كنشاط ابداعـي مستقل · وتتكشف لنا موضوعـية هذا التقييم عـندما نستعـيد شكل فعـل العـمل الادبي أو آلية التأثير الجمالي التي تحكم المسار من الفنـي الى الأجتماعـي · فالعـمل الادبي يمارس دوره كموضوع للاستهلاك والانـارة والتحريض بحمولته الجمالية ، أي **يتقدم في التحديد الاخير كعـلاقة جماليـة لا كموقف سياسي** · ويسقط بذلك التقييم السياسي ـ الايدولوجي للادب والفـن ليحل مكانه التقييم الجمالي ·

ويدفعـنا هذا الموقف الى اعـادة النظر بمدرسة الواقعـية الاشتراكية ،والتي تصبح عـلى ضوء هذا التحليل موقفـا سياسيا ـ ايدولوجيا من العالـم لا مدرسة أدبية · لذلك فان انتاج ادب الثورة لا يمكن أن يتم دون كسر جميـع الاقانيم والنواميس المحنطة بما فـي ذلك المعـنى السائـد للواقعيـة ـ الاشتراكية ·

اذا كان للفنان مثال اجتماعي فذلك يعنـي أنه ملتـزم بالحركة السياسيـة التي تناضل لتحقيق هذا المثـال ، مربوط الى زمان ومكان ، ولعـمله الفنـي زمانيته ومكانيته ، أي مربوط الى طبقة اجتماعـية تتفق معـه سياسيا · تطرح عـلينا مقولة الاديب والزمان والمكان مباشرة **مشكلة التوصيل** ·

ليست مسألة التوصيل زائفة أو هجينة فهي قائمة في ديالكتيك الانتـاج والاستهلاك ، الجمهور والفنان ، الصانـع والمستعـمل ، قائمة في ديالكتيـك العـمل الفني واثره الجمالي · الفنان والجمهور اذن ! نعـم · ولكن كيف ؟

لا بد منالتمييز هنا بين الاديب البرجوازي والاديب المعبر عن تطلعات واشواق الجماهير المضطهدة والثائرة ·فبالنسبة للاديب البرجوازيلا تأخذ مشكلة التوصيل حجما معقدا ، فهو يتوجه لطبقة تأكل وتعيش وتقرأ ·أما الاديب الملتزم بالثـورة فيكتب لطبقة تأكـل أقل وتعيش اقل ولا تقرأ ، او تقرأ ولا تجـد الامكانيات لذلك ، او تقرأ زمرة منها · فكيف يتقدم الاديب ( الفنان ) الى جمهوره فـي الحالة الثانية ؟

عملية التقدم هذه معـقدة ، تجريبية ، متعـددة الاشكال ، ولا يمكن ان تأخذ معـناها الحقيقي الا بقبول الحقيقة التالية :

أ ـ الادب والفن ليسا متعة مجانية واستهلاكا بسيطـــا · **فعمليـــة القراءة** استهلاك وانتاج في الوقت نفسه · فالقارىء عـندما يحاول فهم العـمل الادبي يستهلكه كموضوع وينتج نفسه كذات ، ويفقد العـمل قيمته ان لم يجبـــر القارىء عـلى التفكير والمحاكمة ويتحـول الى استهلاك بسيط مبتذل يكرس تخلف القارىء · فالادب المتخلف ينتج قارئا متخلفا · **اذا كان العمل الادبـــي انتاجا متميزا فان القراءة أيضا انتاج متميز ايضا** ، فالقراءة الواعية اعـادة انتاج للنص وللقارىء · أي ان الكتابة انتاج والقراءة انتاج وكلاهما يحتـاج الى جهـد متميز · في هـذه الشروط فقط يصبح الادب ( والفن ) اداة انارة وتحريض ، عندما يجبر الفكر على مراجعة مفاهيمه فيدفـع باتجـاه خـــلق فكر جديد · أما « الادب السهـل » أو « الادب الجماهيري » فهو ابتـذال للادب ، عـاجز ويدفـع الى العـجز لانه رهين لشكل الوعـي المسيطر ، وليس متمردا عـليه ·

ب ـ ينبغـي أن يكون وصول الاديب الملتزم بالثـورة الى جمهوره عمـليـة ثورية أيضا · واذا كانت الثـورة هدمـا للبنى المسيطرة فان على الادب الملتزم بالثـورة أن يهـدم الاشكال والمضامين المسيطرة أي يصبح ممارسة ثورية : شكل جديد لمضمون جديد والا سقط المضمون ، فأدب الثورة هو ثـورة فـــي الادب · لهذا يمكن أن نقول :

ـ يتجلى النضال من أجـل مضمون جديد كنضال من أجـل شكل جديد فـي الوقت نفسه · فالمضمون لوحـده نقطة انطلاق عاجزة والثورة في الادب ثورة في الشكل أولا ·

ـ يعـني أدب الثورة **ولادة نمط جديد من الكتابة ونمط جديد من القراءة** تقوم عـلى عـملية نفي مستمرة لما هو قائم للوصول الى ذات ايجابية : كاتب ايجابي وقارىء ايجابي ·

ـ الممارسة الادبية عـملية نفي مستمرة لذاتهـا وللعـالم ، نفي يـــرادف الايجابي مع أنه النفي بعـينه · فالفنان باحث مستمر لا يعـرف التعـــب ، يتجدد من خـلال بحـثه ، يحاول فهـم العـالم وترويضه فنيا ، يكدح للوصول الى شكل جديد · فالعـملية الفنية عـملية في حركة ، توتر مستمر في بحـــث لاهث عـن وحدة انسجامية للشكل والمضمون ·

ويمكن أن نقول في النهاية أن الاديب يحاول الوصول الى الجمهور عـــن طريق الشكل المتجـدد لا المضمون المبسط ، يرسم العـالم بأشكال متجـــددة تجدد نموه الفني عبر « محـاولات » و« تجـارب » و« استعـارات » من ثقافة شعبه وثقافات الشعـوب ·

# التركيب الاقتصادي لشرقي الأردن

## مقدّمات التطوّر المشوّه (١٩٢١/١٩٥٠)

## السكان ووضع الاقتصاد التقليدي (الرعي والزراعة)

هاني حوراني

### القسم الثالث :

### ١ ـ التركيب السكاني والتحولات السكانية في شرقي الاردن

#### ١ ـ الاتجاه نحو الاستقرار البدوي

تظهر التحولات السكانية في شرق الاردن ، بعد الحرب العالمية الثانية اذا قورنت بفترة تأسيس الامارة الهاشمية عام ١٩٢١ ، تعبيرا مباشرا للتحولات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي حدثت على التركيب الاقتصادي ـ الاجتماعي الاردني ٠

ان اول مظاهر التحول في التركيب السكاني ، هو انخفاض عدد السكان من البدو الرحل في الاربعينات عنه في مطلع العشرينات ، وهو ما سنعمد الى تفسيره فيما بعد ٠ ففي عام ١٩٢٢ كان تقدير عدد سكان شرقي الاردن يشير الى ما مجموعه ٢٢٥ر٣٥٠ نسمة ، اقل من نصفهم بقليل من البدو الرحل ، غيرالمستقرين في الارض، اي ما يوازي ١٠٢ر١٢٠ نسمة او ٤٦٪ من السكان٠ والباقي يتوزعهم الريف والمدن (١) ٠ في عام ١٩٤٣ كانت الارقام الرسمية تشير الى ان ١٢٠ر٠٠٠ نسمة ، من مجموع السكان البالغين ٣٤٠ر٠٠٠ نسمة ، قد غدوا بدوا انصاف مستقرين ، اي انهم قد حدوا من ترحلهم وانخرطوا في الزراعة ، او في نمط مختلط يجمع ما بين الزراعة والرعي المحدود ٠ في حين ان ٤٠ر٠٠٠ نسمة فقط ، قد بقوا بدوا رحلا (٢) ٠ اي ان توزع السكان بين الحضر والبداوة كان يشير الى ان ٣ر٣٥٪ من السكان هم من انصاف البدو ، ٨ر١١٪ حافظوا على تكوينهم البدوي الصرف ، مقابل ٩ر٥٢٪ من السكان شكلوا القسم المستقر دائما من السكان ٠

---

(١) راجع : سليمان موسى « تأسيس الامارة الاردنية ( ٢١/١٩٢٥ ) » ، عمان ، ١٩٧١٠ تقديرات نيابة العشائر ( ٢٣ آب ١٩٢٢ ) ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ٠

(٢) A. Konikoff ; Transjordan, An Economic Survey. Jerusalem. 1946, P. 17.

تبدو ارقام عام ١٩٤٦ ، متناقضة في بعض معطياتها مع احصاءات عام ١٩٤٣، لكن هذا التناقض يعود الى لبس معنى البداوة عموما وصعوبات تصنيف الانماط الوسيطة بين البداوة والاستقرار · هكذا تشير ارقام ١٩٤٦ الى ان عدد البدو الرحل في شرقي الاردن قد بلغ ٢٦١ر٩٩ نسمة مقابل ٣٩٨ر٣٣٤ نسمة من السكان الحضر (٣) · وبالنسب شكل السكان البدو ٢٣٪ من السكان مقابل ٧٧٪ من الحضر ·

يلاحظ ان المظهر المباشر الاول للتحولات السكانية بين مطلع العشرينات والاربعينات هو وجود اتجاه عام للاستقرار في الارض والاتجاه الى الزراعة والى انماط الانتاج المختلطة ذات الاستقرار النسبي ، او ذات الانتقال المحدود ·

**ب ـ اتجاهات الجذب والطرد في الريف الاردني ·**

ان المعطيات السابقة تفيد بوجود عوامل جذب للتشكيلات البدوية ونصف البدوية نحو الريف ، وان الاتجاه التاريخي للتحول السكاني يعطي تعبيرا اوليا هو باتجاه الاستقرار ، وتوسيع قاعدة الريف السكانية ، ولكن لاسباب متعلقة بشروط السيطرة الكولونيالية ونمط النمو الاقتصادي المرافق لهذه السيطرة ، فان هذا الاتجاه الجاذب نحو الريف ، او بتعبير آخر ، هذا الاتجاه نحو الحد من التنقل البدوي والدافع نحو الاستقرار الزراعي ، كان يقابله عامل طرد مقابل من الريف باتجاه المدينة او خارج البلاد ( وباتجاه فلسطين في الغالب ) ·

كان القسم الاعظم من السكان ( ٣٠٠ الف نسمة ) ، او ٩٥٪ منهم يقطنون عام ١٩٤٣ في شريط من البلاد لا تتعدى مساحته ٥٠٠ر١٧ كيلو مترا مربع · فيما كان ٤٠ الف نسمة ، او ٥٪ من السكان يقطنون في البوادي والصحراء التي تشكل القسم الاعظم من مساحة البلاد ( ٠٠٠ر٧٢ كيلو متر مربع ) (٤) ، لكن حتى هذا الشريط ، كما سنلاحظ ، لم يكن صالحا بكامله للزراعة ، ولم تعمل السلطات الكولونيالية والحكومة على تطوير واستصلاح مساحات اضافية منه لاستقبال هذا الضغط السكاني · لذا عكست الكثافة السكانية في بعض المناطق من الاردن، اتجاه السكان الآيلين للزراعة نحو المناطق ذات التربة والمناخ المناسب ونسبة الامطار الكافية للزراعة · ووفقا لارقام ١٩٤٣ كانت منطقة عجلون ذات التقاليد والتاريخ الزراعي القديم تضم ٩ر٥٢٪ من السكان في البلاد ، مقابل ٤ر٢٩٪ كانوا في البلقاء و ٧ر١١٪ في الكرك ، ٨ر٥٪ في معان (٥) ·

---

(٣) راجع : منيب ماضي وسليمان موسى : « تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، عمان، ١٩٥٩ ، ص ٤٤٨ ·

(٤) راجع كونيكوف ، المصدر السابق ، ص ١٨ ·

(٥) المصدر نفسه ص ١٨ ·

لذا ، فان قاعدة الريف البشرية ، بلغت ما نسبته ٢ر٦٦٪ من مجموع السكان لعام ١٩٤٣ ، ( ١٠٥ الاف من الفلاحين المستقرين + ١٢٠ الف نسمة من انصاف البدو ـ انصاف المزراعين ) ، لكن قسما كبيرا منهم كان مضطرا لمغادرة الريف والزراعة في شرق الاردن للعمل في المدن او للعمل الموسمي في فلسطين ٠٠فلعوامل عديدة ، منها ازمة الاقتصاد الزراعي ووتائر نموه المحدودة ابـــان السيطـرة الكولونيالية البريطانية ، ولاسباب متعلقة بعوامل الجذب المديني ، الناشئة عـــن ازدياد الفعالية الاقتصادية للمدن ، فقد شهد الريف الاردني في سنوات الثلاثينات والاربعينات حالة طرد واسعة للقوة العاملة فيه وذلك باتجاه المدن وباتجـــاه الخارج ( فلسطين ) ٠

## جـ ـ النمو السكاني المديني ( نتائج الطرد الريفي والجذب المديني ) ٠

ظل موقع المدن في الاقتصاديات الاردنية التقليدية هامشيا وضعيفا قبـل عـام ١٩٢١ ٠ وفيما عدا السلط ، لم يكن ممكنا الحديث عن مدن اردنية قبـل تأسيس الامارة ٠ فقد كانت اربد ، الكرك مجرد بلدات ذات طبيعة زراعية ـ تجاريـــة مختلطة ، اما عمان فقد كانت مجرد قرية زراعية ذات سوق محلي صغير ٠

وفقا لارقام ١٩٢٢ ، كان عدد سكان ١٠ بلدات ( مختلطة الانشطة الاقتصادية بين الزراعة والتجارة والخدمات والحرف ) يوازي ٩٠٠ر٥١ نسمة ، وكان اكبر هذه البلدات السلط ( ٠٠٠ر٢٠ نسمة ) يليها عمان ٠٠٠ر٦ نسمة ، الرمثا ٥٠٠ر٤ نسمة ٠ وكانت نسبة عد سكان هذه البلدات العشر الى مجموع عدد السكـــان لا يتعدى ٢٣٪ (٦) ٠

بين ١٩٢٢ و ١٩٤٦ ارتفع مجموع عدد سكان اربع بلدات ـ مدن رئيسية هـي عمان ، اربد ، السلط ، الكرك نحو ثلاث مرات ٠ اي من ٩٠٠ر٣٢ نسمة عـــام ١٩٢٢ الى ٩٢٤ر٩٣ نسمة ٠ لقد وقعت الزيادة الحقيقية في مدينة عمان فقط التـي ارتفع عدد سكانها من ٤٠٠ر٦ نسمة عام ١٩٢٢ الى ٠٠٠ر٣٠ نسمة عام ١٩٣٧ الى ٧٥٤ر٦٥ نسمة عام ١٩٤٦ ٠ في حين ان السلط شهدت انخفاضا في عدد سكانها من ٢٠ الف نسمة الى ٤٧٩ر١٤ بيـن عامـــي ٢٢ و١٩٤٦ ٠ وحصل الامر نفسه في اربد والكرك اللتين بعد ان ارتفع عدد سكان كل منهمـــا مـــن ٥٠٠ر٣ نسمة و ٠٠٠ر٣ نسمة الى ١٥ الف و ١٢ الف نسمة بين عامي ٢٢ و ١٩٣٧ عادتا الـى الانخفاض بقوة عام ١٩٤٦ الى ٦٩٣ر٦ نسمة و ٩٩٨ر٦ نسمة بالترتيب (٧) ٠

وواقع الامر ان المدن في الاردن قد شهدت نموا سكانيا في فترة العهد الكولونيالي

---

(٦) راجع سليمان موسى : « تأسيس الامارة ٠٠٠ » ، ص ١٧٨ ٠

(٧) ارقام السكان لعام ١٩٣٧ راجع كونيكوف المصدر نفسه ، ص ١٨ ، ولارقـام ١٩٤٦ راجع منيب الماضي وسليمان موسى ، مصدر سابق ، ص ٤٤٨ ٠

الذي تلا تأسيس الامارة ، عن الفترة التي سبقتها، بسبب عوامل متعلقة بالتمركز الاداري ـ الكولونيالي الذي شد البلاد ، وكون لاول مرة دولة مركزية في هذه المنطقة · وبفعل قيام المؤسسات المركزية الادارية ـ الكولونيالية ، مثل الدوائر الحكومية والمنشآت والمعسكرات والمطارات ، والخدمات الرديفة ، وكنتيجة لقيام فرص تكوين سوق محلي وتجارة وخدمات ارتبطت وتاثر نموها بالفعالية الخاصة التي احدثتها الانشطة الكولونيالية في البلاد · وقد ارتبطت وتيرة ازدياد عدد سكان بعض المدن ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها ، بازدياد الانفاق الامبريالي العسكري والخدماتي ( المواصلات ، الطرق ) في هذه الفترة ، كما ارتبطت هذه الزيادة المتنامية بالتسهيلات التشريعية والمالية امام التجارة انذاك ، التي خلقت مفاعيل جذب للقوة العاملة من الريف الاردني ·

لقد نشأت مدن ، ونمت بدون اساس مادي ـ تاريخي انتاجي · اذ نشأت ونمت بفعل اختيارها مواقع للسيطرة الكولونيالية ، كما هو الحال مع المفرق ، الزرقاء ، وكما هو الحال الى حد كبير مع عمان ، فهذه المدن نشأت كمواقع لمطارات ومعسكرات بريطانية ، او كمواقع للادارة المركزية · لذا تميزت هذه بلا تاريخيتها وبطابعها الخدماتي ـ التجاري ـ الكولونيالي المباشر ، وبانعدام صفتها الانتاجية وضعف تكوينها وتقاليدها الحرفية ـ الصناعية · وبالمقابل فقدت عدد من المدن التاريخية اهميتها التقليدية وعادت الى ما يشبه القرى والبلدات القديمة وتقهقر عدد سكانها كما هو الحال مع السلط ، الكرك وغيرهما ·

كتعبير احصائي عن ازدياد اهمية المدن وعن التمركز السكاني في المدن ، فقد بلغ عدد سكان خمس مدن فقط ( عامي ٣٧ و ١٩٣٨ ) ٧٥٫٠٠٠ نسمة او ما نسبته ٢٢٪ من مجموع السكان · وفي عام ١٩٤٤ ، قدر عدد سكان البلدات بنسبة ٣٠ ـ ٣٥٪ من السكان · اما عام ١٩٤٦ ، فقد بلغ عدد سكان ٩ بلدات ـ مدن ، ( يزيد سكان كل منها عن ٢٠٠٠ نسمة ) ما يوازي ١١٧٫٠٧٧ نسمة او ما نسبته ٣٥ ٪ من مجموع السكان المستقرين ( الحضر ) ، او ٢٧٪ من مجموع السكان في البلاد الذين كان عددهم ٤٣٣٫٦٥٩ نسمة · والاهم من ذلك هو ان هذه المدن ، قد اكتسبت اكثر فاكثر تعبيرا مدينيا بالمعنى الاقتصادي ، فقد تراجعت بقايا سماتها الزراعية ، وتقوت ملامحها التجارية ـ الخدماتية ، كتعبير عن تعزز السمات الرأسمالية والعلاقات التبادلية ـ النقدية وتكونها كسوق · وبلا ريب ان هذا قد حمل نتائج اجتماعية ـ سياسية عبرت عن نفسها بتكون طبقي بدائي ، وبروز فئات اجتماعية متعددة ، وظهور علاقات انتاج رأسمالية ، ( عمل مأجور ومستخدمين بأجور ، طبقة تجارية ، نواة بيروقراطية ادارية ، وطبقة اصحاب الحرف والدكاكين ) ، كما برزت بعض التعابير والمؤسسات الحزبية والنوادي السياسية كتعبير عن بروز وعي بالتناقضات الاجتماعية ·

## د ـ الهجرة الاقتصادية الى الخارج ( كتعبير عن الطرد الريفي وازمة قطاعات الانتاج التقليدية ) ٠

كانت الهجرة البشرية للعمل في الخارج ، احد مظاهر التحولات السكانية بين مطلع العشرينات والاربعينات من هذا القرن ، شأنها شأن الهجرة نحو المدن ٠وقد جاءت كتعبير عن ازمة التطور الزراعي في الريف ، وكظاهرة طرد سكانية ٠ كانت الهجرة السكانية نحو الخارج ، تتجه اساسا نحو فلسطين ، بفعل كونها سوق عمل رائجة جدا انذاك ، وكانت هذه الهجرة ذات طابع موسمي ودائم على حد سواء ٠ ففي عام ١٩٣٧ ، كان معظم المواطنين العرب الذين دخلوا فلسطين للعمل فيها وقوامهم ٣٢ الفا ، من الاردن ٠ وقد شكل هؤلاء وفقا لبعض التقديرات اكثر من ثلث القوة العاملة في شرقي الاردن انذاك (٨) ٠ وقد لاحظت دراسة ميدانية لقرية شرق اردنية في منطقة عجلون ان ٤٩٪ من ارباب العائلات الاردنية كانوا قد عملوا في فلسطين في فترة الانتداب مرة واحدة على الاقل ٠ ولاحظت نفس الدراسة ان اغلب هؤلاء قد زاولوا العمل في فلسطين لفترات مختلفة انذاك (٩) ٠

وقد تبين ابان نكبة ١٩٤٨ ، ان ٤٠٠٠٠ر٠ مواطن اردني كانوا قد ذهبوا للعمل في فلسطين قبل الحرب ، وقد شكل هؤلاء ما نسبته ٨ر٤٪ من السكان وفقا لاحصاء ١٩٤٧ ، او ٣٣ر٦٪ من مجموع القوة العاملة المقدرة انذاك ٠

تشير هذه المؤشرات السكانية الى بضعة تحولات سكانية لها علاقة بالتطور الاقتصادي ـ الاجتماعي في الاردن منذ فترة تأسيس الامارة وحتى منتصف الاربعينات ٠ ولها علاقة بنمط التحول الاقتصادي في ظل السيطرة الكولونيالية ، من انماط انتاج معيشية ـ اكتفائية ذات هامش تبادل سلعي بسيط الى انماط انتاج مزدوجة ، تقليدية زراعية رعوية دخلت في اطار السوق والتبادل السلعي، وحديثة رأسمالية تعبر عنها التجارة والخدمات العامة والادارة والحرف ٠وهكذا انعكس هذا على التركيب السكاني للاردن ، باتجاه تحول القسم الاعظم من السكان المترحلين ( البدو ) الى الاستقرار الكلي او الجزئي ، وثم احتلال

---

(٨) راجع جميل هلال : « الضفة الغربية ، التركيب الاجتماعي والاقتصادي (٤٨ـ١٩٧٤)» ص ٣٠ ، وقد اقتبسها بدوره عن Palestine Blue Book 1937

(٩) جميل هلال ، المصدر نفسه ، ص ٣١ اوردها عن :

R.T. Antoun, Arab Village, London, 1972 , P. 27.

(١٠) R.S. Porter, Economic Survey of Jordan, 1953. P. 15.

اما تقدير نسبة القوة العاملة الاردنية المهاجرة والعاملة في فلسطين ، فهو يستند ، الى تقدير القوة العاملة بما يوازي ٧٥٠ر١١٨ شخصا ، اي ٢٥ ٪ من السكان لعام ١٩٤٧، وهو تقدير الحد الاقصى ، فاذا ما خفضنا نسبة القوة العاملة الى السكان ، فان نسبة القوة العاملة الاردنية في فلسطين ترتفع عن ٣٣ر٦٪ من مجموع القوة العاملة ككل ٠

التشكيلات البدوية الصرفة موقعا اقل اهمية بالنسبة الى مجموعات السكـــان الحضرية في عام ١٩٤٦ مقارنة مع عام ١٩٢١ · لقد اتجهت الاقسام الاعظم مـن التشكيلات البدوية للاستقرار والاندماج في الريف والزراعة كليـــا او جزئيا ، فتوسعت قاعدة الريف السكانية ونسبتهم الى مجموع السكان · لكن ، في الوقت نفسه برزت ظاهرة طرد سكانية من الريف باتجاه المدينة والمرافـــق المدينيـــة والكولونيالية الحديثة وباتجاه الخارج · وقد عبرت عن ذلك ظاهرة تنامي الكثافة السكانية في عدد من المدن وازدياد طابع التحول الرأسمالي في البلدات والمـــدن الاخرى مما جذب اليها اعدادا من سكان الريف · كما عبرت عن ذلك ظاهـــرة تنامي الهجرة الى فلسطين والاقطار الاخرى ، كتعبير عن ازمة الانتاج الزراعي التقليدي عموما في الاردن ، وانسداد افق فرص العمل في المدن ، رغم اتساع المدن ونموهـا بوتيرة متسارعة ·

اخيرا تميز الوضع السكاني بحركية دائمة بسبب التنقل البدوي عبر الحـدود لفترة من الزمن ، وخاصة في بداية تأسيس الامارة الهاشمية · كما كانت الزيـادة السكانية ( بين ١ر٤٪ عام ١٩٣٠ و ٣ر٢٪ عام ١٩٤٣ ) ضعيفة بسبب انعـــدام العناية الطبية والصحية او ندرتها · وكانت الوفيات بين الاطفال كبيرة ، كما كان معدل الوفيات بين السكان عموما كبيرا ، بسبب انتشار الامراض والاوبئة ·وكانت هذه تضعف الزيادة السكانية الطبيعية كما يظهر الجدول رقم (١) ، وكما سيأتي بحثه حين نتناول الخدمات الطبية في البلاد ·

**جدول رقم «١»**

تقدير السكان ومعدلات الولادة والوفيات ، ووفيات الاطفال المسجلة
( ١٩٣٠ ـ ١٩٤٣ )

| السنة | تقدير السكان | الولادات | | الوفيـات | | معدل وفيات الاطفال | نسبة الزيادة السنوية الطبيعية للسكان |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | العدد | المعدل | العدد | المعدل | | |
| ١٩٣٠ | ٢٦٢ر٣٦١ | ١٠ر٣٤٠ | ٣٩ر٤ | ٦ر٦٦١ | ٢٥ر٤ | ٢٢٢ | ٤ ر١ ٪ |
| ١٩٣٥ | ٢٨٢ر٩٤٤ | ١١ر٢٨٤ | ٣٩ر٤ | ٦ر٨٣٢ | ٢٤ر٢ | ٢١١ | ٥٢ر١ ٪ |
| ١٩٣٩ | ٣٠٩ر٢٩٥ | ١٣ر٩٦٩ | ٤٥ر٢ | ٥ر٢٧٣ | ١٧ر٦ | ١٧٣ | ٧٦ر٢ ٪ |
| ١٩٤٣ | ٣٤٠ر٠٠٠ | ١٣ر٤٠٦ | ٣٩ر٤ | ٥ر٤٦٦ | ١٦ر١ | ١٥١ | ٣٣ر٢ ٪ |

Konikoff, OP. Cit, Table IV, P. 106

## ٢ ـ القطاع الاقتصادي التقليدي

### اولا : الاقتصاد الرعوي ٠

كنا قد اشرنا الى جملة من الظروف الموضوعية التي نشأت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع هذا القرن ★ وادت الى تعميق اتجاه الاستقرار في الارض لدى القبائل الرعوية او للحد من تنقلها الواسع ، كما ادت الى اتجاهها نحو الزراعة الى جانب الرعي المحدود ٠ لكن اندلاع الحرب العالمية الاولى ، واعتماد البريطانيين والشريف حسين في حركته المناهضة للعثمانيين على القبائل البدوية في القتال ضد قوات العثمانيين ومراكزهم ، ساعدت ، بل بعثت بقوة ظرفا جديدا لانعاش الشخصية البدوية والاقتصاد البدوي ـ الرعوي ٠ وقد اعاقت هذه الظروف الاتجاه الصاعد نحو الاستقرار الزراعي لدى القبائل الرعوية (١١) ٠

اتاح انخراط عدد من القبائل البدوية ، في الحرب المناهضة للعثمانيين ، لها فرصا جديدة لغزو ولنهب ثروات القبائل الاخرى المنحازة للاتراك ، واتاح بشكل عام للعديد من القبائل فرصة امتلاك ثروة كبيرة من الجمال والمواشي كان عليها ان تحيطها بالعناية والرغاية ، وبذلك ضعفت لديها ميول الاستقرار واخذت تعود الى النمط الرعوي والانتقال بما لديها من جمال ومواشي بحثا عن المراعي ومصادر المياه ، وبحثا عن الطقس الملائم للحفاظ على هذه الثروة الحيوانية ويستشهد عادة بقبيلة الحويطات كمثال على هذا التحول من قبيلة ذات تقاليد زراعية قديمة الى قبيلة رعوية ٠ فالاخيرة ظلت حتى اواخر الثلاثينات منهمكة برعاية مواشيها وابلها ، ثم عادت بعد ذلك الى العناية بفلاحة اراضيها التي تركتها من قبل للمرابعين والفلاحين (١٢) ٠

والواقع ان بني صخر والسرحان ، فضلا عن الحويطات بقيت حتى فترةقصيرة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية قبائل بدوية ورعوية صرفة (١٣) ، وقد عكس واقع استمرار الغزو والغارات البدوية في البلاد حتى مطلع الثلاثينات استمرار

---

★ راجع القسم الاول من هذه الدراسة في شؤون فلسطينية ، العدد ٦٣ـ٦٤ ( شباط ـ اذار ١٩٧٧) ٠

(١١) راجع E. Epstein, The Bedouin of Transjordan : Their Social and Economic Problems, Royal Central Asian Society Journal. Vol 25 April 1938. P.P. 228-236.

(١٢) ابشتاين ، المصدر نفسه ٠

(١٣) راجع : J.B. Glubb, The Economic Situation of the Trans-Jordan Tribes, Royal Central Asian Society Jonrnal Vol. 25. July 1938, P. 448-459.

انتعاش الشخصية البدوية وصعوبة السيطرة عليها (١٤) · فحتى القبائل ـ العشائر التي انخرطت في النشاط الزراعي ، والتي حدث من تنقلها بعد الحرب الاولى ، ظلت تعاني من مشاكل وعواقب استمرار اعتمادها على الرعي وتربية الحيوانات في ظروف غير مناسبة وقاسية للغاية ·

ان الالتواء الحاصل في فترة الحرب الاولى ، والذي ساعد على عودة الانتعاش البدوي والاقتصاد الرعوي لم يستمر طويلا ، اذ ان نتائج الحرب السياسية ، وما ترتب عليها من ظروف وشروط جديدة قد انتهت الى وضع تحديات ومصاعب قاسية في وجه الاقتصاد الرعوي وفي وجه القبائل التي تعتمد على الرعي وعلى العناية بتربية الحيوانات ·

فقد ادت الحرب الى اقتسام المشرق العربي بين الكولونياليات البريطانية والفرنسية ، واعادت منطقة من هذه المناطق المقتسمة الى نوع من الاستقرار النسبي وقامت فيها اشكال من السلطة المركزية · فالمناطق الصحراوية الممتدة من الجزيرة العربية الى بادية الشام قسمتها حدود ما عرف بشرقي الاردن ، السعودية ، العراق ، سورية · وقد ادى واقع انقسام هذه المناطق الصحراوية بين سيادات اقليمية متعددة واحيانا متنافرة ، الى الحد من حرية القبائل الرعوية في التنقل من منطقة الى اخرى · وعلى سبيل المثال فان قبائل شرقي الاردن الكبيرة التي اعتادت ان تترك كل شتاء منطقة مؤاب الباردة وسهل ايدوم لتهاجر مع مواشيها الى وادي سرحان ، الذي اصبح ـ بعد الحرب العالمية الاولى ـ جزءا من العربية السعودية ، قد اجبرت الان اما على البقاء في مناطقها او البحث عن حسن الوفادة عند جيرانها الذين يمضون الشتاء في واي الاردن (١٥) ·

فمن المعروف ان الاقتصاد الرعوي يعتمد اساسا على حرية التنقل بحثا عن المرعى والماء والدفء ( او الطقس الملائم ) · وحاجة هذا الاقتصاد لسهولة التنقل قد جوبهت بتقسيم الحدود وبصعوبة الانتقال والترحل بين اراضي بلدات ذات سيادات متعددة ومتعادية كشرقي الاردن والعربية السعودية انذاك (١٦) ·

والواقع ان البلاد التي عرفت ضيقا واضحا في الاراضي القابلة لرعي المواشي، كانت تدفع القبائل الرعوية الى الصراع والغزو والسطو على ديار الغير

---

(١٤) المصدر السابق ، يشير جلوب الى ان الامن في الصحراء قد استتب منذ عام ١٩٣٢، وهو يعني الفترة التي تلت قدومه من العراق الى شرقي الاردن وتأسيس « قوة البادية » السيارة التي شكلت من البدو لتأمين الامن في الصحراء · وقد منح الكابتن جلوب رتبة زعيم في الجيش الاردني في تموز ١٩٣١ على اثر نجاحه في مهمته هذه · راجع الماضي وموسى، تاريخ الاردن في القرن العشرين ( عمان ، ١٩٥٩ ) . ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ·

(١٥) ابشتاين ، المصدر نفسه ·

(١٦) راجع ابشتاين ، المصدر السابق نفسه · وهو يشير الى فشل الاتفاقيات بين حكومات المنطقة والتي تسمح بقدر معين من تحركات البدو عبر الحدود ·

ومراعيها · لكن ظروف قيام استقرار داخلي نسبي، الذي ضمنته السلطات الكولونيالية في كل منطقة قد ضاعف من صعوبات انتقال القبائل بأبلها ومواشيها في اراض عرفت قانونا او عرفا انها ديار لغيرها · ومع صعوبة استمرار الغزو ، كان الاقتصاد الرعوي مضطرا الى التراجع والانكفاء ·

لقد كانت مشكلة الاقتصاد الرعوي الصرف ، المعتمد على تربية الجمال ، ان هذا النوع من الحيوانات يحتاج الى تنقل واسع · فاذا كانت القبائل البدوية المعتمدة على رعي الجمال ، من ذات النمط الاكتفائي ، فان استمرار طابعها الاكتفائي اصبح مهددا مع صعوبة استمرار تنقلها الواسع ومع صعوبة تكيف تربية الجمال بدون هذا التنقل الواسع · ومن جهة ثانية فان القبائل التي تعتمد على رعي الابل لغايات السوق ـ كليا او جزئيا ـ وجدت هذه بعد الحرب ظروفا غير مناسبة لاقتصادها ، مع انكماش الطلب على الجمال لغايات النقل او العمل· كما واجهت منافسة قوية من الجمال السودانية في سوق اللحوم ، ولا سيما في مصر ، وهكذا هبط تصدير الجمال الاردنية الى الخارج بنسبة ٣٠٪ بعد الحرب عن سنوات ما قبل الحرب (١٧) ·

اما تربية الماشية ، فقد تطلبت العناية بها حرصا اكبر مما تحتاجه تربية الابل فهي تتطلب الانتقال بقطعان الماشية من المناطق الباردة الى البادية او الى المناطق الدافئة · فالبرد القارص او سنوات المطر الرديئة والجفاف ، دون توفر فرص مناسبة للترحل ، يؤدي الى تقويض اقتصاد قبيلة باسرها ويدفعها فورا الى الحضيض ، اذ تفنى ثروتها من الاغنام بالالاف في وقت قصير ·

ويقدر الميجور غلوب في مقالة له ، ان سنة او سنتين من الجفاف كفيلة بالقضاء على الاغنام بنسبة تتراوح بين النصف والثلثين خلال شهور قليلة (١٨) ·

لكل هذه الاسباب فقد تولد ضغط موضوعي على القبائل الرعوية الصرفة والقبائل نصف الرعوية من اجل الاستقرار في الارض وتعميق هذا الاستقرار بالانخراط في الزراعة والحد بصورة كبيرة من تنقلها · واذا كانت ميول الاستقرار والزراعة للارض قد برزت كاتجاه لا بديل له ولا مناص منه بالنسبة للعديد من العشائر الصغيرة منذ فترة ما قبل الحرب الاولى ، فانه قد تحول الى ميل واسع لدى العديد من القبائل الكبيرة والصغيرة بعد الحرب · لكن هذا الاندفاع نحو الاستقرار في الارض كانت تحده عقبتان ، اولهما ضيق الاراضي القابلة للزراعة مما ولد التزاحم والصراع عليها (١٩) ، وثانيهما انعدام او ضآلة المساعدة

(١٧) راجع مقالة جلوب ، المذكورة انفا ، راجع ايضا كونيكوف ، مصدر مذكور انفا ، ص ٤٨ ·

(١٨) راجع جلوب المصدر السابق نفسه ·

(١٩) راجع القسم الخاص بالزراعة والاقتصاد الزراعي في الصفحات التالية ، لا سيما الفقرة الخاصة بالاراضي الزراعية والاراضي المروية ·

المقدمة للقبائل من اجل تسهيل عملية استيطانها الزراعي للارض واستثمارها لها ٠

لقد كانت المشكلة المزدوجة الجوانب بالنسبة للاقتصاد البدوي والرعوي تتمثل في ان السلطة والادارة الكولونيالية لم تكن معنية بتحسين اوضاع البدو ولـــم تساعدهم بما فيه الكفاية من اجل استمرار نمطهم الانتاجي السابق ٠ مثلما لـــم تساعد اولئك البدو الراغبين في الزراعة ، سواء الذين بدأوا بالاستقرار في الارض قبل الحرب ، او بعدها ، او اولئك الذين اخذو بالزراعـــة بصورة جانبية مـع استمرارهم في حياة الترحل والرعي المحدود (٢٠) ٠

لقد تمثلت سياسة السلطات الكولونيالية تجاه البدو في تركهم وشأنهـم ، اي تركهم يواجهون صعوبات استمرار نمطهم الرعوي بعد الحرب الاولى ، بـدون مساعدة تذكر يسهل استيطانهم في الارض ، بل على العكس ، استثمار المصاعـب التي يعانون منها بهدف اخضاعهم اكثر فاكثر ، ودفعهم نحو اللجوء الى الدولة من اجل الحصول على المساعـدة ٠

فهي اذ لم تقدم ما من شأنه تحويل اقتصادهم الى اقتصاد سلمي ، وتسهيـل معيشتهم ، فأنها لم تقدم او هي قدمت مساعدات تافهة جدا ، ماليـة وفنية ، مـن اجل تأمين استقرارهم ومساعدتهم على حل مشكلات تطوير الاراضي التي فـي حوزتهم وزراعتهـا (٢١) ٠

ان حالة بني حسن في شمال البلاد ، مثال ذو دلالة كبيرة في هذا المجال ٠ فهذه

---

(٢٠) راجع ابشتاين ، المصدر السابق ٠

(٢١) رغم اشارة عدد من التقارير البريطانية السنوية ( ولا سيما تقرير عام ١٩٢٩ ) الى وجود ميل ظاهر ورغبة في الاستيطان في الارض لدى القبائل البدوية في شرقي الاردن ، الا ان الجهود المبذولة من قبل السلطات الكولونيالية كانت محدودة جدا ٠ جلوب تحدث مثلا عن الاستعانة بموظفين لتعليم القبائل طرق الزراعة المختلفة ، وصندوق تنمية المستعمرات قـدم مبلغ ٣٠ الف جنيه تصرف على مدى ست سنوات لتوسيع دائرة الاراضي وتوزيـع الارض المشاع ( تقرير عام ١٩٣٥ ) ، كما جرى الحديث عن بناء بعض المساكن الثابتة حول العيون وابار المياه وعن تحسين مصادر المياه في مناطق القبائل عن طريق حفر ابار ارتوازية ،وعن توزيع الاراضي على البدو ، وارسال المشرفين الزراعيين وتوزيع البذار مجانا ٠ الا انسائر هذه العمليات كانت محدودة وخصصت لها مبالغ تافهة ٠ فقد اشار كيركبرايد ( المعتمـد البريطاني في الاردن ) ، امام لجنة الانتدابات في دور انعقادها التاسع والعشرين الى عدم وجود نظام خاص لتوطين البدو في شرقي الاردن ٠وتذرع في تبريره الى ضالة خزانات المياه في مناطق البدو والملحة في اوقات الجفاف ، وبقلة الموارد المالية ٠ واشار التقرير البريطاني السنوي لعام ١٩٣٦ الى الصعوبات التي تعاني منها عملية توطين البدو ٠ واكد كيركبرايد ان المشروع يتقدم ببطء ، وقال امام لجنة الانتدابات في دور انعقادها السادسة والثلاثين ان مشروع توطين البدو وتسوية الاراضي يحتاج لمدة ١٢ سنة ٠ راجع : خلة ، محمود كامل ، « التطور السياسي للمملكة الاردنية ٢١ ــ ١٩٤٨ » ، (رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩ ) ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ ٠

القبيلة التي كانت تعد ٨٦٠ خيمة وتقطن في اخصب بقاع البلاد في منطقة عجلون ، تعرضت لمحنة كاملة نزلت باقتصادها · اذ انها ـ وهي قبيلة نصف مترحلة ـ تملك ٣٧٢ر٠٠٠ دونما من الاراضي الصالحة للزراعة · لكنها ظلت حتى منتصف الثلاثينات تعتمد على رعي مواشيها اساسا · لقد تعرضت قبيلة بني حسن الى كارثة قضت على معظم ثروتها من الماشية · ففي عام ١٩٢١ كانت تملك ١٢٨ر٠٠٠ رأس من الماشية ، ولم يعد لديها عام ١٩٣٤ سوى ٢٧ر٠٠٠ رأس اثر بضع سنوات من الجفاف (٢٢) ·

كما تعرضت القبائل الكبيرة لكوارث مشابهة ، مثل بني صخر والحويطات ، والتي تملك هي ايضا مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية · فبني صخر كانت تملك ٤٢٦ر٠٠٠ دونم تقع عليها ما يوازي ٢٤ قرية ، ومع ذلك فان القمة القبلية فقط كانت معنية باستثمار هذه الاراضي بالاعتماد على الفلاحين والمرابعين ، في حين ظلت بقية القبيلة تمارس رعي المواشي (٢٣) ·

اما الحويطات التي تملك سهل الشراة وتسيطر على منطقة واسعة بين معان والعقبة · فقد ظلت حتى منتصف العشرينات ، تمارس الرعي ، ولم تعد الى زراعة الارض الا جزئيا بعد ذلك ، وكليا بعد كارثة اصابت ثروتها من المواشي في منتصف الثلاثينات (٢٤) ·

لم تقدم السلطات الكولونيالية لهذه القبائل لا المساعدة المالية والفنية ولا التسهيلات التي من شانها تأمين استثمار الاراضي من قبل افراد هذه القبائل ·· وفقط بعد مجاعة عام ١٩٣٥ قدمت السلطات الكولونيالية مساعدة مالية ، كانت حصة بني صخر منها ٢٥٠ جنيها والحويطات ٩٠٠ جنيه · وقد تبين ان هذه «المساعدات المالية» ليست اكثر من رشاوي قدمت الى زعماء هاتين القبيلتين(٢٥)·

لقد اقر الميجور غلوب في مقالة له ، بان مرور سنوات سيئة كسنتي ٣٢ و ١٩٣٣ قد ادت الى موت الاف رؤوس الاغنام ، اذ بعد زيادة متواترة لمدة ٨ ـ ١٠سنوات سابقة ، كان يكفي سنة ، او سنتان من الجفاف حتى يقضي على ثمار السنوات السابقة وحتى تنقص رؤوس الماشية بمقدار يتراوح بين النصف والثلثين · ان غلوب في مقالته ، التي جاءت بمثابة دفاع عن سياسة الكولونيالية البريطانية في الاردن ، لم يجد ما يقدمه لدحض الاتهامات الموجهة الى الادارة الكولونيالية ·ولم يجد ما يقدمه من منجزات في خدمة الاقتصاد المحلي سوى الحديث عن « اقرار الامن والقانون في البلاد » ، اما موت الماشية وتقويض الاقتصاد البدوي فهذا عائد

---

(٢٢) راجع ابشتاين ، المصدر المذكور انفا ·
(٢٣) ابشتاين ، المصدر نفسه ·
(٢٤) المصدر نفسه ·
(٢٥) المصدر السابق · راجع ايضا مقالة جلوب المذكورة انفا ·

الى « ارادة الله » والى « الجفاف غير المتوقع » ، الذي هو « ظاهـــرة طبيعية في حياة العرب منذ ما قبـل التاريخ » ، وبالتـالي فهـي ظاهـــرة ليست الادارة الكولونيالية معنية بمواجهتها او وضع الحلول لها · وحينما كان لديه علاج ،فهو « حرية التجارة ومساعدة الحكومة ( الهزيلة كما رأينا وبعد ان تقع الكارثـــة بالطبع ، وكرشوة لزعماء القبائل ) تساعد على تخفيف الالام عن السنوات السيئة مثل ٣٢ و ١٩٣٣ » (٢٦) ·

اعتمادا على ارقام الانتاج الحيواني في البلاد يمكن اظهار التقهقر العام الـذي أصاب اقتصاد القبائل الرعوية الصرف والقبائل نصف الرعوية، الامر الذي يفسر انخراطهـــا الاضطراري في زراعـــة الارض والاستقرار في السنوات التي تلت العشرينـــات ·

١ ــ لقد اصاب التقهقر والانكفاء اقتصاد القبائل الرعوية الصرف اساسا ·وهي القبائل المعتمدة على تربية الجمال · والارقام المتوفرة بين عام ١٩٣٠ و ١٩٤٣ تظهر هذا التدهور المستمر في عدد الجمال ، فهي قد هبطت من ٢٦٫٦٠٠ رأس عام ١٩٣٠ الى ١٥٫٩٠٠ عام ١٩٣٣ · ثم هبطت هبوطا سحيقا في الاعوام الثلاثـــة التالية الى ٤٫٤٠٠ و ٣٫٤٠٠ و ٢٫٣٠٠ ، اي في الاعـــوام ٣٤ ، ٣٥ ، ١٩٣٦ · وعندما ازداد عددها عام ١٩٣٧ الى ١٣٫٩٠٠ كانت قد وصلت الى اعلى رقم لهـا بين سنوات ١٩٣٤ و ١٩٤٣ · ففي العام الاخير كان عددها ٦٫٠٠٠ رأس فقط(٢٧) ·

٢ ــ وعلى الرغم من ان تربية الحيوانات الاخرى مثل الماعز والاغنام تشكـــل نشاطا مشتركا بين القبائل الرعوية المحدودة التنقل والمزارعين القبليين والفلاحين الا ان ارقامها تظهر تأثرها بالاوضاع الذي عانت منه اقتصاديات القبائل الرعوية ونصف الرعويـــة ·

فارقام تربية الماعز كانت تشير الى اتجاه صاعد ، اقل تأثرا بالعوامل المناخية ( بالمقارنة مع الاغنام ) وبالعوامل الاقتصادية الاخرى (بالمقارنة مع تربية الجمال) ففي عام ١٩٣٠ كان عدد رؤوس الماعز في البلاد يوازي ٢٨٩٫٥٠٠ رأس ، ارتفعت الى ٣٥٤٫٤٠٠ عام ١٩٣٣ والى ٤١٧٫٢٠٠ عام ١٩٣٧ ، ثم الى ٥١٢٫٠٠٠ عام ١٩٤١ · تخللتها ارقام هبوط طفيفة ، ثم قوية عامي ٤٢ و ١٩٤٣ الى ٣٠٠٫٠٠٠ رأس والى ٣١٢٫٠٠٠ رأس (٢٨) ·

اما تربية الاغنام فقد ظلت وتيرة ارتفاعها اقل بشكل واضح ، من ٢٢٩٫١٠٠ رأس عام ١٩٣٠ الى ٢٩١٫٨٠٠ في العام التالي · وظل هذا الرقم هو الاعلى بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ · ثم ارتفع الى ٣٢٨٫٠٠٠ رأس عام ١٩٤١ وعاود الهبـوط الى

---

(٢٦ ) راجع جلوب ، المصدر نفسه ·
(٢٧) راجع كونيكوف ، مصدر مذكور انفا ، ص ٤٦ و ١٠٩ ( الجدول ) ·
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤٦ و ١٠٩ ·

٠٠٠ر٢٠٠ رأس في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ (٢٩) ٠

٣ ـ مع ان انتاج الماشية من اللحوم ومشتقات الالبان كانت تغطي الحاجات المحلية، وتحقق فائضا كان يصدر الى الخارج، كالماشية الحية والجلود والصوف والسمن وغيره من مشتقات الالبان ، الا ان دخول المواد الغذائية المستوردة والتحول الذي طرأ على نموذج الاستهلاك المحلي ( ولا سيما في المدن الرئيسية )قد اثر على اسعار المنتجات الحيوانية والالبان ، ودخلت في منافسة مع السلع المستوردة من الخارج ٠ وكان اضطراد اتساع التجارة مع الخارج ، يضغط على الاقتصاد البدوي ـ الرعوي ونصف الرعوي ، ويخضعه اكثر لقوانين السوق ونظام اسعاره غير المواتية لهذا الاقتصاد التقليدي (٣٠) ٠

لقد تلخص وضع الاقتصاد الرعوي في فترة السيطرة الكولونيالية في غياب المساعدة الفعالة من الادارة المحلية والكولونيالية للاقتصاد الرعوي وتركه تحت رحمة الطبيعة من جهة وتحت رحمة الاقتصاد السوقي من جهة ثانية ٠ فهو لم تتوفر له الفرص الطبيعية للاستمرار كاقتصاد رعوي ، وفي الوقت نفسه لم تتح له ظروف مناسبة للانتقال الى اقتصاد زراعي مستقر ٠ ولم تكن هذه مشكلة البدو المفتقدين الى ارض فقط، وانما مشكلة القبائل التي في حوزتها اراض شاسعة للزراعة ، كما مر معنا في حالة بني حسن ٠ وحتى في حالة بني صخر والحويطات٠ فهذه القبائل لم تقدم لها تسهيلات مناسبة لانتقال افرادها الى الزراعة واستثمار الارض ٠ وبقيت رعوية الى فترة متأخرة نسبيا ٠ في حين ان زعامتها تحولت الى مالكة اقطاعية للارض (٣١) ، وحتى عندما انتقلت هذه القبائل وغيرها الى الزراعة ، بقيت ذات اساليب زراعية متأخرة جدا ٠

ولنلاحظ سلوك السلطات الكولونيالية مع بني حسن كنموذج للاهمال الواعي ولترك السكان القبليين يتقوضون دون مساعدة ٠ فكما سبق ان ذكرنا كانت بني حسن تملك ٠٠٠ر٣٧٢ دونم لم تستخدم في الزراعة بل كمراع لمتلكاتها من الماشية ٠ ويقول ابشتاين ان بني حسن قد توجهوا مرات عدة الى الحكومة يسألونها المساعدة في تطوير الاراضي الخصبة التي في حوزتهم ، لان المساعدة في ذلك الوقت المناسب يمكن ان تنقذهم من كارثة المجاعة والدمار الاقتصادي الذين هم معرضين له ايضا ٠ لكن السلطات الكولونيالية لم تفعل سوى تركهم ينتظرون مصيرهم، و «عندما غدا وضع القبيلة مفجعا ـ لانها تعرضت فعليا للمجاعة ،فان

---

(٢٩) المصدر نفسه ، الصفحات نفسها ٠

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٤٧ ، ٤٨ ٠

(٣١) يشير جلوب في هذا الصدد الى ان اول محراث آلي للارض قدم للبلاد ، قد استورد من قبل بني صخر ، اي لصالح شيوخ بني صخر الآيلين الى مالكين اقطاعيين للارض ٠ وقد استورد العديد من هؤلاء الشيوخ وغيرهم الجرارات والمحاريث والحصادات الالية لاستثمار اراضيهم الواسعة ٠

عددا من المسؤولين البريطانيين في شرقي الاردن احدثوا لجنة اعانة اخذت على عاتقها توزيع الخبز والملابس على الاسر التي تعرضت للمجاعة ...» !! (٣٢)٠

## ثانيا : الزراعة والاقتصاد الزراعي ٠

### أ ـ الاراضي الزراعية والاراضي المروية

قدرت مساحة الاراضي الزراعية في شرقي الاردن في اواخر الثلاثينات بما يتراوح بين ثمانية وثمانية ملايين ونصف المليون من الدونمات ٠ اي ما يوازي ٩ـ ٤ر٩ ٪ من مساحة البلاد الكلية (٣٣) ٠

وعلى الرغم من ضآلة هذه المساحة فان المستغل منها لم يتجاوز ٦ر٤مليون دونم ، او ٥٦ ٪ من مجموع الاراضي القابلة للزراعة (٣٤) ٠ومعظم الاراضي المفلوحة هي في التلال والمرتفعات ٠ ويعتبر الاستغلال غير الكامل للاراضي الزراعية احد اوجه المشكلة الزراعية في ذلك الحين ، وخاصة مع تزايد نسبة السكان المنخرطين في الانتاج الزراعي ، وتضاؤل متوسط حصة الفرد من الحيازة الزراعية ٠

فمن الاراضي المفلوحة في البلاد ومساحتها ٦ر٤ مليون دونم ، كانت الحصة الاكبر في منطقة اربد وتوازي ٥ر٢٣٪ منها ، تليها الكرك التي حازت على ٩ر١٢ ٪ ، ثم منطقة بني صخر ٢ر٩٪ ، السلط ٠ر٩٪ ، ويليها مناطق بني حسن ، عمان ، عجلون (٣٥) :

يلاحظ من الارقام السابقة ان الرقعة الزراعية المستغلة لم تتجاوز ١ر٥٪ من مساحة البلاد الكلية ، وان هناك امكانات واقعية لتوسيعها ، وبالتالي زيادة الانتاج الزراعي ، وتحسين متوسط حجم الحيازة لغايات اجتماعية ، اقتصادية ٠ الا ان هذا لم يكن في نطاق اهتمامات السلطات الكولونيالية البريطانية والادارة في البلاد ٠

كانت معظم الاراضي المفلوحة تعتمد على مياه الامطار وخاضعة لتقلباتها،

---

(٣٢ ) راجع ابشتاين ، في مقالته المذكورة انفا ٠

(٣٣) A. Konikoff, Transjordan, an Economic Survey. P. 29

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ، ٢٩ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ٠ اما مساحة الاراضي المزروعة وهي ٦ر٤ مليون دونم فقد كانت موزعة بين المناطق كما يلي بالاف الدونمات :

اربد : ٠٨٠ر١ ، عجلون : ٥ر٣٤٨ ، جرش : ١٦٤ ، بني حسن : ٣٧٢ ، السلط : ٤١٨، عمان : ٣٥٧ ، بني صخر : ٤٢٦ ، مادبا : ١٨٨ ، بني حميدة : ١٦٤ ، الكرك : ٥٩٥ ، الطفيلة : ٥ر٢٩٧ ، معان : ١٩٠ ٠

وقد اثر هذا على نمط الزراعة وعلى الانتاج الزراعي وعلى نوعية المحاصيل. ورغم وجود ثروة مائية كبيرة في شرقي الاردن ، الا انها لم تستثمر . او ظل استثمارها حكرا على كبار الملاك الزراعيين ، ومصدرا من مصادر الاستغلال الاقتصادي للفلاحين الصغار والمتوسطين وخاصة في الاغوار .

لقد قدرت المياه المتدفقة سنويا من الينابيع والجداول بنحو ٢٨٢ مليون متر مكعب . كانت في غالبيتها مبددة وغير مستغلة في الري ، بالاضافة الى مياه نهري اليرموك والاردن التي تضيف ما مجموعه ١ر٠٢٠ مليون متر مكعب سنويا (٣٦) . ورغم الحاجة القصوى الى مصادر الري هذه ، فقد ظلت الزراعة خاضعة في الغالب لرحمة الطبيعة ، كما بات من الصعب استثمار الاراضي الزراعية الاخرى او استصلاح الاراضي بدون استثمار مصادر المياه الغنية في البلاد .

وهكذا فانه من مجموع الاراضي المزروعة المقدرة بـ٤ر٦ مليون دونم ، لم تتجاوز الاراضي الزراعية المروية مامساحته ٢٦٠ الف دونم ، او ما نسبته ٥ر٦ ٪ من مجموع الاراضي المزروعة . لقد كانت الحصة العظمى من الاراضي المروية هذه في وادي الاردن ، التي قدرت بـ ٢٠٦ الاف دونم ، او ما نسبته ٢ر٧٩٪ من الاراضي المروية عموما (٣٧) .

شكلت ضآلة الاراضي المزروعة المستغلة الى مجموع الاراضي القابلة للزراعة والاخرى الممكن استصلاحها ، وضآلة الاراضي المروية ، وجها اخر من وجوه المشكلة الزراعية في البلاد واثرت على مستوى المعيشة للفلاحين وعلى الانتاجية الزراعية على حد سواء . وعموما ادى عدم حل هاتين المشكلتين الى تكريس اشكال الانتاج الزراعي القديمة او حال دون تطورها .

ان ضيق الرقعة الزراعية المستغلة وانخراط المزيد من السكان من انصاف البدو في الزراعة بشكل متواتر في غضون السنوات العشرين التالية على تأسيس الادارة في شرقي الاردن ، قد ادى الى اضعاف متوسط حصة الحيازة الزراعية الكافية للاعالة ، وحال دون قيام تطور رأسمالي واسع في الريف ، اي حصول فائض زراعي كبير متجه نحو السوق . وكان من المفترض ان تتم عملية استيعاب البدوي والاستقرار في الارض عن طريق استصلاح متزايد للاراضي القابلة للزراعة ، وتقديم تسهيلات تمكن من استثمار

---

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، كذلك راجع :
M.G. lonides. Report on the water Resources of Trans-jordan and their Development, London, 1939, P.P. 190, 244.

(٣٧) Annual Report, 1938, P. 307 .

الاراضي الزراعيـــــة بكاملها ، لكن هـــــذه التسهيلات لـم تقـــدم الا فـي اضيق نطاق · ونتج عن ازدياد كثافة السكان في القرى وضعف متوسـط حجـم الحيازة ، نشوب النزاعات الدمويـــة بين القرى بسبب الخلافات عـلى حـدود القرى ، وكانت هذه النزاعات مظهـرا للازمـة الناتجـــة عـــن ضيق الارض والتزاحـم عـليها بصورة متزايدة ( ٣٨ ) ·

ضاعـف من تأزم الوضع في الريف ضآلة الاراضي المروية وتبديد الـثـروة المائية · اذ كان من الممكن ان يساعـد الري والاستخـدام الجيد للثروة المائية عـلى توسيع رقعة الاراضي المستغلة ، بـل واستصلاح اراض غـيرها ، كما كان من الممكن ان يزيد من الانتاجية الزراعـية بالمتوسط للفلاح وتزيد الدخـل المتأتي عـن الزراعـة عموما ، بالاضافة الى رفـع متوسط الحيازة ، وتقليل الكثافـــة البشرية في المناطق ذات المعدل الكبير في سقوط الامطار وفي المناطق المروية ·مما يمكن من زيادة الفائض الزراعـي ويحسن مستوى معيشة الفلاحين ·

لكن هذا لم يتحقق فالسلطات الكولونيالية البريطانية لم تكن معنيـة لا بتطوير الانتاجية ولا باستغـلال الاراضي الزراعـية ، وبالتالي لم تكن لديها اية حوافز اقتصادية لاصلاح نظام الزراعـة والاستثمار الزراعـي · بل اكثر من ذلك ابدت السلطات الكولونيالية حرصها عـلى ابقاء الانماط التقليديـــة في الزراعـــة باعتمادها الغالب عـلى زراعـة محاصيل الحبوب · فهي كانت بحاجة الـى الحبوب من الاردن وفق تقسيم العـمل بين الاردن وفلسطين · ويبـــدو ان الكولونيالية البريطانية كانت ترى ان من شأن استخـدام الري ومصادر الميـــاه المساعدة على تغييـــر بنى الانتـاج الزراعـــي ، ويضعف زراعـــة الحبـوب لصالح محاصيل اخرى · كما ستترتب عليه نتائج اجتمـاعية واقتصاديـة غيـر محبذة ·

ان السلطات الكولونيالية لم تقم باي اجراء من شأنه انهاء استئثار واحتكار قلة محدودة من كبار الملاكين الزراعيين ، وخاصة فـــي الاغـــوار لمصـــادر الري · وقد ظل شرقي الاردن البلد الوحيد في الشرق الاوسط الذي لم تسيطر الحكومة عـلى مصادر المياه فيه · وقد تذرعـت السلطات الكولونيالية في تبرير

---

(٣٨) يشير ولبول الى النزاعات الدائمة على حدود القرى التي ابتدأت مع توسع الزراعة التي قاربت بين حدود القرى وتسببت بمقتل الكثيرين في هذه الخلافات · راجع :
G. F. Walpole, Land problems in Transjordan Royal Central Asian Society Journal, Vol. 35. Jan. 1948 .P. 53.

كما ان الفريق الذي قام بتحديد الحدود بين القرى ابان مسحها تعرض الى اطلاق النار عليه ، كما يشير اينويدس ( مصدر سابق ) · وقد قتل رئيس الفريق ومساحين منمساعديه· راجع مسح وادي الاردن ، القسم الخاص بالمسح التاريخي ، ( دائرة الاحصاءات العامة ، عمان ) ( بالانجليزية ) ، ص ١٣٦ ·

هذا الوضع بان كبار الملاكين من الاقطاعيين والعشائريين كانوا يشكلون قوة كبيرة في المجالس التشريعية الاردنية ، وانهم قاوموا اقرار الاصلاحات الحكومية التي حاولت تنظيم توزيع المياه على الاراضي الزراعية (٣٩) ٠

## ب ـ الحيازة الزراعية وملكية الاراضي

بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٣ قامت الادارة الكولونيالية بمسح الاراضي الزراعية وتحديد الملكيات الزراعية واراضي الدولة (٤٠) ٠ ضمن هذه العملية جرى تحديد الاراضي العائدة للدولة ، وتقسيم الاراضي المشاع وفرز الملكيات الخاصة ٠ وقد تم توجيهَ ضربة قاسمة لنظام الملكية المشاعية ،وحددت اسس الملكية الزراعية واسس تقدير الضريبة الزراعية ٠ وقد انفق على هذا المسح وعلى عملية تقسيم الاراضي بواسطة مكتب تطوير المستعمرات البريطاني (٤١) ٠

وفقا لارقام هذا المسح كانت اراضي الدولة توازي ٠٠٠ر٧٨٦ر١ دونم (٤٢)، لكن الدولة كانت قد « باعت » اراض اخرى قبل ذلك الى المزارعين بهدف « تشجيع الزراعة وتسهيل الاعمار » وقد بلغت ٢٤٣ الف دونم ٠ وقد لاحظ بضعة مراقبين في فترات مختلفة ان نقل ملكية هذه الاراضي من الدولة الى الافراد لم يكن يستهدف تشجيع الزراعة او توطين البدو وتشجيعهم على الاستقرار ، بقدر ما كانت وسيلة لربط زعماء وشيوخ القبائل والعشائر بالدولة والسلطات الكولونيالية ، فمثلا منح زعماء العدوان ارضا في وادي الاردن توازي ١٠٨ الاف دونم ، دفعوا مقابلها كرسوم تسجيل ما لا يزيد عن ٧٧٦ر٢ جنيه فلسطيني عام ١٩٣١ (٤٣) ٠ وتبدو هذه بمثابة رشوة اكثر مما هي « هبة » ذات دافع اعماري ٠ كذلك الحال مع منح اراضي الدولة لقبيلة الغزاوية في الاغوار ، التي انتقدت حتى من قبل بعض رجال السلطة الكولونيالية ، من وجهة نظر تقول انها كانت اكبر من طاقة القبيلة على استثمارها ( ٤٤ ) ٠

---

(٣٩) راجع : ز٠ ي٠ هرشلاغ : «مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط»، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ٠
كذلك راجع ولبول ، المصدر الانف الذكر ، ص ٦٢ ٠

(٤٠) راجع ولبول ، المصدر نفسه ٠ ص ٥٤ ـ ٥٦ ٠

(٤١) راجع ولبول ، المصدر نفسه ٠ ص ٥٦ ٠ وقد بلغت قيمة تمويل عملية مسح وتقسيم الاراضي ما بين ٣٠ الف و ٥٠ الف جنيه فلسطيني سنويا ٠

(٤٢) راجع كونيكوف ، مصدر سابق ، ص ٣٤ ٠ راجع ايضا
Annual Report, 1936, P. 329.

(٤٣) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ ، ٣٥ ٠

(٤٤) ولبول ، المصدر السابق ، ص ٦١ ٠

الى جانب اراضي الدولة ، كانت الاراضي المفروزة والمقسمة بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٣ قد بلغت ٣٫٨٤٦٫٦٢٣ دونم شملت ٢٣٣ قرية باتت حدودها مستقرة في هذه الفترة (٤٥) ٠

اما حجم متوسط الحيازة الزراعية في البلاد ، فقد اشارت دراسة على عينة من ٢٠ قرية ( لعام ١٩٣٦ ) ان متوسط الحيازة الزراعية الواحدة في المناطق المرتفعة توازي ٤٠ دونما ، ويوازي هذا المتوسط في المناطق المنخفضة ٦٠ دونما ، فيما كان في المناطق المحاذية للصحراء ١١٠ دونمات للحيازة الواحدة (٤٦) ٠

لقد قدر مسجل الاراضي في البلاد ، انه يوجد كمتوسط مالكين اثنين للارض في العائلة الواحدة ، ووفقا لهذا التقدير يكون متوسط حجم الحيازة للعائلة الواحدة : ٨٠ دونما في المرتفعات و١٢٠ دونما في الاراضي المنخفضة ، و٢٢٠ دونما في الاراضي المحاذية للصحراء (٤٧) ٠

واذا اخذنا هذه التقديرات بثقة ، فان هذه الارقام هي دون تقديرات حكومة فلسطين لمساحة الارض الكافية لاعالة المزارع وعائلته ٠ اي ان متوسط الحيازة هو دون مستوى المعيشة العادي ٠

اما تقديرات نهاية عام ١٩٤١ ، فقد اظهرت اتجاها نحو تدني متوسط حجم الحيازة فقد وجد انها توازي ٥٤ دونما للعائلة ، اما في القرى الشرقية فقد كان متوسط الحيازة يوازي ١٠٨ دونمات (٤٩) ، حيث نسبة هطول الامطار ضعيفة وحيث التربة اقل خصوبة ومواتاة للزراعة ٠

كانت حيازة الاراضي ( كما يلاحظ هيرشلاغ ) متأزمة في شرقي الاردن ، « وعلى وجه خاص في المنطقة الجبلية في الجزء الشمالي من البلاد ، كما يشهد بذلك العدد الكبير من الحيازات الصغيرة ، والضياع الكبيرة التي تملكها قلة » (٥٠) ٠

وتظهر ضرائب الارض بشكل غير مباشر هذا التفاوت الواسع بين الملاكين الصغار والكبار ، فمن مجموع الملاكين الزراعيين ( وعددهم ٤١٫٧٣٩ مالك ) كان ٧١ ٪ منهم يدفع ضريبة تقل عن جنيه فلسطيني ، فيما ٢٥ ٪ يدفعون ضريبة

---

(٤٥) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ ( جدول ) ٠
(٤٦) كونيكوف ، المصدر المذكور انفا ص ٣٨ عن Annual Report 1936, P:326.
(٤٧) تقدير كيركبرايد المعتمد البريطاني ، ردده كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٣٨ ٠
(٤٨) راجع ولبول ٠ المصدر نفسه ، ص ٦٢ـ٦٣ ٠
(٤٩) تقدير ولبول ( في غير المصدر السابق ) ردده كونيكوف ، المصدر نفسه ص ٣٨ ٠
(٥٠) راجع هرشلاغ ، مصدر مذكور انفا ص ٣٣٢ ـ٣٣٣ ٠

تتراوح بين جنيه واربعة جنيهات ، في حين ان ٤ ٪ من المالكين يدفعون اربعة جنيهات فاكثر (٥١) · ومن عدد المالكين للارض يظهر ان هناك اعدادا كبيرة من الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون اي قطعة ارض ·

## هـ ـ المحاصيل والانتاجية الزراعية ·

### ١ ـ زراعة الحبوب

كانت زراعة الحبوب تمثل المساحة الغالبة من الاراضي المزروعة في البلاد ، وتمثل محاصيل الحبوب المكانة الاولى ، من حيث حصتها الى مجموع انتاج المحاصيل الزراعية الاخرى · وكما كان هذا الوضع قائما في العشرينات، فانه ظل كذلك في سنوات الثلاثينات والاربعينات · وقد زادت المساحة المزروعة بالحبوب ، كما ازداد الانتاج من الحبوب خلال سنوات الحرب بقوة مع ان هذه الانتاجية اتسمت بالتذبذب بسبب استمرار اعتماد غالبية الاراضي على الامطار ·

وساهمت في ترسيخ مكانة زراعة الحبوب هذه ، عمليات انتقال انصاف البدو الى فلاحين قبليين ، ثم الى مستقرين ، وانتقال البدو الى انصاف مترحلين خلال العقود التي تلت الحرب الاولى · كما اسهم في ذلك تشجيع بريطانيه لزراعة الحبوب في البلاد ، وذلك من اجل تموين قواتها والمناطق التي تديرها بالحبوب ، وهي العملية التي اصطلحنا على تسميتها كنوع من « تقسيم العمل » بين الاردن وفلسطين ، ان الجدول التالي «٢» يظهر تطور انتاجية ابرز محاصيل الحبوب في البلاد منذ عام ١٩٢٧ وحتى عام ١٩٤٣ ·

جدول رقم «٢»

انتاج محاصيل الحبوب بالاطنان ( ١٩٢٧/١٩٤٤ ) (٥٢)

| السنة | القمح | شعير | الدخن | اخرى |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٢٧ | ٣٥ر٠٠٠ | ١٢ر٠٠٠ | ٣ر٢٠٠ | ٠٠٠ |
| ١٩٣٢ | ٤١ر٧٠٠ | ١٠ر٠٠٠ | ٥ر٠٠٠ | ٠٠٠ |
| ١٩٣٧ | ١١٣ر٠٠٠ | ٥٣ر٠٠٠ | ١١ر٠٠٠ | ٣٠٠ |
| ١٩٣٨ | ٨٥ر٠٠٠ | ٤٥ر٠٠٠ | ٩ر٠٠٠ | ٣٢٠ |
| ١٩٣٩ | ١٦٨ر٤٠٠ | ٩٨ر٠٠٠ | ٣ر٩٠٠ | ٤٤٠ |
| ١٩٤٠ | ١٧١ر٠٠٠ | ٥٨ر٠٠٠ | ٤ر٧٥٠ | ٣٢٠ |
| ١٩٤١ | ٧١ر٠٠٠ | ٣١ر٠٠٠ | ١ر٦٠٠ | ١١٠ |
| ١٩٤٢ | ١١٣ر٠٠٠ | ٥١ر٠٠٠ | ٥ر٣٠٠ | ٣٠٠ |
| ١٩٤٣ | ١٠٠ر٠٠٠ | ٥٥ر٠٠٠ | ٦ر١٠٠ | ١ر٢٥٠ |

(٥١) راجع كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٩٠ ( عن ولبول مدير الاراضي والمساحة في شرقي الاردن ) ·

(٥٢) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ( جدول رقم ٦ )

كانت زراعة المحاصيل الرئيسية من الحبوب تغطي ، عام ١٩٤٤ ، ما مساحته مليوني دونم من الاراضي المزروعة في البلاد ، منها ١ر٤ مليون دونم مزروعة قمحا ، ونصف مليون مزروعة شعيرا ، و٩٥ الف دونم بالدخن و٥٠٠ر٢ دونم بالذرة (٥٣) · وفي السنوات التالية ارتفعت المساحة المزروعة بالقمح الى ٠٠٠ر٩٣٠ر١ دونم لعامي ٤٥ و ١٩٤٦ · ثم هبطت الى نحو مليون ونصف عام ١٩٤٧ والى ٠٠٠ر١٩٠ر١ عام ١٩٤٨ ·

اما مساحة الاراضي المزروعة بالشعير فقد ازدادت الى ٦٥٠ الف دونم عامي ٤٥ و١٩٤٦ ثم عادت الى الانخفاض الى اقل من نصف مليون دونم عام ١٩٤٧ ثم الى ٣٥٩ الف دونم عام ١٩٤٨ · وانخفضت مساحة الاراضي المزروعة بالدخن الى ٥٥ الف دونم عام ١٩٤٥ ثم الى ٥٠ الف عام ١٩٤٦ والى ٢٦ الف دونم عام ١٩٤٧ ، ثم عادت الى الارتفاع بقوة عام ١٩٤٨ الى ١٠٠ الف دونم · ( راجع الجدول رقم «٣» ) ·

كانت زراعة الحبوب تحقق فائضا بارزا عن حاجة السكان ، وكان الفائض يصدر الى الخارج ولا سيما الى فلسطين · وكانت صادرات الحبوب تتذبذب من سنة الى اخرى تبعا لتذبذب الانتاج (٥٤) ·

**جدول رقم «٣»**

المساحات المزروعة بالحبوب والبقول ( ١٩٤٥ / ١٩٤٨ ) بالدونمات (٥٥)

| المحصول | ١٩٤٥ | ١٩٤٦ | ١٩٤٧ | ١٩٤٨ |
|---|---|---|---|---|
| القمح | ٠٠٠ر٩٣٠ر١ | ٠٠٠ر٩٣٠ر١ | ٠٠٠ر٥٣٥ر١ | ٠٠٠ر١٩٠ر١ |
| الشعير | ٠٠٠ر٦٥٠ | ٠٠٠ر٦٥٠ | ٠٠٠ر٤٩٨ | ٠٠٠ر٣٥٩ |
| الدخن | ٠٠٠ر٥٥ | ٠٠٠ر٥٠ | ٠٠٠ر٢٦ | ٠٠٠ر١٠٠ |
| العدس | ٠٠٠ر٢٢٤ | ٠٠٠ر٢٤٠ | ٠٠٠ر١٥٤ | ٠٠٠ر٧٣ |
| الكرسنة | ٠٠٠ر١٦٠ | ٠٠٠ر١٦٠ | ٠٠٠ر١٢٥ | ٠٠٠ر٨٦ |
| فول | ٠٠٠ر٧ | ٠٠٠ر٧ | ٠٠٠ر١٤ | ٠٠٠ر٨ |
| حمص | ٠٠٠ر٧٥ | ٠٠٠ر٧٠ | ٠٠٠ر١٥ | ٨ر٢٦٠ |
| مجموع مساحة الحبوب والبقول | ٠٠٠ر١٠١ر٣ | ٠٠٠ر١٠٧ر٣ | ٠٠٠ر٣٣٩ر٢ | ٢٦٠ر٨٢٤ر١ |

(٥٣) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ ·

(٥٤) انظر القسم الخاص بالتجارة الخارجية وبصادرات الاردن في فصل لاحق من هذه الدراسة ،

(٥٥) راجع : Commercial Conditions in Transjordan, 1948 , P. 40 .

## ٢ ـ زراعـة البقول

احتلت زراعـة البقول المكانة الثانية بعد زراعـة الحبوب ، ان من حيـث مساحة الارض المزروعة او من حيث الانتاج بالاطنان · وكان العدس والكرسنة يحتلان مكانة بارزة ضمن البقول ، ويأتيان مباشرة بعد القمح والشعير · كانت مساحة الاراضي المزروعـة بالعدس في سنوات ٤٥ / ١٩٤٨ بالترتيب ٠٠٠ر٢٢٤ و٠٠٠ر٢٢٤ ، ٠٠٠ر١٥٤ ، ٠٠٠ر٧٣ دونما · اما الكرسنة فكانت تزرع فـي ١٦٠ الف دونم لعـامي ٤٥ و١٩٤٦ و١٢٥ الف دونم لعـام ١٩٤٧ ثم فـي ٨٦ الف دونم لعـام ١٩٤٨ (٥٦) · وكما يلاحظ فأن المساحة الخاصة بالمحصوليـن كانت تتجه نحـو الانخفاض سنة بعـد اخـرى ( انظر الجدول السابق ) ·

يأتي الحمص والفول في مرتبة تالية ثم الفاصوليا والبازيلا ، وكانت هـذه في نهاية العشرينات تحتل مكانة متدنية من حيث المساحة المزروعة ومن حيث كميـة الانتاج ·ثم صعدت على الحرب الثانية واتجهت في النصف الثاني من الاربعينات الى الانخفاض · يبين الجدول ( رقم «٤» ) انتاج البقول بالاطنان خلال سنـوات ٢٧ / ١٩٤٣ :

### جدول رقم «٤»

انتاج البقول بالاطنان للسنوات ١٩٢٧ / ١٩٤٣ (٥٧)

| السنة | فاصوليا وبازيلا | عدس | كرسنة | بقول اخرى |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٢٧ | ٠٠٠ | ٣ر٥٠٠ | ٢ر٠٠٠ | ٠٠٠ |
| ١٩٣٢ | ٠٠٠ | ٢ر٤٠٠ | ١ر٩٥٠ | ٠٠٠ |
| ١٩٣٧ | ٢ر١٠٠ | ٥ر٠٠٠ | ٧ر٠٠٠ | ١ر٣٠٠ |
| ١٩٣٨ | ١ر٩٠٠ | ٤ر٦٠٠ | ٧ر٥٠٠ | ١ر٠٠٠ |
| ١٩٣٩ | ١ر٥٠٠ | ٩ر٨٠٠ | ١٤ر٨٠٠ | ٣ر٣٠٠ |
| ١٩٤٠ | ٢ر٣٠٠ | ١٣ر٤٠٠ | ١٢ر١٠٠ | ٢ر٢٥٠ |
| ١٩٤١ | ٧٠٠ | ٥ر٨٠٠ | ٤ر٣٥٠ | ١ر٠٠٠ |
| ١٩٤٢ | ١ر٤٠٠ | ٦ر٤٠٠ | ٦ر٢٠٠ | ١ر٩٠٠ |
| ١٩٤٣ | ٢ر٢٥٠ | ١٠ر١٠٠ | ٩ر٣٠٠ | ١ر٣٠٠ |

كانت البلاد تصدر كمية صغـيرة من العـدس والكرسنة · وكانت توازي فـي الاعـوام ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٩٤٣ الكميات التالية بالاطنان : ٠٨٧ر٣ ، ٦ر٤٦٦، ٥ر٢٢٨ ، ٠٧٢ر٠٣ وكان السوق الرئيسي لها ـ كما لباقي المنتجات الزراعيـة المصدرة ـ في فلسطين (٥٨) ·

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٤٠ ·
(٥٧) راجع كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨ ، الجدول رقم ٨ ·
(٥٨) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ١١٢ ، انظر جدول الصادرات ·

### ٣ ـ زراعة الخضار

نمت زراعة الخضار ببطء · وانحصرت في المناطق المرويـــة والمناطق ذات الامطار الكثيفة نسبيا · ولم تشهد الاتساع الذي شهدته زراعة الحبوب والبقول، اذ ان غياب مشاريع الري ، التي يفترض ان تقوم بها الدولة وتنظمها ، وكذلك انخفاض مستوى التقنية الزراعية لدى معظم الفلاحين ، قد حالا دون زيـــادة مساحة الخضروات بشكل ملحوظ ، وكذلك حالا دون زيادة الانتاج منها ·

كانت الاغوار وعجلون هي مناطق زراعة الخضروات الرئيسية ، وكانـــت ابرز المحاصيل في هذه المناطق الملفوف ، الباذنجان ، البندورة والخيار · وبيـن عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٣ ازدادت مساحة الاراضي المزروعة بالخضروات مـــن ٢٠٠ر٤٠ دونم الى ٧٠٠ر٥٩ دونم ، مع شيء من التأرجح صعودا وهبوطـــا خلال الفترة نفسها · ( انظر الجدول التالي «٥» ) · لقـــد كانت علـــى رأس الزراعات من الخضروات ، زراعة البطيخ والبندورة التي حظيت بالمساحـــة الاكبر ، ثم البصل والثوم فالباذنجان والخضروات الاخرى ·

ادى ارتفاع كمية الانتاج من الخضروات الى تأمين الحاجات المحلية نسبيا ، والى تصدير كميات ضئيلة من الفائض الى فلسطين ، اما قبل الثلاثينات فقد كانت البلاد تستورد الخضار من سورية (٥٩) ·

جـــدول رقم « ٥ »

مساحة الاراضي المزروعة بالخضروات بالدونمات ( ١٩٣٧ ـ ١٩٤٣ ) (٦٠)

| | ١٩٣٧ | ١٩٣٨ | ١٩٣٩ | ١٩٤١ | ١٩٤٢ | ١٩٤٣ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ملفوف | ٩٠٠ | ٩٠٠ | ١ر٠٠٠ | ٨٥٠ | ١ر٠٥٠ | ١ر٨٠٠ |
| باذنجان | ٢ر٩٠٠ | ٤ر٠٠٠ | ٣ر٩٠٠ | ٥ر٦٠٠ | ٧ر٥٠٠ | ٧ر٣٥٠ |
| بصل وثوم | ٥ر٣٠٠ | ٦ر٠٠٠ | ٦ر٧٠٠ | ٤ر٣٠٠ | ٤ر١٠٠ | ٦ر٧٥٠ |
| بطيخ | ١٣ر٣٠٠ | ١٦ر٨٠٠ | ١٣ر٠٠٠ | ٧ر٧٠٠ | ١٥ر٤٠٠ | ٢١ر٠٠٠ |
| بندورة | ١٢ر٨٠٠ | ١٣ر٠٠٠ | ١٣ر٠٠٠ | ٩ر٨٥٠ | ١٣ر٧٠٠ | ١٥ر٣٠٠ |
| خضروات اخرى | ٥ر٥٠٠ | ٥ر٧٠٠ | ٦ر٦٠٠ | ٣ر٨٠٠ | ٦ر٢٠٠ | ٧ر٥٠٠ |
| المجموع | ٤٠ر٢٠٠ | ٤٦ر٤٠٠ | ٤٤ر٢٠٠ | ٣٢ر١٠٠ | ٤٧ر٩٥٠ | ٥٩ر٧٠٠ |

### ٤ ـ زراعـة الفواكه والثمار

احتلت زراعة الفواكه والثمار مكانة بارزة ، من حيث الانتاج ومن حيث المساحة المزروعة ، وتأتي بعد زراعة الحبوب والبقول · لقد غطت زراعة الكروم بيـــن ٨٠ و ٩٠ الف دونم ، وهي زراعة اساسية لسكان المرتفعـــات والتلال · · ـ غالبية انتاج الكروم تأتي من مناطق جبال عجلون والسلط · ويذهب ١٥٪ ـ ـ الانتاج المحلي من العنب الى انتاج النبيذ ، ويستهلك الباقي او ـ ـ يصـــدر

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٤٣ و ١١٢ ·

(٦٠) كونيكوف ، ص ٤٤ · في عام ١٩٣٣ ، كانت الاراضي المزروعـــة بالخضروات لا تتجاوز ١٣ر٠٠٠ دونم مروية ، و ١٠ر٠٠٠ دونم غير مروية ، اي نحو نصف الاراضـــي المزروعة بالخضروات عام ١٩٤٢ ·

قسم منه الى الخارج · وفي عام ١٩٤٣ وصل انتاج الكروم الى ٢٣ر٩٠٠ طن من العنب و ١ر٨٠٠ طن من الزبيب ، ومن الاخير صدر ٥٠٠ طن (٦١) ·

اما اشجار الزيتون فان بعض التقديرات تذهب الى ان عددها يوازي نصف مليون شجرة ، وهي تغطي المرتفعات الشمالية وتنتشر في مناطق اخرى في البلاد· وتغل اشجار الزيتون في السنة الجيدة ما يزيد على ١٠ الاف طن ويذهب ٩٠٪ من المحصول الى المعصر ، فيما يستهلك الباقي كثمار للاكل · كان انتاج الزيتون لعام ١٩٤٣ يوازي ١٢ر٢٠٠ طن ، اما انتاج زيت الزيتون لنفس العام فهو ١ر٦٠٠ طن · يظهر الجدول رقم «٦» حجم انتاج الزيتون والكرمة بين عامي ٣٧ و ١٩٤٣ ·

الى جانب هذه ، كانت اشجار الفواكه مثل الرمان والمشمش واللوز والسفرجل ذات اهمية ضئيلة من حيث المساحة ومن حيث الانتاج · وبدأت في فترة متأخرة زراعة الموز والحمضيات في وادي الاردن ، وكان الانتاج دون الطلب المحلي · ان بعض الكميات من الفواكه قد وجدت لها سوقا في فلسطين ووفقا لارقام ١٩٤٣ صدر شرقي الاردن الى السوق الفلسطيني ٥٠٠ طن من الزبيب ، ٢ر٤٢٠ طن من العنب ، ١ر٨٥٠ طنا من فواكه اخرى بينها الموز والليمون والرمان ( ٦٢) ·

جـدول رقم « ٦ »

انتاج الكرمة والزبيب ، والزيتون وزيت الزيتون بالاطنان في الاعوام ١٩٣٧ – ١٩٤٣ ( ٦٣) ·

| السنة | العنب | الزبيب | الزيتون | زيت الزيتون |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٣٧ | ٢٢ر٥٠٠ | ١ر٠٠٠ | ١٠ر٥٠٠ | ١ر٢٠٠ |
| ١٩٣٨ | ٢٠ر٥٠٠ | ١ر٠٠٠ | ١٠ر٠٠٠ | ١ر١٥٠ |
| ١٩٣٩ | ١٩ر٢٠٠ | ١ر٢٠٠ | ٢ر١٥٠ | ٢٠٠ |
| ١٩٤٠ | ٢٦ر٥٠٠ | ١ر٢٥٠ | ١٠ر٤٠٠ | ١ر٢٠٠ |
| ١٩٤١ | ١٥ر٢٠٠ | ٧٥٠ | ١ر٥٠٠ | ١٠٠ |
| ١٩٤٢ | ٢٤ر٧٠٠ | ٢ر٠٠٠ | ١٠ر٦٠٠ | ١ر٢٥٠ |
| ١٩٤٣ | ٢٣ر٩٠٠ | ١ر٨٠٠ | ١٤ر٢٠٠ | ١ر٦٠٠ |

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ·
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ ·
(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ·

## ٥ ـ الزراعات الصناعية

عرفت البلاد منذ فترة مبكرة زراعةانواع من التبغ (٦٤) ومنذ عام ١٩٢٦ كانت زراعة التبغ التركي والتنمباك من ابرز المحاصيل الزراعية الصناعية · ان ارقام الانتاج المبكرة تشير الى ان زراعة التبغ غطت ١١٨ طنا عام ١٩٢٩ · الا ان هذه الزراعة واجهت تقلصا في الانتاج في السنوات ٣٠ ـ١٩٣٦ واصبحت تدور حول متوسط قدره ١٢ طنا · ثم عادت الى انتعاشها بعد ذلك ولكن لم تصل الى ارقام عام ١٩٢٩ الا في سنوات متأخرة جدا وبشكل متذبذب · لقد استقرت على انتاجية تراوحت بين ٧٠ و ١٠٠ طن من التبغ التركي ، وكانت ابرز مناطق زراعته في السلط وعمان (٦٥) ·

ومن حيث المساحة، غطت زراعة التبغ ١٫٦٥٨ دونما عام ١٩٣٧ ، ثم انخفضت الى اقل من الف دونم عامي ٣٨ و ١٩٣٩ ثم ارتفعت الى ٣٫٢٤٢ دونما عام١٩٤٠ وظلت بين صعود وهبوط في السنوات التالية فان مساحة زراعة التبغ في الاعوام ٤٥ ـ ١٩٤٨ كانت توازي بالترتيب ٣١١٠ ، ٦٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٣٨٥ دونما (٦٦) ·

وقد عكس هذا التذبذب في المساحة نفسه على الانتاجية ، فكانت توازي في نفس الفترة وبالترتيب : ١٢٩٫٨٠٠ ، ٣١٫٠٠٠ ، ١٢٫٧٧٣ ، ١٢٠٫٠٠٠ كيلو غراما (٦٧) · ويبدو ان هذا التأرجح في مساحة الزراعة والانتاجية يعود الى ان مصنعي التبغ في البلاد كانا يتحكمان في تحديد هذه الانتاجية ، وكانا يستوردان كميات من التبغ الاجنبي للمزج ، وعلى وجه العموم كانت مستوردات التبغ الاجنبي الجاهز للاستهلاك تشكل منافسة متزايدة تحد من فرص تغطية الطلب الداخلي من التبغ المحلي ·

اما زراعة التنمباك فقد غطت مساحات قليلة متفرقة في وادي الاردن وفي البلقاء حول مادبا وتوازي ما بين سبعة الاف وثمانية الاف دونم ، وفي مناطق اخرى من عجلون والكرك ، وكانت تغل بضعة الاف من الاطنان تسهتلك ضمن السوق المحلي ·

والى جانب التبغ والتنمباك كانت هناك زراعات صناعية اخرى مثل السمسم الذي زرع على نطاق ضيق ، وعباد الشمس الذي كان ينتج منه قبل الحرب

---

(٦٤) تحدث بيركهارت عن مشاهدته زراعة انواع من التبغ في مناطق من الاردن ، حين مر بهـا في مطلع القرن التاسع عشر ( ١٨١٢ ) في كتاب « رحلات الى سورية والبلاد المقدسة » المذكور انفا ·

(٦٥) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٤٥ـ٤٦ ·

(٦٦) Commercial Conditions. op. cit.

(٦٧) المصدر نفسه ·

الثانية كميات بين ٥٠ و ١٠٠ طن كانت تصدر الى ايطاليا عبر فلسطين (٦٨) ٠

**د ـ الانتاج الحيواني :**

مثل الانتاج الحيواني نشاطا مشتركا للاقتصادين الرعـــوي والفلاحـي ، والمعطيات الاحصائية المتوفرة قلما تعطينا فرصة التمييز بيـن حصص هذيـــن الاقتصادين من الثروة الحيوانية ٠ ويمكن القول ان البلاد ظلت تتمتع بانتـــاج حيواني يفوق الحاجات المحلية ٠ وكانت صادرات الحيوانات الحية تشكل حصة هامة من الصادرات العامة للبلاد ٠

وفيما يتعلق بالحيوانات المرتبطة بالاقتصاد الزراعي ، فقد حافظت البلاد على ثبات نسبي في عددها ، وينطبق هذا على الحيوانات المعدة لغايات تربية اللحـوم وانتاج الحليب ومشتقاته ، او الحيوانات لغايات العمل ٠ فقد تراوح عدد الابقار بين ٥٠ و ٧٠ الف رأس بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٣ ، اما حيوانات العمل فقـــد تراوح عدد الحمير بين ٥٠٠ر٢٤ و ٣٠ الف لنفس الفترة ٠ كما تراوح عدد البغال بين ٢٠٠ر١ و ٨٠٠ر١ بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٤٣ ، وكان عدد الخيل بين ١٠٠ر٤ و ٢٠٠ر٨ في نفس الفترة ايضا (٦٩) ٠

اما الحيوانات الاخرى مثل الجمال والاغنام والماعز فقد تناولنا تطور انتاجهـا اثناء معالجتنا لوضع الاقتصاد الرعوي ٠

**هـ ـ ملاحظات واستخلاصات في المسألة الزراعية ٠**

بدأت منذ ٢٩ ـ ١٩٣٣ مرحلة تصفية الملكية المشاعية والنظام الاجتماعـي ـ الاقتصادي المشاعي في البلاد٠ كانت السلطة الكولونيالية تستهدف تصفية الاساس المادي للولاء المحلي ـ العشائري ـ شبه الاقطاعي ـ في البلاد ، وترسيخ سيطرة الادارة المركزية ، وهكذا ادت هذه الخطوة سياسيا ، الى اعادة توزيع الولاء بين الدولة والزعامة المحلية ، عبر ترسيخ نمط الملكية الخاصة للارض المعتمدة على الفلاح المستقل الحائز الذي له صلة مباشرة بالدولة عبر الضريبة ، وله صلـــة مباشرة بالسوق عن طريق الانتاج له ، وكما هو متوقـــع فان بقايا النظـــام الاجتماعي القديم ظلت حية لفترة طويلة ، الا ان السيطرة المركزية قامت ، بعد ان نجحت في تصفية اشكال المعارضة للزعامة المحلية ـ شبه الاقطاعية العشائرية ، وعبر تقسيم الارض وفرزها ٠ وكان الفرز الاجتماعي في الريف يأخذ في الترسخ ، فقد ازدادت الهوة بين المساحات الكبيرة للشيوخ ـ الملاكين الزراعيين الكبار وبين المساحات المفتتة التي تملكها اعداد كبيرة من الفلاحين ٠

---

(٦٨) كونيكوف ، المصدر نفسه ، ص ٤٦ ٠

(٦٩) المصدر نفسه ، جدول الانتاج الحيواني ( للسنوات ٢٧ ـ ١٩٤١ ) ، ص ٤٦ ٠

نمت طبقة الملاكين الزراعيين من الشيوخ العشائريين الذيـــن تمتعوا مبكـرا داخل النظام المشاعي بملكيات زراعية كبيرة ، ومع تقسيم الارض ( ٢٩ـ١٩٣٣) واقطاع الدولة لكبار الشيوخ اراض جديدة ، توطدت سيطرة الشيوخ القدامـى في الريف على اساس الملكية الخاصة وبصورة شبه اقطاعية ٠ وكما سبق ان اشرنا فقد منحت الدولة شيوخ العدوان ١٠٨ر٠٠٠ دونم في غور الاردن عـام ١٩٣١ ، مقابل مبلغ تافه ، وتركت مساحة واسعة في وادي الاردن ( المملوك للدولة ) كما تركت شيوخ بني صخر حائزين على اراضي الدولة التي كانت تملكها سابقا الدولة العثمانيـــة ٠

ونعيد ما قاله هرشلاغ عن مشكلة الملكية الزراعية في شرقي الاردن بين فترتـي الحربين العالميتين « كانت حيازة الارض متأزمة ، وبوجه خاص في المنطقة الجبلية في الجزء الشمالي للبلاد ، كما يشهد على ذلك العدد الكبير من الحيازات الصغيرة، والضياع الكبيرة التي للقلة ٠٠» (٧٠) ٠

ان تفتت الارض وتوزعها بين جمهرة واسعة من الفلاحين الصغار ، واعـــادة اقتسامها بالوراثة ، وتخلف وسائل الانتاج والاعباء الضريبية وغيرها قد عكست نفسها على الانتاجية واورد هرشلاغ مثالا على ذلك فقال : كان على الفـلاح ان يبذر ٨٤٠ كيلو غراما من القمح ليحصد ٢١٠٠ كيلو غرام ، كان عليه ان يدفـــع منها ٣٧١ كيلو غراما على النحو التالي : ٥ر٢١٪ لايجار الارض ، ٥ر١٦٪ كعلف للماشية ، ٤ر١٦٪ للحراث والحصاد، ١ر٨٪ كضريبة والباقي اي ٨ر٣٧٪ كنفقات متفرقة ، (٧١) ، ويمكن ان نستخلص استطرادا ، ان الحصة الصافية من الانتاج بعد خصم البذار والنفقات ، لا تزيد عن ٩٨٩ كيلو غراما فقط ، اي ٠٩ر٤٧٪ من مجموع المحصول الناتج !

ادت مشكلة الملكية الزراعية ، وضيق الاراضي المستثمرة في الزراعة والتي لم تتجاوز ١ر٥١٪ من مساحة البلاد ، الى تنامي التفاوت في حجم الحيازات ، وقاد الى هجرة اعداد هامة من الفلاحين الصغار والمزارعين المعدمين للريف والانتـاج الزراعي نحو المدن ، التي شهدت نموا واسعا في مدى زمني قصيـــر او للعمل في الجيش ، وفي مرافق الدولة ، كما ادى الى الهجرة نحو خارج البلاد وبخاصة الى فلسطين ٠

كانت افضل الاراضي ومصادر الري بيد حفنة من الملاكين الزراعيين شبـــه الاقطاعيين ٠ فيما باقي الاراضي غير كافية لاعالة الحائزين الصغار وعائلاتهم ، ودفعت هؤلاء الى الاعتماد على نظام انتاج نصف اقطاعي كالمحاصصة ٠ وقد حال نظام الانتاج الذي يسيطر عليه كبار الملاكين وشيوخ العشائر شبه الاقطاعيين دون

---

(٧٠) راجع هرشلاغ ، المصدر الانف الذكر ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ٠
(٧١) المصدر نفسه ، الصفحات نفسها ٠

تنظيم وتوزيع المياه وحالوا دون اصلاح الدولة لتوزيع الثروة المائية او السيطرة عليها ، ويقول هرشلاغ « ان النفوذ الذي كان لكبار الملاك على الحكومة مكنهم من ان يعطلوا حتى عام ١٩٣٨ اصدار قانون تسوية المياه الذي كان لغيرصالحهم، من حيث انه جعل الحكومة مسؤولة عن توزيع المياه » (٧٢) ٠

اما ولبول الذي كان مدير دائرة الاراضي والمساحة في شرقي الاردن فقد ذكر في مقالة له (٧٣) ، انه حتى سنة ١٩٤٦ ، كانت حكومة الاردن هي الدولة الوحيدة في الشرق الاوسط التي لا تشرف على ادارة توزيع المياه ٠٠ » واضاف : « هنالك قانون للمياه في الاردن وضع عام ١٩٣٨ ، لكن جميع المجالس التشريعية المتتالية رفضته » وذكر ان سيطرة كبار الملاكين الزراعيين شبه الاقطاعيين على توزيع المياه ادت الى الفوضى التي استمرت الى حين نجحت الحكومة في اقناع المجلس التشريعي في اقراره عام ١٩٤٧ ٠ وهكذا فقد حالت سيطرة هؤلاء دون توسيع الرقعة الزراعية المروية والى احتكار مصادر المياه التي تقود الى الحيلولة دون تطوير الانتاجية وتنويعها بسبب الحاجة القصوى للمياه ٠

وهناك جانب اخر من سياسة الدولة ـ السلطات الكولونيالية بصدد التوطين الزراعي للسكان ، اضعفت من فرص نمو الريف والانتاج الزراعي ٠ فقد نظرت السلطات الكولونيالية واجهزة الدولة الى التوطين في الارض ، لا من زاوية تأثيره على التطور الاقتصادي الاجتماعي وانما من زاوية الاستقرار السياسي والامن ٠ ففي عدد من الحالات المذكورة من التوطين ، كان منح الاراضي يأخذ طابع الرشوة او طابع ترغيب هذا الشيخ أو عقاب ذاك ٠ كما هو الحال مع بني صخر مثلا في البداية ثم مع شيوخ العدوان فيما بعد ، وكذلك في منح شيوخ قبيلة الغزاوية اراض تفوق قدرتهم على استثمارها ٠

لقد ظلت الاراضي المزروعة في البلاد حتى فترة متأخرة، تقل عن نصف الاراضي القابلة للزراعة ، كما تقل هذه الاراضي عن الاراضي القابلة للاستصلاح الزراعي، اما الاراضي المروية فقد كانت تشكل حصة تافهة من مجموع الاراضي الزاعية لا تزيد عن ٦ر٥٪ ٠

لم تقدم الدولة اية خدمات فعالة لتطوير اساليب الزراعة ولتنويع محاصيلها، كانت الاساليب المتبعة عند قسم كبير من المزارعين ، لا تختلف عن وسائلهم منذ عشرات القرون، ان اهمال السيطرة الكولونيالية والنظام الاجتماعي ـ الاقتصادي في الريف الذي ظل متأثرا باشكال وعلاقات الانتاج القديمة قد حال دون تطور وسائل الانتاج ودون تطور الانتاجية وتنوعها ٠ وقد شجعت السلطات الكولونيالية البريطانية الابقاء على قسمة العمل مع فلسطين ، التي كانت تعني

---

(٧٢) المصدر نفسه ، الصفحات نفسها ٠
(٧٣) ولبول ، المصدر المذكور انفا ، ص ٦٢ ٠

استمرار زراعات الحبوب مع ما يرتبط بها من نظام انتاج وعلاقات واساليب بدائية ٠

اما من حيث التسهيلات المالية والقروض ، فقد تركت الدولة الفلاحين يواجهون تحديات التحول من الاقتصاد المعيشي الى الاقتصاد البضاعي ، على ارضية غير مواتية ، دون اية مساعدة فعالة ٠ وهكذا لم يعان الريف فقط من حدود التبادل البضاعي غير المتكافئة ، وانما ايضا من كونه ما زال خاضعا لسيطرة الطبيعة واعتماده الغالب على الامطار ٠ وبسبب من تدهور حدود المبادلات ازدادت مصاعب الفلاحين المالية ، وكانت هذه مرتعا خصبا للمرابين والتجار كما ازدادت رهونات الارض ٠ يعلق ولبول في هذا الصدد بقوله : « ان الذين يدينون النقود والتجار ، متحمسون لايجاد منفذ للرأسمال الفائض ، وهناك طريقة بطيئة ، ولكن اكيدة النتائج في نقل ملكية الاراضي الزراعية من الفلاحين المديونين الى التجار والمرابين المدينين ٠٠»

اما نتائج هذه المجابهة غير المتكافئة فيعبر عنها ولبول بالارقام التالية : ارتفعت ديون الفلاحين في بداية الحرب الثانية ( ١٩٣٩ ) من ٠٠٠ر١٩٦ جنيه ، الى ٠٠٠ر٦٨١ جنيه بعد الحرب ( نهاية ١٩٤٦ ) ، (٧٤) اي انها زادت بنسبة ٤ر٣٤٧٪ ٠

ويقول ولبول : « ان المصرف الزراعي العائد الى الحكومة يكاد يكون محدود التأثير جدا في هذا المجال ، حيث رأسماله لا يتعدى ٠٠٠ر١٣٠ جنيه ، وهو لا يكفي لمد الفلاحين خلال الازمات العصيبة ، فالكمية الضرورية لا تقل عن نصف مليون جنيه وخاصة في السنوات القاحلة كعامي ٤٦ـ١٩٤٧ » ٠ (٧٥) ٠

وبصدد وضع الفلاحين بعد الحرب الثانية وتراكم ديونهم يعلق ولبول قائلا : « يبدو واضحا ان الفلاحين بازدياد ديونهم لم يتمكنوا من تسديدها كلها ، وعلى رغم كون المعدل القانوني للفائدة يبلغ ٩٪ ، ولكن عندما تؤخذ الرهونات فان القرض يشمل حسومات ثقيلة تتراوح بين ٣٠٪ و ١٠٠٪ وهكذا فما من فلاح يستطيع تسديد قروضه بوجود هذه الاقتطاعات المتفاقمة ٠٠٠» ويشير ولبول بتشاؤم ان المبالغ التي في حوزة بنك الدولة الزراعي غير كافية لايقاف « موجة انتقال الاراضي من الفلاحين الفقراء الى الاغنياء الذين يدينون المال » (٧٦) ٠

لقد ادى التحويل الكولونيالي لاقتصاد البلاد من اقتصاد معيشي الى اقتصاد نقدي ـ سوقي ، الى استثمار التجارة، ازمة الاقتصاد الريفي والرعوي، وشجعت

---

(٧٤) ولبول ، المصدر نفسه ، ص ٥٩ ٠
(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٥٩ ٠
(٧٦ ) المصدر نفسه ، ص ٥٩ ٠

السيطرة الكولونيالية مع اهمالها قطاعات الانتاج المادية القديمة منها والحديثة، تعويض النقص في الانتاج الغذائي والاستهلاكي المحلي عن طريق الاستيـــراد و « حرية التجارة » ٠

بهذا الصدد يشرح جلوب قائد الجيش الاردني العملية التي كان يتم فيهـا حلول الاستيراد محل الانتاج المحلي مع الانتقال من الاقتصاديات المعيشية الى الاقتصاد النقدي بقوله :

« عن طريق النقد ، تجلب الى البلاد مختلف الضروريات والكماليات غيـر المعروفة من قبل ، وتصبح متوفرة ٠ يلبس السكان ثيابا افضل ، يتعلمون شـرب الشاي ، يشترون الساعات والعطور ، ويسافرون بالعربات الاليـــة بدلا مـــن الجمـال ٠٠ » !! (٧٧) ٠

و « تعني السهولة التي يمكن بموجبها تصدير المنتجات الغذائية ومقايضتهـا ببضائع مصنوعة الى ان احتياطي الحبوب لا يبقى في البلاد ٠ وحتى فـي سنوات المحاصيل الوافرة تباع كل الحبوب ويشتري القرويون الثياب الجديدة والاثـاث الجديد والحاجيات اللازمة او الكمالية ،واذا كانت المحاصيل في العام التاليرديئة فلن يكون هناك احتياطي من الحبوب في القرى للتغلب على صعوبة الوضع ٠٠ » ازاء هذه المشكلة يقدم جلوب حلا عزيزا عليه انه « حرية التجارة » فـ « استيراد الارز الهندي والطحين الاسترالي» يؤمن الحل المطلوب (٧٨) ٠

نلاحظ ، ان الانتقال من الاقتصاد المعيشي المكتفي ذاتيا الى الاقتصاد السوقي، لم يحمل تطورا في الانتاجية لمواجهة نتائج المبادلة ، التي قاسمها المشترك السلع الاستهلاكية والكمالية ، غير المعروفة من قبل ، ولا تنظيما عقلانيا للتجارة مـــع الخارج ، وانما دفع حدود المبادلات مع الخارج المتدهورة الى نهاياتها ، اي الى استيراد الطحين في بلد تغطي زراعة الحبوب ما يقـــارب ٨٠٪ من مساحـــات اراضيـــه الزراعيـــة ٠

بصدد نتائج اتساع حدود المبادلة في الاطار الكولونيالي ، وفي غياب سياســـة تطوير انتاج السلع في البلاد يشكو جلوب باشا من تنكر السكان المحليين لماضيهـم المعيشي ، يقول : « ليس هذا فقط ، بل في السنين الجيدة يكون السكان قد اعتادوا على استعمال الكماليات الاجنبية ، فعندما تأتي السنوات العجاف ، لا يستطيعون شراء هذه الكماليات فيشكون من هذا ، رغم انه لسنوات خلت لم تكـــن تلـك الكماليات معروفة لديهم ( ٠٠٠ ) وهكذا نرى انه في بلد تعتمد فيه الزراعة علـــى امطار متقلبة ، لعبت حرية التجارة دورا في ارتفاع استعمال الكماليات ، وتدنـي

---

(٧٧) راجع جلوب ، المقالة المذكورة انفا ٠
(٧٨) المصدر نفسه ٠

احتياطي كميات الاغذية ٠٠ لا بل نتج عن ذلك شعور بارتفاعات وانخفاضات في السنوات الجيدة والرديئة ٠٠» (٧٩) ٠

ان الحصيلة العامة للتطور الضعيف في القطاع الزراعي وفي القطاع الانتاجي المادي الحديث والاتجاهات المرضية فيتطور القطاع الخدماتي والحكومي والدفاع، قد جعلا مكانة القطاع الزراعي تتقلص تدريجيا ، وهو الامر الذي عوض عن طريق التجارة الخارجية ٠ وعكس نفسه في نزف متزايد من الهجرة الريفية ، وفي تزايد التفاوت الاجتماعي في الريف ، وتردي اوضاع فئات واسعة من الفلاحين الصغار والمتوسطين ٠

---

(٧٩) المصدر نفسه ٠

# الوصايا العشر
## من قانون فرسان الملك

صخر

I

في الزمن المحفور على صفحات الارض ، قصص تروى ·· وقصص لا تروى · وحكايا أعجب من أن تدخل في قلب الصفحات ·

وحكايتنا ليست أعجب ما في هذا الكون · لكن اعادتها تحفر فوق عظام البشر نقوشا لا تمحى · وتذكر كل الاطفال بان الماضي كان الدرس · فليتعلم من يتعلم مجانا · وليدفع من لا يتعلم مجانا ثمن الدرس الذاتي ·

لا ابغي أن يتكاثر حولي اللف لينتفخ الدوران · لكن الصورة كي تكتمل لتطبع في الاذهان ، لا بد لها من بعض رتوش · والراوي ان كان يقول الرؤيا يتضاءل في شفتيه الحدث حروفا هي أقرب للصدق · والقصة ·· ان كانت بالدم معمدة وبلون الفقراء وطعم الوطن ، فالشمس تؤخر غيبتها كي تكتمل الصورة في أعين من يهوون الفقراء ·

ولهذا ·· فحكايتنا تنسجها خفة دم الفقراء وبساطتهم · وتعمدها بالدم جراحات الفقراء · وترويها الاعين دون كلام · ترويها الارض السبية وحوافر خيل الفرسان · يرويها البيدر ، والزعتر والنعناع البري وكل طيور الارض · ترويها العتمة ، يرويها النور ، يرويها السجان ويرويها المسجون ·

القرية صاحبة القصة كانت نصف محتلة · البيوت والفقر لاصحابها · والارض والمحاصيل لاعدائها · لم يبق لاهل القرية الا أكوام الطين والطوابين والحب الجارف للارض · كانت أعينهم كل صباح تلمح لون القمح الذهبي يعانق رائحة الجوع · واصابعهم كانت تتشقق غيظا وهي ترى المحراث يغوص ببطن الارض · كانت آذانهم تسمع تغريد البلبل ، لا تفهم بعض الكلمات · وكأن البلبل أصبح محتلا ايضا · ولان الجوع يحرك في النفس شعورا يرسم ألوان الحق على صدر الدم · تحركت القرية نحو الارض · عبرت أسيجة الخوف وعادت بالمحصول ·

في اليوم التالي عبر القرية رعب المحتل فدمر اكوام الطين · وعادت أيـــدي الحصادين تصارع أسيجة الخوف ·· وعاد الرعب يصب النار ··

وقتل عزيز ابن المختار ·

القرية ·· كل القرية وقفت فوق أصابعها هلعـا ··

ـ مات عزيز ·· ابن المختار ·· قتلوه ··

ـ مـن ؟·

ـ اليهـود ··

ـ أخذوا الارض ·· الا يكفيهم ·؟!

ـ لن يكفيهم ·· لن يكفينا ··

ان لم نقلع أشواك الغزو بايدينا · من يحمينا ؟

وتفرقت القرية ارتالا · بالحقد محملة ·· والحب · عبرت جسر الخوف على كف عزيز ·· وسكاكين الشرر تلامس اعناق الشوق الكامن في حب الارض ·

عبر رجال القرية للمستعمرة الاولى ·· للمستعمرة الاخرى ·· والاخرى ·· والعاشرة ·· وعادوا ·

كانت زينب تتشح الحزن سوادا · جاءوا بقلادة حقد مرصوصة كالتين الجاف، صنعت من آذان الاعداء المقطوعة ·

نظرت زينب باستغراب ·

قالـــوا :

ـ هذا من أجل عزيز ·

قالت زينب :

ـ ليس عزيز ·· باعز من الارض ··

قولوا هذا من اجل الارض ·

ـ هذا من أجل الارض ·· ومن أجل عزيز ··

قالت زينب :

ـ باسم نساء القرية ·· اقول لكم :

من لم يصدق في حب الارض ·· لا يصدق في حب الاهل · وامامكم الارض ·· وامامكم اللص · من يزرع هذي الارض ·· يزرع اطفالا ·· ومن لا يزرع فليحصد عقمـــا ·

وتوالت موجات القرية ترسم الوان الحق على جبهات المحتلين · وتوالـــي الفعل ·· وتوالي رد العقل ·· وحكايا ·· ووصايا ·· وهدايا واخيرا شكوى·· فشكاوى ، عشرين ·· وخمسين ·· للامم المتحدة ·· للجامعة العربية ··العدوان على « اسرائيـل » والارهاب ··

والى القرية جاء الفرسان ··

هل منكم من يعرف معنى ان يأتي الفرسان الى القرية ؟

هل منكم من لا يعرف معنى ان يأتي الفرسان الى القرية ·

من يعرف ·· فليخبر من لا يعرف ··
ومن لا يعرف ·· فليصدق من يعرف ··
وليس مهما ان نعرف ·· او لا نعرف ··
ان لم نعرف كيف سنمنع عودة ايام الطاعون ·

## II

ابو علي ·
حفار يعمل في سلطة المياه المركزية ·
فلسطيني ·· غادر قريته منذ كبسة الطاعون · تعلم الحفر على يد «العسلية» أهم حفار قبور عرفته منطقة جبل النار ·
عندما حاول أن يحصل على جواز سفر طلبوا منه أن يسمي مهنته ·
قال : عامل ·
سألوه ·· عامل ·· ماذا ؟
لا بد لهذا الامر ·· من توضيح ·· فالعامل حاف ·· يعني عاطل ·· يعني شيوعي ضد الدولة ·
شطب العامل ·· أصبحت المهنة : حفار · والحفار ، هو كل من يضرب وجه الارض ليصل قفاها · واكراما للمهنة تعلم حفر الآبار ·· واصبح مسؤولا عن حفارة دق امريكية في سلطة المياه المركزية ·
في الليل ·· كان أبو علي يعشق لعب الورق مع العمال ·· يسرقهم ·· يكسب · ثم يعيد لهم الاموال ليؤكد سطوته وتفوقه وحنانه ·
كانت حفارته الامريكية تحفر بئرا في قاع الديسي (★) ·
ما أبعد قاع الديسي عن عمان ·· ساعات نقضيها والروفر ينهب وجه الارض ·· ووصلنا ·
كان الماء المتفجر بحرا في قلب الصحراء يفتح بارقة أمل ·· لكن من يعمل في الارض لكي تزهر ·· البدو ·· طبعا لا يرضون العمل سوى في الجيش ·· أو الحراسات ·
ولاول مرة ·· شاهدت أمامي بدويا يعشق عملا · كان الحارس للحفارة · لا يقضي الوقت في لف التبغ ولعب السيجة كالحراس · كان يمد يديه يساعد عمال الحفارة · يمسك حبل الحفر ·· ويزيح الشفاطة · يعمل بيديه كعامل حفارة ·
من لا يعرف طبع البدو ·· لا يستغرب ·· أما انا ·· أعرف · استغرب ·· وسألت أبا علي : فأجاب : طبعا يختلف عن الباقين ·· هذا نصف فلسطيني ·

---

★ مكان في جنوب الاردن ·

ـ كيف ؟
ـ زوجته فلسطينية ٠
ـ هل تساعـده ؟
ـ طبعا ٠٠ ان لم نفلح في تحطيم قوانين البادية البالية، كيف نفيد من الحفر ، ومن هذا الماء المتدفق ٠٠ هو لا يحتاج كثيرا لمساعدتي هو أصلا يختلف عـن البدو ٠٠ طلق عـادات البادية منذ سنين ، منذ تزوجها ٠
ـ تزوج ماذا ؟
هل تقصد عـادات المدن أم عـادات الفلاحين ؟
ـ أقصد شيئا آخر ٠٠ اني أعـرف زظام منذ ثلاث عشرة سنة ٠
ـ ماذا !!
ـ منذ ثلاث عشرة سنة ٠٠ هو لا يعرفني الآن ٠٠ وانا لا أبغـي أن يعرفني٠ لكني أعطيه الفرصة اكراما لشجاعـة موقفه ٠٠ ولها ٠
ـ لم أفهم شيئا ٠
ـ سأوضح لك ٠

أخذ أبو علي ٠٠ نفسا من سيجارته واتكأ عـلى طرف الكرسي وقال :

ما أقدم قصتنا ٠٠ ترجع للخمسينات ٠٠ لبدايات الخمسينات ٠ كان زظام شابا في العشرين ٠٠ كان فارسا ٠٠ بل كان زينـة الفرسان ٠٠ ناضـر الوجه ٠٠ طلق اللسان يتمختر فوق حصان من نوع نادر ٠

جاء الى قريتنا ذات صباح بائس ٠ كانت أصوات الفرسان تدوي تختلـط بضربات للحوافر فتهتز القرية ٠

ـ مطلوب أن يتجمع كل الناس على البيدر ٠٠ فورا ٠

وانهالت فوق الاجساد سياطهم لا ترحـم أحـدا ، لا تعـرف فرقا بيـن الطفل وبين الام ٠٠ ولا تسمع صوتا يرجو أو يسترحـم ٠

وعلى البيدر صار رجال القرية كومة بؤس في قلب الدائرة المصنوعـة مـن أجساد الخيل ٠

وتقدم شيخ الفرسان وصاح :

قال كلاما مملوءا بالنرفزة وبالعصبية ، فلم يفهم أحـد كلمة ٠ وتقدم زظـام ليكمل قال :

يا أهـل القرية ٠

جئنا لنعاونكم ٠٠ من يتعاون معنا يسلم ٠٠ فرسان الملك كرام مع من يكرم نفسه ٠٠ نحـن أتينا نقطع دابر كل لصوص القرية ٠٠ كل الخونة ٠٠ كـل المنحرفين ٠ من لا يرعـون لجار حرمة ٠

يا أهل القرية ٠٠ أمهلكم عشر دقائق لتقولوا من هـم أوغاد القريـة ٠٠ لصوص القمح ٠٠ والبقر وقاطعـي آذان الجيران ٠ ومن يصمون كرامـة وشهامة أهل القرية ٠٠ أمهلكم عشر دقائق ٠ منذ الآن ٠

## III

أخـذ الهمس طريقا ·· والوشوشة امتدت تحفر آذان رجال القرية · مـن يخبر فرسان الملك عـن فرسان القرية ؟! عـن فرسان الوطن وعشاق الارض ·

الشمس احترقت غـيظا وهي تحـاول ان ترتفع الى أعـلى · ومرت عشـر دقائق كالبرق ·

وتقـدم زظام علـى ظهـر الابجـر ، يتمختـر ، يحجب نـور الشمس ، يلوح بالسوط وقال :

ـ انتهت العشر دقائق ·· فليتقدم نحـوي كل لصوص القرية ·· فورا ·

لم يتحـرك أحـد من أرضه ·

صال وجال يمينا وشمالا وصرخ :

ـ قلت أمامي فورا كل لصوص القرية ·

وهوى بالسوط ليدمي وجه الريح ·

لم يتحـرك أحـد ·

اندفع الشيخ زعل ·· شيخ الفرسان، صرخ ·· وصاح، ارغى ·· أزبد وهوى بالكرباج على أجساد رجال القرية · فتعربشت الايدي تتكوم تتشابك تصنـع جسرا يحمي الرؤوس ·

لكن الدائرة اكتملت · عشرات الفرسان امتدت أذرعـهم بسياط عطشى للدم·· وجوعـى متخمة بالحقد ·· واختلط صراخ الالم بأنات الجرح وأصوات نساء القرية بزغاريد الفرسان ·وصهيل الخيل ·

وتوقف شيخ الفرسان عـن الضرب ·· وصاح :

ـ تمـام ·

فتوقف كل الصخـب وسيطر فوق الرعـب أنين الالم المختلط ببقايا الاصـوات الاخرى · وتقدم زظام وصاح :

ـ اسمعـوا ·· يا كلاب ·

ما جئنا كي نلعـب ·· جئنا لننفذ أمرا ·أما أن تقفوا معـنا فنساعدكـم ، أو نقلب قريتكم سافلها عـاليها · أعطيكم عشر دقائق أخـرى للتفكير ·

وتمايل زظام عـلى ظهر الابجر ثم صرخ ·

ـ أين المختار ؟؟

وتعالى رأس الشيخ الخمسيني ، تجاوز حد الكومة ، وقف وكان كواسطـة العـقد ·

نادى زظام بصوت مبحوح ·

ـ تعال ·

فتوجه مختار القرية بوقار ناحية الفارس زظام · وقال له هذا :

ـ يا مختار ·· أنت المسؤول ·· تعرف كل لصوص القرية ·· من هم ؟ قل·

نظر المختار الى زظام بوقار ·· قال :

ـ ليس هنالك أي لصوص في قريتنا ·

وهوى زظام على وجه المختار بسوط حاقد وهو يصيح :

ـ شايب · وعايب ·· وكذاب ·

وقف رجال القرية يهتزون كقطعة غيظ لامسها الحقد ·

واندفعت من قلب نساء القرية قامتها المشوقة كالرمح . القت بالصدر على جسد أبيها المختار وعيناها شررا تطآن ملامح زظام ·

من يد زظام سقط السوط ·· داست زينب فوق السوط ·· وعيناها كالشمس الحارقة على جسد الفارس ·وتراجع زظام ·· تراجع واندفع بعيدا ·

وتقدم شيخ الفرسان يفرقع بالسوط وقال :

ـ اذهب يا مختار ·

جهز للفرسان غداء اليوم ·· لا تبخل ·· خمسين دجاجة ·· وحماما ·· وخروفا محشيا · لا تنسى التتن البحاري ·· والخيل ·· لا تنسى ، خيل الفرسان لا تأكل تبنا بل علفا مخلوطا باللوز وبالسكر ··

خذ معك النسوان ·· واتركنا لنؤدبهم ·

فاليوم يوم الفرسان ·· معكم عشر دقائق أخرى ·· عشر دقائق ·· منذ الآن·

## IV

مرت عشر دقائق أخرى ···

لم يتقدم احد ··

قال الشيخ زعل :

ـ وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ··

واتجه الى الفرسان وصاح :

ـ ما دام الكفار لا يبغون الطاعة لاوامر سيدنا واوامر الله ، أصبحت القرية مباحة لكم · اقلبوها ·· سافلها عليها نفذوا فيها الوصايا العشر ·

من بين الجمع ارتفع صراخ لاهث ··

ـ لا·· لا·· أنا أخبركم عن كل لصوص القرية ·

وانصبت كل النظرات على صاحب هذا الصوت المتبرع لخيانة قريته · صرخت كل الاصوات ··

ـ اخرس كذاب ··

وتقدم من بين الجميع ، توجه ناحية الشيخ زعل وقال :

ـ اسمع سيدي ··· أنا اسمي عوض ·· أنا صاحب دكان القرية · كل المسروقات من المستعمرة تباع الي ··· أنا أعرف كل لصوص القرية ·· أعرف من باعوني ما سرقوه من الغنم ، والبقر ، والمحصول · وسأخبركم عنهم ··· لكن لا تقتربوا من دكاني فأنا معكم ·· ومع الله ·· مع الفرسان أنا ··· أنا اسمي عوض ·

وتطلع زظام الى عوض محتقرا اياه ، ابتسم بسخرية ·وتوجه للجمع وقال :
ـ هذا يعرفكم · يعرف من منكم يخترق حدود الجيران ويسرقهم او يقتلهم ··
حتى لا نطلب من هذا الرجل الاسماء · نحن نحب الشجعان ·· فليتقدم نحوي
من منكم دخـل الارض المحتلة ·· لاي سبب ·· فليتقدم ·· فورا ··
وتحرك كل رجال القرية نحوه ·· التفوا حوله ·· أصبح وسطهم والابجر ،
يصهل غيظا ، صاح زظام ·
ـ ما هذا ··كل رجال القرية دخـلوا الارض المحتلة ؟ !
وتداخلت الاصوات مؤكده ان جميع رجال القرية دخـلوا أرض القرية المحتلة·
ـ عدنا للارض ·
ـ قطفنا زيتوننا ··
ـ حصدنا قمحنا ·
ـ للمنا الزعتر والنعناع البري ··
ـ لا نعترف بأي حدود ·· الارض لنا ··
ـ عدنا للارض ·· كلنا ·· عدنا للارض ·
وارتفع صراخ عوض ··
ـ لا لا يا سيدي ·· أنا لم أدخـلها أبدا · أقسم بالله ··بالملك وبالفرسان ··
لم أدخلها أبدا ·· كلهم دخلوها ·· الا أنا ··
وفرقع سوط الشيخ زعـل وهوى غيظ فوق رؤوس الجمع · وتحرك أبجـر
زظام يدق الارض بحافره · واندفع بعيدا عـن وسط الجمع · وانكمش رجال
القرية كومة بؤس تتشابك فيها الأيدي كي تحمي الرؤوس ·
صاح الشيخ زعـل ··
ـ اليوم · يوم الجلد ·· يوم الجد يا فرسان ·
اجلدوهم واحدا ·· واحدا ··
وابتدأ العـد العكسي ·

## V

ابتدأ الجلـد ··
ابتـدأ العـد ··
وخيول الفرسان تحيط كحلقة جمر · وفريستها تدخل كالريشة تحت سيـاط
الخوف تدور · تهرب من أين الى أين ·· كل مسافات الحلقة في مرمى السوط·
ينهمر الجلد ولا يتوقف الا والجسد مسجى كالصخـرة مغشيا ·
وينادي الشيخ زعـل ··
ـ غيره ·· كم بقي علينا ؟
يدخـل للحلبة ثلاث رجال ·· اثنان لحمل المجلود المغشي عليه ·· والثالـث
كي يجلد ·

وتعـود اللعبة ·· وصهيل الخيل المتمازج مع صرخات الفرسان يطغـى فوق صياح المجلود وفوق انين الجرح الدامي · كان المجلود يدور كديك مذبوح ينتفض ويسقط ·

وتعود اللعبة ··

ـ ضربوا كل رجال القرية ·· الا المختار ··

ـ وأنت ··

ـ طبعا ·· ذقت كرابيج الفرسان ·· ما أطيب أن يتذوق كل المظلومين لسعات الظلم ·· قد علمني طعـم كرابيج الفرسان دروسا لن أنساها · وعلى جسـدي ستظل حروفا تقسم باسم فلسطين · باسم الوطن المحتل من الاعداء وباسم الارض المحتلة من قبل الاهل · كان الفرق هو القسوة · المحتل يريدنا بعيدا ·· والملك يريدنا عبيدا ·· والشعـب الفلسطيني كان قد اختار طريق الثورة منذ القسام وقبل القسام ·· دفع قوافل شهـداء وأبطال من أجل الحرية والاستقلال ·

حين تكوم فوقي لسع السوط تصنعـت الاغـماء · ما أبأس أن يختار المـرء الغشية · ما أبأس من يبتعـد عـن الواقع مختارا · لم يتوقف سيل سيـاط الفرسان · وخرجت من الدائرة المرصوفة بالحقد أكثـر اصرارا علـى عشق الارض ·

وسألت أبا عـلي :

ـ وعوض ·· صاحب دكان القرية ··هل ضربوه ؟

ـ نعم ···ضربوه ·· وأدموه ·

كان العد العكسي قد وصل الى الصفر ·· وصاح الشيخ زعـل :

ـ هل بقي أحد ؟

صاح عوض :

ـ لا ·· الكل انجلد ·

وتقدم زطام نحو عوض ·· لف السوط على عنقه ·· أدخله وسط الحلبة ·

ـ هذا كلب القرية ·

وارتفع صراخ عوض ·

ـ في عرض سيدنا ·· في عرض الله ·· في عرض الفرسان ·· أنا منكم ·· أنـا معكم ·

وتسارع ساعد زطام بلا رحمة حتى انهار عوض ·· وتكور في عرض الارض·

## VI

وجاء الليل

جاء القلق المتمازج مع ألوان الافكار السوداء ·والخوف يخيم ·· والرعب يخيم لكن الصور المتناطحة مع الاعين كانت كالمخرز · ماذا يجري ·· كل رجـال القرية ربطوا في أرسن خيل الفرسان ·· ذهب الفرسان ·· غابوا ·

ونساء القرية غبن عـن الانظار ٠
اين الفرسان ؟
أين نساء القريـة ؟
وارتفعـت صيحة قلقة مزقت الليل ٠
ـ الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠
وتردد صخب الصيحة في الاجواء ٠٠ كان صدى يتماوج كالرعد الـــهادر ٠
واندفع الفرسان الى حيث رجال القرية ٠
ـ ماذا يجري ؟ !
واختلطت أصوات الرد مع الغيظ ٠
النار ولا العار ٠ ابتعدوا عن نساءنا وارتفع صراخ الشيخ زعل ٠٠ لو انكـم رجال ٠٠ لكان عندكم نساء ٠ وعلا الصوت المتفجر بالغيظ الله اكبر ٠٠ اللهاكبر٠
وتمزقت الارسن ٠٠ هاجت بعض خيول الفرسان مع الصخب ٠٠ وماج الليل مع الشرر المتطاير من صك الاسنان ٠
ارتبك الفرسان ٠
الاحصنة الهائجة انطلقت ٠ وتجرجرت الاجساد المرعوبة واختلـط الحابل بالنابل ٠
ـ النار ولا العـار ٠
ـ الموت ولا المذلة ٠
لم يجد الخوف من الجلد طريقا لاحـد ٠ فالخوف من الصور النكراء أشد٠٠
هل يسكت رجل تغتصب امرأته ؟٠٠ وازداد الصخب وكان صدى الافق يردد :
ـ الله أكبر ٠ ٠الله أكبر ٠
النار ولا العـار ٠
الموت ولا المذلة ٠
وتهادى المختار الى الجمع وتساءل :
ـ ماذا في الامر ٠٠ ؟ ما هذا الهرج وهذا المرج ؟ هل قتل أحد ؟
وتعالى صوت من بين الجمع يجيب :
ـ يا مختار ٠٠ هل يرضيك ان نربط مثل حمير النور وتترك كل نساء القريـــة في احضان الفرسان ٠٠ النار ولا العار ٠
قال المختار بصوت صاخب :
ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠
كل نساء القرية عندي في البيت ٠٠ في بيتي ٠ مع بنتي ٠٠ مع زينب ٠٠ ما من مكروه مس امراة في القرية ٠
وتساءل صوت :
ـ والفرسان ٠٠ اين الفرسان ٠؟
ـ ذهبوا للنوم ٠٠ في بيوت عوض وخميس وابو محمود ٠

وارتفع الصوت المتسائل :

ـ والشيخ زعل ٠٠ الم تسمعه يبيح لهم كل القرية ؟٠

قال المختـــار :

ـ استباحوهـــا ٠

قلبوا سافلهـــا عاليها ٠

لن يعرف اي منكم بيته ٠

وارتفع سؤال :

ـ وعـــوض ٠

هل انقذ دكانه ٠٠ بقذارته ٠٠ وخيانته ، هل انقذها ؟٠

رد المختـــــار :

ـ لم ينقذها لخيانته ٠٠ بل لنؤمن منها الاكل لهم ٠

ـ والام سترضى يا مختار بهذا الظلم ؟

ـ صبرا ٠ ستزول الشدة ٠٠ انشاء الله ٠٠ ناموا وعلى الله التدبير ٠

وتقدم زطـــام وقاطع :

ـ كيف ينامون ٠٠ لا نوم لهم ٠٠ وسنسحلهم ٠ الصبـــــح سنسحلهـــم اولاد الكلب ٠٠ الخيل انزعجت ٠٠ هاجت من ضجتهم ٠

من أجلك يا مختار فقط ٠ سأرجو الشيخ زعل حتى لا يسحلهم ٠

رد المختـــــار :

ـ العفو من شيخ الكرام ٠

وتوجه ناحية القرية وعيون الفارس تتبعه في الظلمة ، فتضيع مع الخطـــــوات الآهات المكتومة ٠ كانت صرخات رجال القرية والخوف المتربص في أعينهم قـــــد ذابت بعد حديث المختار ٠ والهمس تباعد واختلط ببعض شخير ٠ ظلت صـــــورة زينب وهي تدوس على السوط ٠ ويهرب من عينيها زطام تجلل اجفان الصاحين ٠ خافوا ان ينتقم الفارس منها ٠ كانت صورتها وهي تصرخ تتبادل مع صورتهاوهي تقول لهم يوم اتوها بقلادة آذان ٠

ليس عزيز بأعز من الارض ٠

قولوا هذا من أجل الارض ٠

باسم نساء القرية ٠٠ أقول لكم :

من لم يصدق في حب الارض ٠ لا يصدق في حب الاهل وامامكـــم الارض ٠٠ وامامكم اللص ٠٠ من يزرع هذي الارض يزرع اطفالا ٠٠ ومن لا يزرع ٠٠ فليحصد عقمـــا ٠٠

لعيونك يا زينب ٠ كل رجال القرية زرعوا الارض ، انجبت الارض ٠٠ وتضاعف عدد القريـــة في عـــام ٠

## VII

أقبل فجر اليوم التالي يركض · ما مس النوم جفون القوم · وكانت صيحـــة زظام الغاضبة تدور على الاعناق · كان الغضب قد انهال على الفارس بعـــد ان اكتشف اصابات الابجر · ظل يسب ويرغي · يقسم ان يسحل حتى الموت مـــن جرحوا الابجر · وقبل صياح الديك امتلأ سماء القرية والبيدر بصراخ الفرسان·

صاح الشيخ زعل :

ـ من جرحوا الابجر ·

من ازعجوا الخيول ·

ليحضروا هنا امامـــي ·

اليوم يوم السحل ·

كان الفرسان قد ابتداوا تحضير حبال السحل ·

جاء المختار · كان حزينا ·· ومكتئبا وهو يشاهد مطر الحقد يصب على اهل القرية · كان العجز يداهم قلبه · ماذا يفعل · اتجه الى حيث نساء القريـــة ·· كانت تقترب من الضجة بعض الفتيات · ورأى زينب كالراية تقترب من الساحة· نظر الى زظام · كل اللعبة بين يديه · هل يرجوه ؟ كان الفارس قـد وعد بان لا يسحل احد · ماذا غيره منذ الامس · اقترب ببطء من زظام وسأله :

ـ هل ستسحلونهـم ؟

ـ الابجر ·· جرحوا الابجر يا مختار ·

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ·· ولكن ·· هل يشفى الابجر ان سحلوا·؟ انسيت الوعد ؟ قلت سترجو الشيخ زعل حتى لا يسحلهم ·

كانت زينب قد وصلت قرب ابيها ·· سألته :

ـ ماذا يجري ؟

ـ بعض رجال القرية جرحوا الابجر ·

ـ كيـف ؟·

نظرت كالشمس الى زظام ·· كان الوهج قد اختلط مع الفرح على وجه الفارس قال بصوت خافت :

ـ من ضجتهم هاج الابجر في الليل فوقع في حفرة ·

نظرت زينب نحو الفرسان وهم ينتظرون اوامر زعل ·

سألت :

ـ والآن ·· ماذا يجري الآن ؟

رد المختار وعيناه على زظـام ·

ـ سيسحلونهم ·

ـ سيسحلون من جرحوا الابجر ·

نظرت زينب بعيون لاهثة يهطل منها الغيظ على الارض ·

ـ ماذا ٠٠ هل يسحل انسان من اجل حصان !؟
زطام انتفض وقال :
ـ من أجل الابجر ٠
قالت غاضبة :
ـ الابجر ٠٠ الاخضر ٠٠ كل خيول العالم لا تسوى اصبع انسان ٠
ـ هـذا رأيك ٠
ـ هذا رأي القرآن ٠
قال المختار وقد خشي هطول الشر ٠
ـ زطام وعد بأن يرجو الشيخ زعل حتى لا يسحلهم ٠
سقطت نظرة زينب في بؤبؤ زطام ٠٠ كانت عيناه تشعان بفرح الكرم العربـــي فقـــال :
ـ من أجلك يا مختار ٠٠ لن نسحلهم ٠
ابتسمت زينب ٠
استطرد زطـام ٠
ـ أدعو لي بالتوفيق ٠
واتجه الى حيث الشيخ زعل ٠ كانت كشرة نيرون قد احتلت جبهته والكوفيـة مثل بقايا حقل محصود قد حطت ظل خريف في عينيه ٠ كان الفرسان قد ابتدأوا ربط ضحيتهم احمد موسى ٠ فلاح في العشرين يملك ارضا محتلة وكوخا من طيـن ولـد ولـدان ٠
زطام يميل على الشيخ زعل ٠٠ والشيخ زعل يميل على زطام ٠٠ والهمسـات ارتفعت ٠ واشارات وسياط ترتفع وتهوى ، وعيون تتطلع نحو الفرسان ٠ وزينب تسكب نظراتها بحنـان ٠
احمد موسى ٠٠ ابن القرية ٠٠ فارسها ، يسحل من أجل حصان ! اتجهـت زينب نحوه ٠٠ قالت للفرسان :
ـ فكـوه ٠
الشيخ زعل كان قد انتفض من الغيظ وقد اقنعه زطام بعدم السحل ٠
زطام اتجه الى حيث الفرسان وزينب ٠ قال :
ـ فكـوه ٠
ابتسمت زينب ٠
قـال :
ـ الشيخ زعل سامحكم هذي المرة ٠ لن يسحلكم ٠٠ لكن لا بد من عقابكم ٠٠ من جرحوا الابجر لا بد من جلدهم ٠
واتجه الى الفرسان وقال ٠
ـ جهزوا المحفـل ٠

نظر الى زينب ٠٠ كانت غاضبة ، تبتعد وفي عينها تسكن آلام الوطن الشاسع٠
اقتربت من والدهـا ، كان يتمتم :
يا فتـاح يا عليم ٠
قالت :
ـ لا بد من حـل ٠
قـال :
ـ الجلد ولا السحـل ٠
ومضت زينب نحو القرية غاضبة تتبعها النظرات المحترقة ٠
وابتدأ الجلد ٠
وابتـدأ العـد ٠

## VIII

امتد الكابوس على القرية اياما ٠٠ كان الشهر الاول قد بدأ يغادر حين انتصر الجوع على القرية ٠ ما عاد يوسع القرية اعداد الاكل الخاص للفرسان ٠الدكان امتلأت بالمرهونات وعوض ابتدأ يجوي مع القرية ٠
قال الشيخ زعل للمختار :
ـ غدا ٠٠ نريد عجلا مشويا ٠
قال المختـار :
ـ من أين ٠؟
قال زعـل :
ـ من تحت الارض ٠٠ اخلقوه ٠
وخلقـوه ٠
في اليوم التالي كان الفرسان يغوصون بأذرعهم في جسد العجل المشوي ٠٠ لم يسأل احد من أين ٠
قال الشيخ زعـل :
ـ ماذا نأكل غدا ؟
قال المختـار :
ـ أطلب ٠٠ وتمن ٠
قال زعـل :
ـ هل حلت عقدتكم ؟
قال المختـار :
ـ انشاء الله ٠
( وأسر لنفسه ) وابتدأت عقدتكم ٠
وتوالت ايام بدأت فيها رائحة الارض تعود ٠ وابتدأ الفرسان يعيشون معالقرية كالاهل ٠ وتمزق قانون الفرسان ٠٠ بدأ الشيخ زعل لا يهتم سوى باللعب مـع المختـار ٠

وزطام يحاول ان يتقرب من اهل القرية · والفرسان ينامون اليوم بطوله ·· والخيل ابتدأت تأكل عشبا ، والكسل طغى · والاخبار ابتدأت تزحف نحو الامـــم المتحدة ·· والجامعـة العربية ·

موجات عبور الارض المحتلة بدأت ترسم ظلا من لون الحق على جبهات المحتلين وتوالي الفعل ·· وتوالي من يسأل ··

ـ والفرسان ··؟·· هنالك فرسان في القرية ·

فرسان في قرية ·· لكن قرى اخرى تتحرك ·· من اين سنأتي بالفرسان لكـل قرى الضفة الغربية · لكل حدود الارض المحتلة ·

فجأة ·· غاب عوض ·

وجدوه قتيلا في الارض المحتلة ·

قال الشيخ زعـل :

ـ كل رجال القرية دخلوا الارض المحتلة ·

قال زطـام :

ـ أوصاني عوض ان غاب ان اعطي المرهونات لاهل القرية ·

قال المختـار :

ـ لقد اعادها بنفسه قبل أن يغيب ·

قال المسؤولون :

ـ عليكم تغيير الفرسان في القرية اسبوعيا · فالفلسطيني كالافيون · منيدمن معاشرته عليه العوض ·

وابتدأ الشيخ زعل يتأهب للرحيل ·

★★★

سألت أبا علي بلهفه :

ـ هل بدلوهم بفصل جديد يقطر حقدا ؟

قـال :

ـ لم يكن الوقت لصالحهم·· فلقد فرض القدر عليهم انيتولوا صنع الحلقات·

وتساءلت :

ـ حلقـات ·· ماذا ·؟

ـ حلقات الندب ·

البكاء بالاكراه ·

ـــ ولماذا ؟

ـ قتل الملك عبد الله ·· كان الليل يغادر ارض الضفة الغربية · وامتـلأت وجنات الناس بقرح مغموس بألم · الخائن مات ·· باع الارض ومات ·· ظلـم الشعب فمات ·· من يبكي حزنا ·· لا أحد سوى العملاء ·· من يبكي فرحا ·· كل الناس ·· حلقات الندب امتدت في المدن ·· في المخيمات ·· حداد بالاكراه ··

وبكاء بالاكـراه ٠
على الشفاه تمتمات ٠
يا مليكنا يا غالي ٠
يا محقق الامالي ٠
وفي القلوب اغنيات ٠
تسلم أيديك يا عشو ٠
أعرفت كيف تكشو ٠
وسألت :
ـ وهل عادوا بعد ذلك الى القرية ؟
قـال :
ـ زطام عاد ٠٠ كان وحيدا ٠٠ جاءَ ليخطب زينب ٠
قلت :
ـ طبعـا قبلته ٠
قـال :
ـ كان غريبا ان تقبل ٠٠ لكن السبب عرفناه ٠
فلقد نفذ زطام الوعد ٠٠ زينب قالت :
ـ من لم يصدق في حب الارض لا يصدق في حب الاهل ٠٠ وامامكـم الارض ٠ وامامكم اللص ٠ من يزرع هذي الارض ٠٠ يزرع اطفالا ٠٠ ومن لا يزرع فليحصد عقمـا ٠
وزطام كان يحب الاطفال ٠٠ ويحلم بالاطفال ٠٠ فزرع الارض ٠

## IX

كانت شمس الصحراء قد امتصت بعض البرد ٠ وكان البئر المتفجر فـي قاع الديسي قد اعطاني دفعة فرح ٠ كانت عيناي تحاولان ان تتخيلا صورة قريـة يدخلها الفرسان ٠ وأمامي رائحة من فارس ٠ قلت لنفسي : سأتـام الليلة في الصحراء وسأسهر مع زطام ٠
قال أبو علي :
ـ كما تشاء ٠٠ لكن أرجو ان لا يعرف من أين انا ٠٠ هذا سري ٠
ونظرت الى عينيه الحالمتين ٠ كانت صورة زينب تهطل مـن بين رموشه ٠٠ وسألتـه :
ـ هل احببتها ؟
ابتسم وقـال :
ـ كل رجال القرية أحبوهـا ٠
ـ وانت ٠٠ الا زلت ؟٠
تأوه ٠٠ قال :

ـ ثلاث عشرة سنة ٠٠ عندي الآن خمسة اطفال ٠
ستنام في تلك الخيمة وسأرسل لك زطـام ٠
ـ وانت ٠
ـ اتسلى في لعب الورق كي أتركك وحيدا مع زطام ٠
واتى زطام بركوة قهوة ٠٠ وجلسنا ٠
كان خجولا يتحاشى ان ينظر نحوي ٠ ويخاطبني بتحفظ قلت له :
ـ ان الصحراء بدون الماء كالقبر ٠
فقـــال :
ـ صحيح ٠٠ ولكن الماء بدون زراعة ٠٠ يذهب هدرا او يبقى في جوف الارض ٠٠ ما فائدة الآبار اذا لم تجعل هذي الصحراء تزهر بالخضرة ٠؟
قلت :
ـ هذا يتوقف عليكم ٠٠ انتم لا ترضون العمل سوى في الجيش او الفرسان ٠
ابتسم وقـال :
ـ ها انذا اعمل ٠ واحب الارض ٠٠ أتمنى أن أزرع كل الصحراء ٠
قلت :
ـ أنت شواذ ٠٠ أما باقي البدو فلا يرضون العمل ٠٠ قالوا لي انك ترضى ان تعمل لانك نصف فلسطيني ٠
اندهش وردد ٠
ـ نصف فلسطيني !٠٠ ماذا تعني ؟
قلت :
ـ زوجتك فلسطينية ٠٠ هل زرت فلسطين ؟
شرد قليلا ٠٠ كان يفكر ثم سأل بحدة ٠
ـ من اخبرك بان امرأتي فلسطينية ؟
غضبت لحدته وسألت بحدة :
ـ وهل هذا عيب ؟
اعتذر بلهفة ٠
ـ هذا شرف ٠٠ لكن ما من احد يعرف ذلك ٠ من أين عرفت ؟
وسرحت قليلا ٠٠ كان ابو علي قد غرق في لعب الورق مع العمال ترك السـر معـي ٠٠ قلت لزطام :
ـ احد الحراس البدو على حفارة ، قلت له ان يعمل مثلك ، اخبرني انـك تختلف عن البدو ٠٠ وانك نصف فلسطيني ٠
امتد على وجنته لون الراحة ٠٠ وانتقل الي شعور الفرح بكتمان السر وسألته:
ـ هل زرت فلسطين ٠٠ أين ذهبت ؟
أطلق زفرة ألم وتأوه ٠
ـ معظم ايامي السوداء مرت في ارض فلسطين ٠

ـ سوداء ·· وكيف تزوجت ؟

قـــال :

ـ لاصبغ ايامي باللون الابيض ·· لم ادخلهـا بعد زواجي ·· اقمت هنـــاك ثلاث سنين تعذيب ·

وتصنعت الاستغراب ·

ـ تعذيب ·· هل كنت سجينا ؟

ـ بـل سجانا ·

ـ أين ؟

ـ في سجن فلسطين ·· سجن الضفة الغربية · كل الضفة الغربية كانت سجنا ·· غزوناها عذبناها ·· نفذنا فيها قانون الفرسان ·

ـ هل كنت مع الفرسان ؟

ـ أجل ·· كنت ضابطا في فرقة الطاعون ·

ـ لماذا كنتم تقسون على اهل الضفة الغربية وهم اخوتكم في الدين وفي القومية؟

ابتسم وقـال :

ـ ما كنا ندرك ذلك ·· قالوا انهم كفار ·· وزناديق ·· وبلشفيك ·· وتجار ·· باعوا الارض ، وكنا نطبق عليهم الوصايا العشر ·

وسألتـه :

ـ وصايا سيدنا موسى ؟

ابتسم ·

ـ أي موسى ·· وصايا سيدنا الملك · كانت هي ناموس الفرسان · مقدسـة كالقرآن ·

قلت له ان يذكرها لي ·· قال :

ـ نسيتهـا ·

وتأوه في حزن واستطرد ·

ـ من ذكرنا بالايـام السود ؟

قلت لـه :

ـ نتذكرها حتى نشعر بحلاوة هذه الايام · او لم تعرف ان رسول الله (ص ) كان يحث الناس على زيارة القبور · فهنالك بين الاموات يتأكد الزائر انه حي · وحديث الماضي يفتح آفاق المستقبل · ووصايا الفرسان مهمـــا كانت قاسيـة فلنتذكرها حتى لا ترجع ناموسا ·

ضحك وقـــال :

ـ يبدو ان الايام تعود الى الخلف بسرعة · في الاسبوع الماضي ·· ضـــرب الاعداء جنين وطولكرم ·· قالوا ان فدائيين فلسطينيين دخلوا الارض المحتلة ·· وغدا ستعود الامم المتحدة والجامعة العربية تطلب ان تدخل فرق الطاعون لتطبق قانـون الفرسان ·

قلت له :

ـ دورك انت ٠٠ ان تخبر كل معارفك بان القانون غلط ٠

ابتسم ومد يده للركوة ٠٠ كانت فارغة ٠ وقف وقال :

ـ لقد نشفت ٠ فنجان الساده اجمل ما يدخل للمخ فيعدله ٠

قلت له :

ـ وتعود لتكمل مشوار وصايا الفرسان ٠

قـال :

ـ سامحك الله ٠٠ ولاذكرك بسوء ٠

قلت :

ـ وتذكروا ٠٠ ان الذكرى تنفع المؤمنين ٠

## X

تتسارع في ذهني الاحداث ٠٠ ينكشف غطاء الجمـــر ٠ ويتلاشى الرماد ٠ الزوبعة وانفتاح الصحراء يغذان من مسيرة الريح ٠ يرتعد الحاضر هلعا مـــن ذكر الماضي ٠ ها هي كل الايام السود ٠٠ ايام انتزاع الحلم والارض والانسانية من تحت اظافرنا تتكدس ثانية في فنجان القهوة ٠٠ فنجان الساده ٠ ٠ يصنعـه زظام لينسكب في جوفي فيعيد الى صدر الجمر ثوب الرماد ٠٠ او يطفيء بعـض الجمـر ٠

وتخيلته ٠٠ زظام الفارس يدخل ممشوق القامة والسوط يلوح كأفعى فاغـرة فاها ٠ والحقد المترسب في اخمص قدمه ، يشع من دائـــرة المهماز الصفـراء لمنشاريه ٠ هذه الهيئة سرقت حلمي ، سرقت طعم النوم من الاعين الفلسطينيـــة جيـلا كامـلا ٠

هل ينطفيء الجمر اذا اندلقت فوقه قهوة مرة كأيام الفلسطيني في السجن ٠٠ لقد ابطأ زظام ٠٠ والقهوة لا تحتاج لهذا الوقت ٠٠ ام انني اتآكل في أهـــداب الزمن فتكبر اوقاتي ٠٠ تصبح لحظاتي دهـرا ٠

ها هو أقبل ٠٠ الآن اراه ٠٠ يتطاول من جوف الماضي يحمل سوطا وقنـــاع غضب يترجل كالغيمة ٠ يمطر وحلا ٠٠ وذبابا وعذابا ٠٠ يبحث بين مسامـــات الايام عن اسمي عن لوني عن عنواني كي يصنع لي سجنا تحت جدار الخوف ٠

ابتسم وناولني القهوة ٠

طرد الحلم ٠ سمرني في الواقع ٠

ـ القهوة المرة تعدل الدماغ ٠٠ وتنعش الروح ٠

قال وهو يشفط فنجانه بصوت واضح ٠

قلت :

ـ نعم والذكرى ايضا ، حتى لو كانت مجبولة بالدم وبالآهات ، الا انها تنعش

الروح وتفتح درب المستقبل بمفتاح الماضي ٠

قـال :

ـ ما زلت مصرا يبدو ان تحملني للماضي ٠٠ الماضي كان والحاضر دكـان المستقبل بيد الله ٠

ضحكت ٠٠ وابتسم واردف ٠

ـ الوصايا ، تريد الوصايا ٠٠ لقد تذكرت معظمها مع غليان الماء ٠٠ وحيـن فارت القهوة وانسكبت فوق النار نسيت نفسي ٠٠ واضطررت أن اعيد عمـل القهوة ٠٠ واعيد عملية التذكر ٠

ـ وهـل تذكرت ؟

ـ نعـم ٠

قلت :

ـ هات ما عندك ٠٠ وانقلني للماضي ٠٠ فوق بساط الوصايا العشر من قانون فرسان الملـك ٠

تربع على طرف السرير الضيق وسحب نفسا طويلا من سيجارته المتلاشية ثـم ملأ فنجان القهوة ٠٠ وأتى عليه برشفة واحدة وقال :

والآن نبدأ ٠

كان يا ما كان ، في الزمن الفلسطيني تاريخ مكتوب بالدم على جبين الصغـار وبالكرابيج على ظهور الكبار ٠٠ كانت فلسطين يومهـا مشجوجة الرأس ٠٠ وقد علمنـا الاسياد يومها ان سبب البلاء وخراب الديار هم الفلسطينيون الكفار ٠

وحتى ننقذ ما يمكن انقاذه ٠٠ ونطهر القدس من الرجس ٠ تحرك سيد البـلاد ووضع جيشه للعدو بالمرصاد ٠٠ فحمى الحدود وكسر شوكة العدو اللدود ٠٠ ولكن الفلسطينيين ومعظمهم من الزناديق البلشفيك ، رفضوا ان يخضعوا للملـك بحجة انه من سلالة النبي ٠٠ وانهم لا يريدون ان يرجعوا بالتاريخ الى الوراء ٠٠ فكثر تآمرهم واستفحل امرهم واخذوا يطالبون بالكيان ٠ وبالاستقلال عن بـلاد القرآن ٠ فما كان من سيد البلاد الا ان امر بان يعهد الى كتيبة الفرسان بـاعادة هؤلاء المرتدين الى حظيرة الايمـان ٠

وكان ما كان ٠

والآن ايها الفارس المغوار عليك ان تحفظ الوصايا العشر كما تحفظ الفاتحة ٠٠ وعليك ان تنفذها كالصلاة فهي دليلك الى فعل الخير والله الموفق ٠

**الوصية الاولى :**

الفلسطيني كالاسفنجة ٠٠ اذا رفعت قدمك عن رأسه شمخ ٠٠ فدس عليه حتى يوم القيامة ٠٠

وقتلتني فظاظة التشبيه فتأففت ٠ نظر زظام الي وقال :

ـ لقد تطورت الامور عند الكثيرين ٠٠ فقائد فصيلنا الشيخ زعل قبل ان يحب

الفلسطينيين كان يحرف الوصية الاولى ويقول :
الفلسطيني كالزنبرك ٠٠ اذا رفعت قدمك عنه قفز وقلع عينيك ٠

**الوصية الثانية :**

لا تحترم رجال الدين لانهم رأس الفتنة واساس البلاء ٠
وسألت مستغربا :
ـ كيف ؟
قال : وهو يستطرد في تلاوة الوصية ٠
ـ الم تأتكم اخبار الشيوخ الذين باسم الدين غرقوا في السياسة.وخدمـــوا الشيطان ٠٠ الشيخ القسام طالب بتقسيم فلسطين ٠ والحاج امين سلم اللـــد والرملة لليهود حتى لا تظل في ايدي المسلمين ٠
وعلقت قائـلا :
ـ الى هذا الحد كانوا يزيفون التاريخ !؟
رد زطـام ٠
ـ واكثر ٠٠ اسمع الوصية الثالثة ٠

**الوصية الثالثة :**

اضرب كبار السن وعلية القوم قبيل ان تضرب العامة ٠
وسألت :
ـ ما الحكمة في ذلك ؟
قـال :
ـ حتى لا يحلم احد بالشفاعة ٠
قلت :

**والوصية الرابعة :**

ـ قـال :
ـ أهينوا الرجال أمام نسائهم حتى تحطموا كبرياءهم وصلفهم وغرورهم ٠

**والخامسـة :**

ـ اذا استبحتم قرية فاقلبوا عاليها سافلها ، واخلطوا المتناقضات ٠ الفحـــم مع الطحين والزيت مع الكاز والسكر مع الملح ٠٠ لانكم اذا خلطم الفحم بالكاز ٠٠ والطحين بالزيت والسكر مع الرز، فانكم بذلك تساعدون العصاة على الطبخ٠
ابتسمت وقلت :
ـ هذه الوصية مليحة ٠٠ ويطبقونها جيـدا ٠

قـال :

**الوصية السادسة :**

لا تفضلوا انفسكم على خيولكم · فاذا طلبتم لانفسكم الخـراف المحشيـة والدجاج المحمر ، فان الخيول بحاجة الى الشعير المخلوط باللوز المقشر المطحون مع السكـر ·

**الوصية السابعة :**

لا تضربوا النساء مهما كان السبب · فاذا اساءت امرأة التصرف فاجلـدوا زوجهـا او أقرب الناس لها ·

قلت معلقـا :

بهذا تستطيع المرأة ان تحكم على زوجها بالجلد متى تشاء ·

قال باسما :

ـ كثيرات عملنها ·· ولكن مصيبتهن تبدأ بعد ان نرحل ·

**الوصية الثامنة :**

أتلفوا ما استطعتم من متاع الاشقياء ·· وكلوا واشربوا هنيئا مـن زادهم · ولكن لا تأخذوا فوق ذلك قشة واحدة · فالحلال بين والحرام بين ·

**الوصية التاسعـة :**

الولاء للملك ·· فمن لا يخشى السلطان لا يخشى الله ·

**الوصية العاشرة :**

انتم طاعون الارض وزلزالها ·· وبكم يبدأ عمر التاريخ · فاذا داهمتم بيتـا ·· او قرية ·· او مدينة ·· فليؤرخ بكم ·

وعدل زظام من جلسته · وهوت عن وجهه لمحات الغضب فابتسم وقال :

ـ ما رأيك ·· هل تذكرتها جيدا ؟

قلت :

ـ لم اكن اعرف نصوصها من قبل ، وان كنت قد رأيتها تطبق في ارض الواقع ·· ويقيني ان هنالك امور كثيرة كانت تجري خارج نطاق ما ذكرته من وصايا ·

ـ قد اكون نسيت اشياء او صيغ ولكن هذا ما تذكرته ·

وطوتني موجات الالم وانا اتفحص عيني زظام وقد فارقها الحقد فاينـع فيها

الحب · وتحول هذا السجان الفار ، هذا الجلاد الى انسان يعشق ·· ويحب · وتذكرت مآسي شعبي ·· وتذكرت التجار ممن قبضوا من الاعداء ثمن رقـــاب الفقراء · فحولوهم الى لاجئين · ثم قبضوا ثمن رقابهم مرة اخرى من الملـــك فحولوهم الى عبيد ·· وتربعوا على الثمن ·

قاطع زظام افكاري المأساوية وهو يردد :

ـ المهم أن لا تعود الايام السوداء ·

قلت :

ـ ومن يضمن ذلك ·· ما دام هنالك ظالم · وهنالك مظلوم · ما دام هنالـك سارق وهنالك مسروق ·

ســـأل :

ـ وهل الفقاقيع التي تتفجر على الحدود ستعيد المسروق انها لن تعيد الا قانون الفرســـان ·

شرد ذهني لحظتها وهام في الصحراء ·· وعاد سنوات الى الوراء · وعلـــى طاولة مرصوفة بالمنكر تذكرته ·· ذلك المهندس الذي لمح لي ان فلسطين ستولـد من قلب الجرح ·· ومن جوف الالام المكبوتة·· وسخرت·· وشربت ونسيت الالام ·· لكن الفجوة ضاقت ·· والالم المتفجر لم يهدأ بمسكن ·· وخلال سنين طـاف القدر على المنفى ·· غطاه ·· حطم كل كؤوس النسيان وذكـــر كل الفقراء ان اصابعهم تعرف ان تصنع شيئا آخر غير الاكل ·· وغير الكتابة ·

وتبسمت :

قلت لزطـــام :

ـ لن يرجع قانون الفرسان ·

فلقد بعثت فتح الانسان ·

## تقريران (١)

# المؤتمر الثاني لاتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين
## تونس ٤-٩ آذار ١٩٧٧

عندما حطت بنا الطائرة في مطار تونس ، بعد عذابات روما وليلها المطوق برشاشات البوليس خوفا من الفلسطينيين الذي لم تنتظرهم الطائرة الايطالية ،اصابنا شعور حاد بفرح غامض · فالارض العربية لا تنتهي ، تتسع وتتسع ، القارة العربية تمتد وكأنها لا نهائية في اتساعها وعمقها· بين بيروت وتونس ، وفي مطاري اثينا وروما ، حيث يكثر التفتيش ، وتتشعب اسئلة البوليس مسافة قصيرة هي مسافة اللهجات العربية في انحنائها داخل الحضارات والقارات والشعوب · ومسافة طويلة تمتد من شجر المانجا في السودان الى اطراف مراكش حيث يختلط البحر والمحيط ، والارض العربية لا تنتهي ·

وسط الانتماء العربي الى الجذور ، وداخل وعي لمعنى الحقيقي وحتى ولو اتسع الراهن الزائل ، عقد الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين مؤتمره الثاني في تونس العاصمة ·

اهمية هذا المؤتمر هو كونه مؤشرا لثلاث حقائق ·

**فهو اولا** يعقد بعد سنتين من الحرب الاهلية الوطنية الدامية في لبنان · وسط الحرب،ووسط صراعاتها المختلفة واحلامها القادمة والذاهبة، وشهدائها الذين يمتدون في الافق العربي · كان الحصار يقترب ، والدائرة تضيق · وكانت الثورة تقف والى جانبها الحركة الوطنية على مفترقات دامية · لذلك كان هذا المؤتمر رمزا لقدرة الشعب الفلسطيني على كسر الحصار، فوسط جو احتفالي ، ووسط تحيات وفود قادمة من العالم باسره · من فنلندا وفرنسا وايطاليا · من فيتنام · من الاتحاد السوفياتي والمانيا الديمقراطية وبولندا · ومن حركات التحرر الشقيقة · ومن كتاب وصحفيي الوطن العربي ،افتتح المؤتمر ، ليعلن ان الشعب الفلسطيني ليس وحده ، وان النضال الفلسطيني قادر على كسر العزلة التي يحاولون فرضها عليه اليوم · فهو لا يزال في طليعة الشعوب المناضلة ضد الامبريالية · وسيبقى هو جوهر ما يسمى « بمشكلة الشرق الاوسط » ·

**وهو ثانيا** يعبر عن قدرة الثورة واطرافها المختلفة على الحفاظ على الوحدة الوطنية · الوحدة ضمن التعدد · والوحدة التي لا تبنى الا داخل ممارسة ديمقراطية · وقد كان الطابع الديمقراطي هو الغالب على هذا المؤتمر · فهناك بقعة من العقل العربي ، ما زالت تستطيع ان تفكر بصوت عال وتقول ما تريد وتختلف وتناقش وتتوحد ·

**وهو ثالثا** يأتي قبيل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني ·ووسط ضغوط لا تنتهي لفرض التراجع على الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة · لذلك كان المؤتمر احد المؤشرات التي تؤكد ان الخيار لا يزال ممكنا · وان التمسك بالجوهري هو وحده القادر على تغيير المعادلات ·

منذ اللحظة الاولى لبداية عمل المؤتمر

كان واضحا ان الجو السياسي سوف يطغى على كل شيء · وان مناقشة المسائل النقابية والفكرية لن تحظى سوى باهتمام جانبي· فالعمل النقابي الفلسطيني لا يستطيع الا ان يكون سياسيا في جوهره· لا يمكن اقامة نقابة مشتتة الاعضاء ، افرادها يعملون في شروط عمل متباينة الى حد كبير ، لا يتوحدون في مواجهة شروط العمل ، او في مواجهة ارباب العمل · وحدتهم اساسا هي وحدة سياسية ونموهم مشروط بنمو الحركة الجماهيرية التي ينتمون إليها · لذلك فنقابة الصحفيين لا يمكن ان تكون نقابة · ولا يمكنها انتحل المشاكل المهنية الا في الحدود الدنيا · انها اساسا اطار سياسي · قاعدة من قواعد الثورة · لا قيمة لها اذا لم تنم الثورة ولا تستطيع الوجود خارج الثورة ·

على هذه القاعدة ، نفهم كيف يكون الجو العام لاي مؤتمر للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، مليئا بالانتماء السياسي الحاد · فوحدها الصور التي كانت تقف على المنصة ، كانت كافية لتحيل جو المؤتمر الى حلقة يمتزج فيها سر الموت بسر الحياة · الشهادة والقضية · الثورة ومستقبلها · وربما كان اللقاء الذي اقيم في يوم الشهداء هو اجمل لحظات المؤتمر· هناك اختلط الكلام بالاسرار · فبعد نبرة « ابو الصادق » الفلسطينية جاء ملصق معين بسيسو لا يرثي الشهيد ابو خالد جورج، بل ليرسم الوان الموت الفلسطيني· وداخل قصيدة محمود درويش « كان ما سوف يكون » ، لم يكن راشد حسين وحده بل كان هذا الزمن الفلسطيني الذي ننتمي اليه ، نبحث عنه ، ونخرج منه ونموت فيه·

كان الشهداء هم ابطال المؤتمر الحقيقيين · اما البطولات الاخرى ، التي عطلت المؤتمر يومين كاملين وراء الصراع الانتخابي ، فلم تكن اكثر من مسالة عابرة، سويت بشكل عابر ، رغم ان ما تعنيه بالغ الخطورة على المسار العام لاي عمل جماهيري فلسطيني ، فحرية النضال الجماهيري لا يمكن ان تشرط باكثر من الحرية التي تلتزم البندقية · واي شرط أخر يسقط في يومين او اكثر ·

ربما عبر المؤتمر في ازمته التنظيمية عن ازمة عامة تجتاح الوضع الفلسطيني· لكنها لا يمكن ان تكون سوى ازمة نمو · فعلى رغم كل شيء استطاعت الثورة ان تحافظ على تماسكها وان تبقى خياراتها حرة · وهذا هو الاهم في هذا الزمن العربي لكن ازمة الخيارات تنتهي في الخيار الوحيد الممكن · استمرار النضال والا لا مجال لاي خيار · لماذا اذن لم يستطع المؤتمر انجاز تقرير سياسي خاص به ؟ وهل يمكن لاية مؤسسة جماهيرية ان تلتزم الصمت السياسي ، في واقع لا وجود لها به الا بوصفها قاعدة نضال سياسية ·

الواقع ان المسالة اكثر تعقيدا ، فالخيار الفلسطيني لا يمكن ان يقوم الا وسط جو ديمقراطي · وهو كذلك مستحيل خارج حركة مد جماهيرية · لذلك كان تأجيل اصدار البيان السياسي بالشكل الخطابي الذي تم ، تعبيرا عن لحظة ترجرج في الوعي ·او عن عدم قدرة على صياغة افاق مرحلة مليئة بالغموض · لكن الواقع ، ان السبب الحقيقي كان اكثر بساطة · فالصراع على قيادة الاتحاد وهو صراع سياسي كما نفترض ، حجب النقاش السياسي · وهذه ظاهرة فريدة في المؤتمر، لم يستطع ان يغطيها سوى البؤس الديمقراطي الفعلي الذي ساد انتخابات الامانة العامة الجديدة ، حيث عبر الاختيار الفلسطيني عن قدرته على الاختيار وظهرت النتيجة لتعلن فوز : يحيي خلف ، ناجي علوش ، محمود درويش ، رشاد ابو شاور ، ماجو ابو شرار ، خالد ابو خالد، معين بسيسو ، سعيد حمود ، هاني مندس ، جميل هلال ، بسام ابو شريف ، علي اسحق ، معن بشور ، حنا مقبل ·

ونال زياد عبد الفتاح وبلال الحسن عددا متعادلا من الاصوات ، كما ان التعديل الذي اقرته لجنة النظام الداخلي حول العضوية ، يشير الى نضج سياسي ونقابي يستطيع ان ينقذ الاتحاد من كثير من المزالق ·

**الثقافة الغائبة**

وزع على اعضاء المؤتمر مجموعة من الدراسات الادبية والثقافية : عبد القادر ياسين : الصحافة العربية في فلسطين والحركة الوطنية ، علي الخطيب :الصحافة العربية في ظل الاحتلال الصهيوني · محمد رضا الطويل : الفكرة القومية في شعر كمال ناصر ، يوسف اليوسف : دور الشعر في المعركة · الياس خوري : الموت الجانبي ، قراءة راشد حسين في مجموعاته الثلاث · وبصرف النظر عن المستويات المتفاوتة والمقتربات النظرية المختلفة التي عالجت هذه الموضوعات · فلا يوجد اي شيء يبرر الغياب الشامل لاي نقاش ادبي او ثقافي عن اجواء المؤتمر ·

طبعا ، يمكن تبرير اي غياب ، في جو مؤتمر طغت عليه الاعتبارات الانتخابية · لكن اية نظرة على اوضاع الحركة الثقافية الفلسطينية ، تشير الى ان مرحلة جديدة تختبيء خلف محاولات كسر الاطار القديم الذي رسمه الصوت الادبي الفلسطيني في مرحلة الصعود الرومانسي لحركة المقاومة فكيف يمكن لمؤتمر ادبي فلسطيني ان يتحاشى بحث المسألة الادبية· ان هذا الغياب ، يقودنا الى التركيز على مسألة بالغة الاهمية · فلا يزال الادب والفكر والثقافة يعامل كملحق بالواقع السياسي· كمجرد اداة سياسية تستخدم او لا تستخدم وهذا مرهون بالظرف السياسي · ان هذا الفهم التبريري الذي يختبيء خلف مسألة الاولويات ويبرر كل شيء بها ، هو فهم سياسي برجوازي للادب · فالادب هو احد حقول الصراع الطبقي · ولا يمكن تجاهله او اعتباره مجرد ملحق لا يدرس الا لتعبئة فراغات لا بد منها ·

ان المرحلة الجديدة ، التي تختبيء خلف محاولات كسر اطارات الادب الفلسطيني، تحتاج الى اكثر من مراجعة جادة ·وتحتاج الى تجاوز للقدسية الفولكلورية التي طبعت مرحلة تقديم هذا الادب وتعميمه · وهذا التجاوز لا يكون فقط تجاوزا ابداعيا ، فلا وجود لابداع حقيقي خارج حركة فكرية ونقدية حقيقية ·

ربما كانت بعض النشاطات الثقافية والتي جاءت على هامش المؤتمر ، محاولة لتغطية هذا النقص الفادح ، الذي اوقع المؤتمرون وضيوفهم في فراغ كبير·فافتتح معرض لصور الفنان الشهيد هاني جوهرية كما نظم معرض للكتاب الفلسطيني · كما صدرت مجموعة قصصية فلسطينية تضم نخبة من القصص الفلسطينية · كما نظم مهرجان للشعر بقي ضمن اطار المؤتمرين· وبقيت الحياة الثقافية التونسية نفسها خارج المؤتمر دون اي تفاعل حقيقي ما عدا بعض المقابلات الصحفية ·

بعد هذا المؤتمر الثاني ، اصبح اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين مطالبا بالحد الادنى ، ثقافيا وسياسيا · فهل تستطيع الامانة الجديدة ان تنتقل بالاتحاد من صعوبات مرحلة التأسيس الى وضوح الدور الثقافي والسياسي ؟ ان جواب الاتحاد سوف يكون تجربة خاصة · فهو احد الاتحادات العربية القليلة التي تتمتع بديمقراطية فعلية · وهو لا يستطيع ان يقوم الا بهذه الديمقراطية لذلك تصبح مسؤولياته اكبر · ويصبح دوره اكثر خطورة · ان التحول بالاتحاد من التأسيس الى الانتاج ، عبر تأسيس دار للنشر والمجلة الثقافية ( كما قرر المؤتمر ) يستطيع ان يسد فراغا ثقافيا · ويستطيع ان يتحول من اداة لطباعة الكتب الى حافز ثقافي وابداعي ولو في الحدود الدنيا ·

هذا الدور ، هو مبرر وجود · وهو قاعدة نمو · وهو جزء من العملية الثورية الطويلة والمعقدة ، التي يخوضها شعبنا·

ا·خ·

(٢)

# لجنة حقوق الانسان في دورتها الثالثة والثلاثين

## جنيف ٧ شباط - ١١ آذار ١٩٧٧

عقدت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة دورتها الثالثة والثلاثين في جنيف بحضور اعضائها الاثني والثلاثين ومن بينهم اربع دول عربية ( مصر - ليبيا - الاردن - سوريا ) وعدد كبير من المراقبين بينهم وفد منظمة التحرير الفلسطينية ٠

كان للدورة هذا العام اهمية خاصة ذلك ان الادارة الاميركية الجديدة قامت بحملة سياسية واعلامية واسعة قبل انعقاد الدورة محاولة اظهار نفسها كبطل لحقوق الانسان في العالم مركزة اكثر ما يكون على انتهاكات حقوق الانسان داخل الاتحاد السوفياتي ( قضية المنشقين السوفيات ) لغايات سياسية واضحة ٠ وقد تطوعت اجهزة الاعلام الغربية لخدمة هذا الغرض واعطت صورة مكبرة عن اعمال اللجنة لهذه السنة في حين انها في السابق لم تعرها الاهتمام اللازم ، خاصة وان اللجنة كانت تدين اكثر ما تدين دولا تحظى بعطف وتأييد الكتلة الغربية كاسرائيل والنظام العنصري في جنوب افريقيا ٠

وفي اولى جلساتها انتخبت اللجنة مندوب يوغسلافيا ( الكسندر بوزوفيتش ) رئيسا لها كما انتخبت مندوبي مصر وكوبا وايطاليا نوابا للرئيس ومندوب الباكستان مقررا للجنة ٠ وتجدر الاشارة هنا ان الرئيس بوزوفيتش من خلال مواقفه داخل اللجنة في السنوات الماضية هو من اشد مناصري حقوق شعبنا الفلسطيني ومن اعنف المنددين بممارسات سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي المحتلة ٠

وكان جدول اعمال اللجنة لهذه الدورة يتضمن عدة نقاط ابرزها قضية انتهاكات حقوق الانسان في الاراضي المحتلة كنتيجة للنزاع في الشرق الاوسط ، وقضية انتهاكات حقوق الانسان في افريقيا الجنوبية وناميبيا وزيمبابوي التي تمارسها انظمة الاقلية البيضاء في جنوب القارة الافريقية ، وقضية انتهاكات حقوق الانسان في الشيلي وقبرص ٠

وحيث ان قضية انتهاكات حقوق الانسان في الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ كانت تتسم بدرجة عالية من الافضلية ( بموجب قرار اللجنة في دورتها الثانية والثلاثين ) فقد تقرر ادراج هذه النقطة في البند الاول من جدول اعمال اللجنة لهذه السنة ٠

وقبل بدء اعمال اللجنة عقدت المجموعة العربية داخل اللجنة عدة اجتماعات بحضور مندوب منظمة التحرير الفلسطينية، تقرر فيها تشكيل لجنة من مندوبي مصر وليبيا ومنظمة التحرير كلفت باعداد مشروع القرار الذي سيعرض على لجنة حقوق الانسان للتصويت عليه بعد انتهاء المناقشة العامة الخاصة بهذا البند ٠

وعند بدء المناقشة العامة داخل اللجنة القى مندوب منظمة التحرير كلمته باللغة الفرنسية فشدد على تمسك شعبنا الفلسطيني بالقيم الانسانية التي تعتبر اساسا للاعلان العالمي لحقوق الانسان وعزمه على مواصلة الكفاح من اجل حقه في تقرير المصير واستقلاله · كما ركز على الانتهاكات المتعددة والمتمادية التي تمارسها اسرائيل ليس فقط في الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ وانما ايضا في الاراضي العربية المحتلة منذ ١٩٤٨ · وكان نتيجة ذلك الانتفاضة الكبيرة التي قام بها شعبنا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وايضا في الجليل وفي المثلث رافضا الاحتلال ومعلنا تعلقه بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد له · ثم اثار مندوب المنظمة موضوع الاسرى داخل السجون الاسرائيلية ، وبعد ان عرض اوضاعهم داخل السجون وحالات الوفاة التي حصلت بينهم طالب اللجنة وعلى وجه السرعة بارسال برقية الى سلطات الاحتلال الاسرائيلية تعرب فيها عن قلقها لحالة معتقلينا داخل السجون وتطالب سلطات الاحتلال بوضع حد فوري لسوء المعاملة داخل السجون، وباحترام نصوص اتفاقيات جنيف بهذا الخصوص ·

وبعد انتهاء مندوب منظمة التحرير من القاء كلمته طلب عدة مندوبين الكلام بينهم مندوبي سوريا والسنغال، وكوبا ومصر والاردن واوغندا فايدوا ما طرحه مندوب المنظمة حول موضوع البرقية وطالبوا اللجنة ان تتخذ قرارا في هذا الموضوع دون ابطاء وقبل متابعة المناقشة العامة ·

وقد عارض مندوبو الدول الغربية وعلى راسهم الولايات المتحدة وكندا مضمون نص البرقية كما اعده مندوب الباكستان وزعموا بان التهم المساقة ضد اسرائيل غير ثابتة وان ذلك يعتبر تدخلا في شؤون اسرائيل الداخلية · كما عارض مندوب الكيان الصهيوني الذي يحضر اعمال اللجنة بصفة مراقب هذا الاجراء وانكر التهم المنسوبة اليه على الرغم من ان الصحافة الغربية وحتى الاسرائيلية كانت تنقل اخبار حركة الاضرابات داخل السجون الاسرائيلية مما يعطي صورة كافية عن سوء المعاملة التي يتعرض لها مناضلونا ·

وبعد انتهاء النقاش حول موضوع البرقية صوتت اللجنة على النص الذي اعده مندوب الباكستان وادخلت عليه بعض التعديلات ففاز باثني وعشرين صوتا بينما عارضه كل من الولايات المتحدة وكندا وكوستاريكا وايطاليا وامتنع عن التصويت كل من المانيا الفدرالية والسويد وبريطانيا والاورغواي والنمسا ·

وبعد ذلك تابعت لجنة حقوق الانسان مناقشتها العامة وكان قد اعد مشروع القرار الذي ساهم في اعداده مندوب منظمة التحرير · فعرض اولا وفي اجتماع خاص على مجموعة دول عدم الانحياز التي اقرته وكلفت مندوب الباكستان بتقديمه امام اللجنة وباسم كل من باكستان وكوبا وقبرص والهند ونيجيريا واوغندا وفولتا العليا ويوغسلافيا ، وهنا ايضا قامت الدول الغربيةبمهاجمة مشروع القرار هذا بعد ان كانت قد شككت في التقرير الذي قدمته اللجنة الخاصة للتحقيق في ممارسات اسرائيل داخل الاراضي المحتلة والتي يرئسها السيد امرانسنغ الرئيس الحالي للجمعية العمومية للامم المتحدة ·

وغند طرح مشروع القرار علىالتصويت طالب مقدمو المشروع فصل الجزء المتعلق بمطالبة اسرائيل بتطبيق اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ · والتصويت عليه على حدة كما طالب مندوب ليزوتو فصل البند ١٢ من مشروع القرار والتصويت على هذا البند على حدة ·

ونتيجة التصويت فاز الجزء الاخير من المشروع المتعلق بتطبيق اتفاقيات جنيف

بالاجماع بينما حصل مشروع القرار ( باستثناء البند ١٢ ) على ٢٣ صوتا · وقد صوت ضد ، كل من الولايات المتحدة وكوستاريكا بينما امتنع كل من النمسا والسويد وكندا والمانيا الفدرالية وبريطانيا وايطاليا والاورغواي ·

اما فيما يختص بالبند ١٢ من مشروع القرار وهذا البند ينص على ادراج « قضية انتهاكات حقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة بما فيها فلسطين» في جدول اعمال الدورة القادمة للجنة وبدرجة عالية من الافضلية فقد حاز على ٢٢ صوتا في حين ان الولايات المتحدة وكوستاريكا وبريطانيا وكندا والمانيا الفدرالية صوتت ضده وامتنع كل من السويد وليزوتو والاورغواي والنمسا وايطاليا ·

**ملاحظات حول القرار رقم**
**E/CN 4/L. 1342**
**الذي يدين اسرائيل**

ان هذا القرار اورد في مقدمته نفس المقاطع التي تضمنتها القرارات السابقة للجنة حقوق الانسان وفيها تذكير بالقرارات ٣٣٧٦ و ٣٣١٤ التي اتخذتها الجمعية العمومية للامم المتحدة والعنصر الجديد الوارد في المقدمة يتعلق بالبيان الصادر عن مجلس الامن بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٧٦ ·

اما مضمون القرار فانه يؤكد مرة اخرى ان اللجنة تعتبر الانتهاكات الاسرائيلية « كجرائم حرب واهانة للانسانية » كما وانه يعدد ما سبق ان ادانته اللجنة من انشاء مستعمرات جديدة وضم الاراضي العربية وتدمير المنازل وتدابير الاخلاء والابعاد والطرد المتخذة بحق السكان العرب ومنعهم من حق العودة · كما يدين الاعتقالات الجماعية والتعذيب وسوء معاملة المعتقلين ونهب وسلب المعالم الاثرية والثقافية الخ ···

الجديد في قرار هذا العام انه يطالب اسرائيل بالافراج عن جميع المعتقلين العرب كنتيجة لنضالهم من اجل تقرير مصيرهم وتحرير اراضيهم المحتلة كما يطالب بمنحهم وحتى موعد الافراج عنهم الحماية التي تنص عليها الاتفاقيات المتعلقة بمعاملة اسرى الحرب وتطالب الامين العام للامم المتحدة بجمع كافة المعلومات المتعلقة بعدد المعتقلين ، هويتهم مكان ومدد توقيفهم وبجعل هذه المعلومات في متناول اللجنة في دورتها القادمة ( البند رقم ـ ٨ ـ من القرار ) ·

اما الجديد الاهم في القرار هذا فوارد في البند الثاني عشر الذي ينص على تعديل تسمية هذا الموضوع من اعمال اللجنة بحيث يصبح كالتالي « قضية انتهاكات حقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة بما فيها فلسطين » · وذلك يعني انه بامكاننا في المستقبل اثارة موضوع الانتهاكات داخل الاراضي المحتلة منذ ١٩٤٨ وانه يترتب على اللجنة الانحناء على هذا الموضوع ومناقشته في حين انها لم تتطرق حتى الان الا للاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ ·

غير ان ذلك يصطدم بعقبات قانونية واجرائية · فلجنة حقوق الانسان تستند دائما في اعمالها الى التقرير الذي تقدمه كل سنة اللجنة الخاصة للتحقيق بالانتهاكات الاسرائيلية التي يرئسها السيد امراسنغ · وهذه اللجنة الخاصة تلقت تفويضها من الجمعية العمومية للامم المتحدة ومن مجلسها الاقتصادي والاجتماعي اللذان حددا لها مهمتها المقتصرة على التحقيق في الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة كنتيجة للصراع في الشرق الاوسط والصراع في الشرق الاوسط كما هو مفهوم لدى الهيئات الدولية ينطبق على حرب ١٩٦٧ · ولكي

يشمل البند الثاني عشر من القرار صلاحيات اللجنة الخاصة للتحقيق في الاراضي المحتلة منذ ١٩٤٨ يجب ان تعدل الجمعية العمومية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي طبيعة مهمة اللجنة الخاصة وتشير اليها بقرار جديد بضرورة التحقيق ايضا في الانتهاكات الاسرائيلية داخل فلسطين · وهذا يقتضي منذ الان القيام بمساع سريعة مع الدول العربية والدول الصديقة بحيث يحصل هذا التعديل في الدورة القادمة للجمعية العمومية للامم المتحدة والا فقد يبقى مضمون البند الثاني عشر دون اية نتيجة عملية ·

★ ★

**ملاحظات عامة :**

★ اثناء مناقشة موضوع التفرقة العنصرية فيجنوبالقارة الافريقيةوموضوع حق تقرير المصير للشعوب الرازحة تحت سيطرة الاستعمار والاحتلال الاجنبي تدخل مندوب المنظمة وسجل تضامن الثورة الفلسطينية ومساندتها لشعوب جنوب افريقيا وناميبيا وزيمبابوى في نضالها ضد النظام العنصري في جنوب افريقيا وروديسيا كما ركز في مداخلته على العلاقات الوثيقة القائمة بين الانظمة العنصرية في افريقيا والكيان الصهيوني ·

★ كما كان متوقعا فقد اثار مندوب الولايات المتحدة قضية المنشقين السوفيات والمعاملة السيئة التي زعم انهم يلقونها على ايدي حكومة موسكو · وقد اخذ هذا الموضوع جانبا كبيرا من مناقشات اللجنة وسلطت عليه الصحافة الغربية اضواءها في حين انها لم تكترث على الاطلاق بمناقشات اللجنة حول الشرق الاوسط او حول موضوع التفرقة العنصرية · غير ان اللجنة لم تلب طلب المندوب الاميركي بارسال برقية حول اوضاع المعتقلين في الاتحاد السوفياتي وكان الموقف العربي بجانب الاتحاد السوفياتي ولم تجن الولايات المتحدة من هذه القضية الا الضجة المصطنعة التي اثيرت حولها في اجهزة الاعلام الغربية وربما كان هدفها مقتصرا على ذلك فقط ·

★ اثارت حملة مندوب الولايات المتحدة على انظمة الحكم في الشيلي واورغواي وبوليفيا والبرازيل والارجنتين الاستغراب· وقد تركزت على انتهاك هذه الدول لحقوق الانسان وقد رد مندوبو هذه الدول بعنف على الولايات المتحدة ·

★ ان موقف الولايات المتحدة بجانب اسرائيل في المؤتمرات الدولية معروف ولم يعد يدهش احد · غير ان وفدنا لاحظ خلال هذه الدورة ان مندوب كندا من خلال كلماته ومداخلاته كان اكثر مندوبي اللجنة عداء لقضية شعبنا وكان يتشاور قبل كل كلمة يلقيها مع وفد العدو الصهيوني وقد تجاوز في احيان كثيرة حدود الاعتدال والمنطق التي يحرص عادة مندوبو الدول الغربية على مراعاتها ·

★ ان القرار الذي صدر عن لجنة حقوق الانسان يشكل انتصارا جديدا لقضيتنافي مجال العمل الدولي وينبغي منذ الان التهيئة للدورة القادمة للجنة حقوق الانسان وذلك بجمع كافة المعلومات التي ترد حول اوضاع شعبنا في الاراضي المحتلة منذ ١٩٤٩ كي نستطيع في السنة القادمة تطوير هذه القرارات وتصعيد نضالنا الديبلوماسي ضد عدونا ·

**شوقي ارملي**

## اسرائيليات

# الانتخابات :
# بيريس مرشح حزب العمل لرئاسة الحكومة المقبلة

تعتبر استقالة رئيس الحكومة الاسرائيلية يتسحاق رابين من منصبه ومن رئاسة قائمة حزب العمل للانتخابات المقبلة ، اهم حدث على الصعيد السياسي الداخلي في اسرائيل ، خلال الاسابيع الاخيرة • فقد استقال رابين بعد اقل من شهرين من انتخابه مرشحا لحزب العمل في رئاسة الحكومة المقبلة ، بعد انتصاره على شمعون بيريس وزير الدفاع الاسرائيلي ، بفارق بسيط في الاصوات ، وذلك في الانتخاب الذي جرى داخل مؤتمر حزب العمل •اما السبب الظاهري لاستقالة رابين فهو احتفاظه هو وزوجته بعملة صعبة في حساب مصرفي في الولايات المتحدة ، الامر الذي يعتبر مخالفا للقانون الاسرائيلي • وقد تقرر فيما بعد تقديم زوجته للمحاكمة ، بصفتها صاحبة الحساب ، وتغريم رابين بدفع غرامة مالية •

بعد استقالة رابين ، التي فاجأت الكثيرين داخل حزبه من المؤيدين والمعارضين له ، بدأت المشاورات العاجلة من اجل انتخاب مرشح جديد لرئاسة الحزب ، خاصة وان الوقت ضيق ، والانتخابات اصبحت على الابواب • واتضح فيما بعد ان هناك تأييدا كبيرا داخل مركز الحزب لاختيار شمعون بيريس ، منافس رابين خلال فترة توليه رئاسة الحكومة ، رئيسا لحزب العمل ، حتى بين مؤيدي رابين سابقا • وقد ادى هذا الامر الى تحقيق اتفاق داخل مركز الحزب ، يكون بموجبه بيريس رئيسا للحكومة المقبلة ، ويغئال الون وزير الخارجية الحالي ، وزيرا للدفاع ، وابا ايبن وزير الخارجية السابق ، وزيرا للخارجية •

وقد هدد حزب مبام ، شريك حزب العمل في المعراخ ، بالانسحاب من المعراخ وخوض الانتخابات بصورة مستقلة في حال انتخاب بيريس ، الا انه بعد مناقشات طويلة داخل الحزب ، وبعد لقاءات عديدة مع زعماء حزب العمل وعلى رأسهم بيريس والون ، قرر مبام البقاء في المعراخ الامر الذي ادى الى انسحاب العشرات من العاملين بين صفوفه ، ممن يعارضون البقاء في المعراخ على هذا الشكل • وفور انسحابهم عقدوا مؤتمرا صحافيا في تل ابيب ، حيث اعلنوا انهم يعتبرون استقلال مبام مساهمة كبرى من اجل السلام ، ومن اجل اعادة رص صفوف الحزب• واذا قرر مبام الظهور بلائحة مستقلة فسوف يعود المنسحبون واحدا تلو الاخر الى مراكزهم الحزبية ، ويتأهبون لمعركة الانتخابات ، من اجل الطريق التاريخي لمبام المستقبل » ( راؤ ، ١١/ ٧٧/٤ ) •

وتعود المعارضة لشمعون بيريس داخل حزب مبام الى ثلاثة اسباب رئيسية ذكرتها عال همشمار( ٧٦/١٢/٢٦ )على النحو التالي : اولا : الجدل الذي كان قائما بين مبام ورافي بشأن اقامة المعراخ • وكان يتزعم رافي آنذاك

دايان وبيريس · ثانيا : خلافات اساسية بشأن الضفة الغربية ، فبينما ينيادي وزير الدفاع بحل وسط على الصعيد السياسي ـ الوظيفي ، فأن مبام يدعو الى حل اقليمي وسط · ثالثا : هناك خلاف بين بيريس ومبام بشأن النظرة الى حركة « غوش ايمونيم » المتدينة والمتطرفة ، التي لا يخفي بيريس تعاطفه مع اهدافها الاستيطانية ·

يعتبر تولي بيريس لرئاسة الحزب ، ولرئاسة الحكومة المقبلة في حال فوز المعراخ في الانتخابات ، نجاحا لاتجاه الصقور داخل الحزب ، الذين يدعون في الاساس الى تقوية الاستيطان في المناطق المحتلة · ويدعو بيريس الى حل وظيفي في المناطق المحتلة بدلا من الحل الاقليمي ، ويتمثل هذا الحل في بقاء سيطرة اسرائيل على المناطق المحتلة ، وتقوية الاستيطان اليهودي داخلها ، مع السماح لسكانها بالانتماء سياسيا الى دولة اخرى ، وهو نفس رأي دايان ، كما عبر عنه في مؤتمر حزب العمل · ويمكن التعرف على اراء بيريس من خلال كلمته امام اللجنة السياسية لحزب العمل التي انعقدت في تاريخ ٧٧/١/٧ ، حيث اوضح في بداية كلامه انه يقبل بالمباديء الاربعة عشر لحزب العمل ، ولا يرى ضرورة لتغييرها · واشار الى الاخطار الكامنة في تحديد الاهداف ورسم الخرائط منذ الان ، ثم التنفيذ على مراحل ، مؤكدا ان ذلك سيؤدي الى مواجهة حادة مع اصدقاء اسرائيل والولايات المتحدة ايضا ·

وقال بيريس : « ليست الضمانات الامنية كفيلة بضمان امننا ، واكد ضرورة الحدود التي يمكن الدفاع عنها ، مشيرا الى ان العودة الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، لا يمكن ان توفر تلك الحدود » · واضاف : « اذا شكلت خلايا للمخربين في الضفة الغربية ، فلن تستطيع اية قوة دولية مكافحتهم » · واشار الى مسألة الاستيطان فطالب بالحفاظ على الاندفاع الاستيطاني قائلا : « ليس هناك فراغ ، فاذا لم نستوطن نحن فهناك استيطان عربي هادىء ولكن كثيف » ·

وتطرق بيريس الى مؤتمر جنيف ، فطالب بالحذر لانه اذا جرى الحديث عن حل شامل ، فستتبلور جبهة عربية مشتركة مدعومة بقوة من السوفيات الامر الذي سيضطر الاميركيين ايضا الى اتخاذ موقف بالنسبة الى الخارطة والحدود النهائية · وهذا يعني مواجهة مع الولايات المتحدة · وقال بيريس ان المباحثات الشاملة تحمل في طياتها خط المطالبة باقامة دولة فلسطينية فورا · وعاد بيريس واكد ان افضل اسلوب لمعالجة الوضع هو اسلوب الخطوة ـ خطوة « لان العرب لن يقبلوا باقصى خارطة معتدلة نقدمها ، ونحن لا نستطيع القبول بأي شيء اقل من السلام ، وسياسة الخطوة ـ خطوة تخلق جوا جديدا في الشرق الاوسط » · واضاف بيريس ان الهدف الرئيسي هو السلام ، وانه لن يعارض حلا اقليميا وسطا في اطار اتفاق سلام حقيقي ، اذا كان ذلك ممكنا ، لكنه اضاف : « اعتقد بأن الحل الوظيفي له احتمالات اكبر من الحل الاقليمي ، ذلك ان الخلافات تتمحور في اساسها حول القدس » ( هآرتس، ٧٧/١/٩ ) ·

وجدد بيريس ، في مقابلة مع اذاعة اسرائيل عشية اختياره لتولي رئاسة الحزب ، المباديء الاساسية لحكومته في المستقبل قائلا : « ان حكومة بيريس تستند على مباديء المعراخ التي تقول اولا : اننا نسعى للسلام الكامل والحقيقي مع البلدان العربية · ثانيا :

اننا بثمن السلام ، على استعداد للقيام بحلول وسط اقليمية في الجبهات الثلاث، اي المصرية والشرقية والشمالية· ثالثا : عدم عودتنا الى حدود العام ١٩٦٧ ، ذلك انه في حال تحقيق تسوية اقليمية ، فانها يجب ان تؤدي الى حدود قابلة للدفاع وآمنة ومعترف بها » ( وأ ، ٧٧/٤/١١ ) ·

وتفيد المعلومات ان جماعة بيريس يسيطرون على مركز حزب العمل الجديد الذي يبلغ عدد اعضائه ٨١٦ شخصا ( امنون برزيلاي ـ هآرتس ، ٧٧/٣/٦)· وتتمثل اهمية مركز حزب العمل في كونه « المؤسسة العليا التي تجتمع بين مؤتمر واخر ، وهو الهيئة المفوضة لانتخاب رئيس للحكومة ، والمرشح لرئاسة الدولة (في المؤتمر الاخير ، تقرر ان يقوم المؤتمر بانتخاب المرشح لرئاسة الحكومة )، والمرشح لرئاسة الكنيست ، وسكرتير الحزب واعضاء الكنيست ، وجميع اصحاب المناصب المنتخبة الاخرى · والمركز الذي كان يجتمع في الماضي مرتين في الشهر ، خصصت له مهام رئيسية ، وخاصة اتخاذ قرارات بشأن القضايا السياسية ـ والامنية ( اتفاق وسط ، انسحاب ) او المسائل الاقتصادية والاجتماعية · والهدف من هذه القرارات هو توجيه مبعوثي الحزب في الكنيست والحكومة · ان لمركز الحزب الرئيسي في الدولة ، وزنا هاما في الحياة السياسية والاجتماعية » ( هآرتس ، ٧٧/٣/١٤ ) ·

### الفرصة الاخيرة لكتلة ليكود

تتميز كتلة ليكود بتماسكها وانضباطها قبيل الانتخابات ، بالمقارنة مع الاحزاب والكتل الاخرى ، سواء في المعراخ او بين احزاب الوسط · ويتزعم قائمة مرشحي ليكود للانتخابات المقبلة زعيم حركة حروت مناحيم بيغن ، وزعيم حزب الاحرار سيمحا ارليخ · وكان مجلس ليكود قد صادق في مطلع الشهر الماضي على البرنامج السياسي للكتلة، حيث ورد في بنوده الرئيسية ان « اليهودة والسامرة ( اي الضفة الغربية) لن تسلم الى اي حكم اجنبي ، وانه بين البحر وبين الصحراء لا توجد سوى السيادة الاسرائيلية فقط ·· وفي المفاوضات مع مصر وسوريا ، التي تهدف الى تحقيق معاهدة سلام ، ستسعى حكومة الليكود الى تحقيق اتفاق يأخذ بالاعتبار مصالح جميع الاطراف » ( معاريف ، ٧٧/٣/٢ ) · اما البرنامج الاقتصادي فيتضمن اربع فقرات رئيسية : (١) تحديد الغلاء الى نسبة ١٥ ٪ سنويا، بهدف الوصول الى نسبة غلاء سنوية لا تفوق العشرة بالمئة ، والحفاظ على وضع العمالة الكاملة ـ وذلك من اجل كبح التضخم المالي · (٢) تجديد الانعاش الاقتصادي وسرعة النمو وتشجيع استثمارات الانتاج للصادرات، والسعي نحو زيادة الانتاج القومي بنسبة ٤٠ ٪ خلال خمس سنين ، الامر الذي يلزم ان يكون معدل نسبة النمو من ٥ـ٨ ٪ سنويا · (٣) تقليص العجز في الحساب الجاري في ميزان المدفوعات حتى ٤٠ ٪ من حجمه الحالي، خلال خمس سنوات · (٤) تحديد تدخل الحكومة في الفعاليات الاقتصادية وسوق المال ، وتشجيع المبادرة الحرة ، من خلال تقليص حجم العيوب في القطاع الاقتصادي حتى الغائها بصورة كاملة · ( المصدر نفسه ) ·

ويعلق زعماء كتلة ليكود امالا كثيرة بالفوز خلال الانتخابات المقبلة. نظرا لما يعانيه من مشاكل ، وما تسبب به من اخطاء خلال السنوات الاخيرةفي اسرائيل ، « فرغم التفاؤل البارز في الدعاية الانتخابية يتساءل اشخاص في ليكود مرة اخرى : ماذا يجب ان يحدث بعد ولم يحدث ؟ ففي المجال السياسي لا تستطيع حكومة رابين ان تفتخر بمكاسبها ، او حتى ان تعرض خطة

سياسية واضحة ، كذلك فان مظاهر الفساد في القيادة وآثار جذورها بين شريحة واسعة داخل المؤسسة ، لم تؤد ابدا الى انحطاط في المجتمع كما هو عليه اليوم ، ان اقتصاد الدولة ، خاصة علاقات العمل المتدهورة ، لا سابقة لها ، حتى بالمقارنة مع ايام الانكماش في الستينات، كذلك فان الخلاف الواضح في قيادة الحزب الحاكم ، كما عبر عنه في مؤتمر حزب العمل ، يفقد الحزب قدرة المناورة ويلقي الشك حول قدرته على المنافسة بصورة فعالة في معركة الانتخابات · ان كل سبب من الاسباب المذكورة اعلاه ، كان يجب ان يضمن افضلية لليكود ، واذا كانت هناك شكوك قوية حول فوزه – فلماذا ؟ » ( يهوديت فينكلر ٧٧/٣/٢٨ ) · وتركز كتلة ليكود في دعايتها الانتخابية على المواضيع السياسية ، حيث يبدو ان لا تغيير في مواقفها السابقة منها ، كرفض الانسحاب من المناطق المحتلة بصورة مطلقة خاصة الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتحقيق السلام مع العرب بدون اعادة الجولان والقسم الاكبر من سيناء ثم اقامة المستوطنات في جميع انحاء المناطق المحتلة · ولكن زعماء ليكود لا يعلنون كيف يمكنهم تحقيق سلام كهذا· وكما يبدو لهم فان الوضع الداخلي لا يقل شانا عن الوضع السياسي ·

« لقد بدأوا يشعرون بين صفوف ليكود ، ان القرارات المطلوبة في الاساس يجب ان تكون حول اساليب اقتصادية، ولضمان طهارة القيادة ، وتحسين نوعية المعيشة ، وتقليص الثغرة الطائفية – وحول مسائل كثيرة تتعلق بهذه المواضيع » ·( المصدر نفسه ) ·

وتتطرق الكاتبة الى الخلافات في الرأي القائمة بين صفوف كتلة ليكود بقولها : « كما ان المعراخ ليس من طينة واحدة، فان الليكود ، يجمع تحت سقفه اصحاب وجهات نظر متباينة · فبالنسبة للموضوع السياسي ، يوجد في حزب الاحرار اراء تميل نحو الاعتدال · وبالنسبة لموضوع الدين والدولة هناك استياء بين قطاعات واسعة داخل الليكود بسبب عدم توفر احتمال لضمان حرية التصويت لاعضاء الكتلة في الكنيست وبسبب عدم وجود نية لحرمان الاحزاب الدينية من سيطرتها بدون عوائق على المجالس الدينية واستخدامها لاهداف سياسية · ومن هنا ، فان الليكود لن يؤدي الى الفصل الذي تنشده اوساط اجتماعية واسعة ، بين الدين وبين الدولة ، ويمنع سن قوانين ترتكز في الاساس على بين الدين وبين الدولة ، ويمنع سن قوانين ترتكز في الاساس على احترام حقوق المواطن · ففي مواضيع الدين ، يوجد لقيادة حركة حروت تأثير غير منازع داخل الليكود ، حيث يعين الموقف من هذا الامر بوحي من مناحم بيغن · ان بيغن يعتبر الدين عمود وسط في الشخصية القومية ، ويعارض كل خطوة من شانها تقويض هذه المعادلة » · ( المصدر نفسه ) · وعلى هذا الاساس يتوقع ان تؤيد كتلة ليكود في الانتخابات جماعات دينية متعصبة ممن تؤمن بخطها السياسي امثال « غوش ايمونيم » ·

ان الهدف الاساسي لكتلة ليكود خلال هذه الانتخابات هو الوصول الى الحكم ، وعلى هذا الاساس ، يعتقد المراقبون ان هناك شكا كبيرا في استمرار قيام الليكود في حال فشله في تحقيق هذا الهدف · وقد اعترف رئيس الحكومة اسحاق رابين ( في مقابلة مع عال همشمار ، ٧٧/٤/١ ) ان الخصم الاساسي للمعراخ في معركة الانتخابات هو الليكود · « ففي نهاية الامر هناك مفهومان شاملان لحركة العمل والمعراخ في مركزها ، ولكتلة ليكود وحيروت في

مركزها ، بالنسبة للمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... ان الحسم في نهاية الامر يجب ان يكون بين الليكود وبين المعراخ ، هاتان الكتلتان فقط تمثلان مفاهيم كاملة ومتناقضة . لذلك فان كل صوت لا يعطى الى المعراخ بل يعطى الى جهة اخرى ، فانه يعتبر مفقودا في المنافسة الاساسية بين المعراخ وبين الليكود » .

### الاحزاب الدينية : انقسامات ونزاعات

ان الشيء المميز للاحزاب الدينية قبل الانتخابات، هو النزاع والانقسام داخلها، خاصة في الحزب الديني القومي (المفدال) حيث تم ابعاد احد زعمائه من قائمة المرشحين وهو عضو الكنيست يتسحاق رفائيل ، وذلك في الانتخابات التي جرت داخل اللجنة التنفيذية للحزب لاختيار المرشحين للانتخابات ، والتي اسفرت عن انتخاب عضو الكنيست دكتور يوسف بورغ للمكان الاول في القائمة ، عضو الكنيست زفولون هامر للمكان الثاني ، عضو الكنيست اهرون ابو حتسيدة ، وهو من كتلة رفائيل للمكان الثالث ، عضو الكنيست ابراهام ملميد للمكان الرابع ، وعضو الكنيست يهودا بن مئير للمكان الخامس . اما دكتور زيرح فيرهفتيج فقد انتخب للمكان الثامن .

ويعتبر ابعاد عضو الكنيست يتسحاق رفائيل انتصارا لنشاط الشباب داخل الحزب ، الذي يهدف منذ فترة الى ابعاد الزعامة التقليدية ، واستبدالها بزعامة جديدة . فقد كان ثلاثة زعماء قدامى في قيادة المفدال خلال السنين الاخيرة ـ عضو الكنيست يوسف بورغ ، عضو الكنيست يتسحاق رفائيل ، وعضو الكنيسة زيرح فيرهفتيج . ان ما حدث لهؤلاء ، عشية الانتخابات في اللجنة التنفيذية للحزب لاختيار قائمة المرشحين للكنيست ، يبرز التغيير الحقيقي داخل المفدال . فدكتور بورغ قوي مركزه ، بعد انتخابه في المكان الاول . اما زيرح فيرهفتيج ، فقد انتخب للمكان الثامن ، في حين ابعد يتسحاق رفائيل بصورة نهائية . « ان هذا يعتبر شبه ثورة قام بها ابناء الجيل الثاني والشباب . وكانت الفكرة في اساسها تتمثل في ابعاد القيادة القديمة كلها . وبعدما اتضح ان محاولة كهذه معرضة للفشل ، تبدل الهدف واصبح يتمثل في ابعاد جزء من القيادة القديمة ( اي دكتور رفائيل ) ، وخلق اندماج بين جزء اخر ( اي دكتور بورغ) وبين الشباب، بهدف نقل السيطرة داخل المفدال ، بصورة منظمة ، من بورغ الى الجيل الثاني مع عضو الكنيست هامر ، خلال الولاية المقبلة . وحقا فان الثنائي الذي يتزعم الان قائمة مرشحي المفدال للكنيست ، وهما عضوا الكنيست بورغ وهامر ، يمثل الدمج بين القدامى وبين الشباب . وواضح انه في الوضع الحاصل الان ، قوي جدا تأثير اوساط الشباب ، وينبغي الافتراض انه قبيل الانتخابات للكنيست العاشر ، سيكون ( هامر ) المرشح الوحيد لرئاسة « المفدال » . وعمليا باستثناء بورغ وفيرهفتيج ، لا يوجد في قائمة المفدال للكنيست تمثيل للزعامة القديمة ، حيث ان معظم المرشحين الاخرين هم من الشباب » ( ابراهام تيروش ـ معاريف، ٧٧/٣/٢٢ ) . وقد وصف رفائيل عملية ابعاده بانها مؤامرة ، وان هناك اتفاقا مسبقا لابعاده ، ووضع عضو الكنيست اهرون ابو حتسيده ، وهو من كتلته ، بدلا منه ( معاريف ، ٧٧/٣/٢١).

### انقسام اخر في « الجبهة التوراتية »

وحدث انقسام اخر في « الجبهة التوراتية » ( اغودات يسرائيل مع بوعلي اغودات يسرائيل ) التي خاضت

الانتخابات في الكنيست الثامن · ومن المقرر أن يخوض كل من جناحيها الانتخابات بفرده · ويحلل عضو الكنيست الحاخام يهودا مئير ابرموفيتش سبب الانقسام بقوله : « تبين لنا ان الكثير من اعضاء اغودات يسرائيل لم يصوتوا للقائمة بسبب هذه الشراكة ، كذلك فأن عددا من اعضاء بوعلي اغودات يسرائيل لم يصوت لهذا السبب ـ ولذلك خرج المعسكر الديني خاسرا · فقبل الشراكة كان هناك اربعة اعضاء في الكنيست لاغودات يسرائيل ، واثنان لعمال اغودات يسرائيل في الكنيست الثامن ، خسرنا المكان السادس وربحنا الخامس بصعوبة » ( في حديثمع ليفي يتسحاق هيروشلي ـ معاريف ، ٣/٢٧/ ٧٧ ) ·

وحسب الاحصاء الاخير فأن عدد المنظمين في اغودات يسرائيل يبلغ نحو ٢٠ الف عضو ، مركزين في اكثر من ١٠٠ فرع ، اكبرها في القدس حيث يوجد اكثر من خمسة الاف عضو ، وفي بني براك وتل ابيب · ويعرض زعماء اغودات يسرائيل حزبهم ، على انه حزب لا ـ صهيوني · وفي هذا الصدد يقول الحاخام ابرموفيتش ( المصدر السابق ) : « اننا نرى خطرا على حقيقة وجود شعب اسرائيل في المفهوم القائل ، ان كل من ينتمي الى اطار المنظمة الصهيونية ـ ويكفي انه ينفذ وصية واحدة تتمثل في الهجرة الى ارض اسرائيل والعيش فيها ، حتى اذا كان لا يحافظ على جميع وصايا التوراة ، ولا يتصرف حسب تقاليد اجدادنا ـ فانه يهودي جيد ، ويستطيع الحفاظ على استمرارية الاجيال كيهودي · هذا هو مفهوم خطير لحقيقة وجود الشعب اليهودي » · ويذكر ابرموفيتش ان هناك ثلاثة مواضيع لا تقبل المساومة بالنسبة لاغودات يسرائيل وبوعلي اغودات يسرائيل ، خلافا للمفدال ، وهي معارضة تشريح الموتى ،و معارضة منح تصاريح عمل ايام السبت ، وعدم التنازل في قضية « من هو اليهودي » · وهي القضية التي ثارت خلال السنوات الاخيرة في اسرائيل · وردا على سؤال اذا كانت اغودات يسرائيل تعتبر نفسها شريكة في الائتلاف الحكومي في المستقبل، يرد عضو الكنيست الحاخام لورانس ان « مجلس عظماء التوراة سيقرر ذلك· ونحن حريصون ، ولذلك لم نستجب لجميع الدعوات التي وجهت الينا في الماضي لدخول الحكومة · واذا قبلت الحكومة بموقفنا من القضايا الاساسية ـ « من هو اليهودي ؟ » ، تجنيد الفتيات في الجيش ، تشريح الموتى ، والغاء تصاريح العمل ايام السبت ـ فسأن الامر يمكن ان يدخل في الحسبان، ولكن القرار هو دائما لمجلس عظماء التوراة· وعندنا ليس هناك سؤال مع من يمكن الائتلاف · فاذا قبل موقفنا ـ نستطيع الائتلاف مع المعراخ او مع الليكود · اننا نسير مع المبدأ ـ وليس مع الاحزاب » ( المصدر نفسه ) ·

### احزاب الوسط : فشل قيام وسط ليبرالي

وبالنسبة لاحزاب الوسط ، فقد فشل قيام وسط ليبرالي يضم حزب الاحرار المستقلين ، وقائمة حقوق الانسان ، والحركة الديمقراطية للتغيير ، وقررت هذه الاحزاب خوض الانتخابات بصورة مستقلة ·

بالنسبة « للحركة الديمقراطية للتغيير » ( داش ) فقد تم انتخاب مرشحيها للكنيست ، وذلك في انتخابات مباشرة من قبل اعضاء الحركة في الفروع المختلفة · ويترأس قائمة المرشحين زعيم الحركة يجئال يدين وامنون روبينشتاين زعيم حركة التغيير ( لشينوي ) ومئير عاميت ، وشموئيل تامير من زعماء المركز الحر ، ومئير

زوريـــع · ويأتي شموئيل توليدانـــو ، مستشار رئيس الحكومة للشـــــؤون العربية سابقا ، في المكان السابع فـــي قائمة المرشحين ، أما « عكيفا نـــوف » من المركز الحر فياتي في المكان الثامن· ويحتل المكانين الثاني عشر والثالـث عشر درزيان وهما شفيق اسد وزيـــدان عـطشي « وليس هذا بغريب ، فـــــان اكثر من ٣٠٠٠ درزي قد منحـــــوا اصواتهم للحركة ، مما مكن توليدانو من الفوز بالمكان السابع » ( راأ ، ٣/١٨/ ٧٧ ) ، وذلك بفضل نشاطه في القطـاع العربي في هذا المجال ، والعلاقـــات الشخصية التي يملكها مع العـرب ·

وتكشف حركة يدين نشاطها الدعائـي قبل الانتخابات ، حيث تقوم بتوزيـــع المنشورات بين الناخبين وعلى الصحف· وظهر من خـلال اعـلاناتها في الصحف ان مبادئها ترتكز عـلى الاسس التالية :

«١ ـ السعي نحو السلام: فالهدف الاساسي للسياسة الاسرائيلية هو السعـي نحـو سلام دائـم في المنطقة ، يضمن وجـــود واستقلال وسيادة اسرائيل » ·

« ٢ ـ الاستعداد للتسوية : ان شعب اسرائيل يملك حقا تاريخيا فـــي ارض اسرائيل ، ولمناطقها اهمية امنيـة ذات قيمة بالغـة · مع ذلك ، فأن السعي نحو السلام ، والحفاظ عـلى الطابع اليهودي ـ الديمقراطي لدولة اسرائيل ، يلـــزم استعدادا للقبول بتسوية اقليمية توفـر الامن ، كجزء غـير منفصل من اتفـــاق سلام،مكتوب وعملي، يؤدي الى توفيرحياة طبيعية في المنطقة · وهذا معنـــاه الغاء المقاطعـة العربية والدعاية المعـاديـــة ، وحرية الملاحـة ، وحدود مفتوحـــــة او تبادل السفراء ، وايجاد عـلاقـــات تجارية وسياحية ، وتبادل الخبـــرة والتعاون الاقتصادي الاقليمي ·

«٣ ـ حدود آمنة : وفي اتفاق السلام بيننا وبين الدول العربية يتم ضـــــمان حدود آمنة لاسرائيل ، حيث يكـون الاردن هو الحـد الامني من الشرق ، مع ضـم مناطق واقعـة الى الغـرب منه ، تكون ضرورية للسيطرة الامنية عـليه · كذلك فاننا نعارض اي انسحـاب فـي هـذه المنطقة بدون اتفاق سلام كامل ·

« ٤ ـ القدس الموحدة ـ عاصمة اسرائيل: ان القدس الموحدة هي عاصمة اسرائيل مع ضمان حرية العبادة في الاماكـن الدينية لجميع الاديان ·

«٥ ـ دولة عربية واحدة ـ شرقي اسرائيل: ان دولة فلسطينية مستقلة ذات سيـادة غربي الاردن ستشكل خطرا على امـــن اسرائيل ووجودها لذلك نعارض اقامتها· ويجب ان تكون جارة اسرائيل من الشرق دولة عربية واحدة ، عاصمتها في شرقي الاردن · ويقوم مواطنوها بتعييـــن اسمها ، ونظام حكمها وطابعها السياسي· وفي هذه الدولة ، سيتوفر الحل لمشكلـة الهوية الفلسطينية ، في اطار حق تقريـر المصير لجميع مواطنيها ·

«٦ ـ استيطان امني : ان الاعتبار الامني سيكون الموجه في تعيين الافضليات لاماكن الاستيطان ، والافضلية الاولى في الجهد الاستيطاني ستعطى في قطاع غـــور الاردن » ( دافار ، ٧٧/٣/٣٠ ) ·

يستدل من هذا الاعـلان ان مباديء حركة يدين لا تختلف تقريبا عن مبـاديء حزب العـمل الحاكم ، خاصة فيمـــا يتعلق بالمناطق المحتلة ، وحـل القضيـة الفلسطينية · لذلك فان القضايا الداخلية، وتغيير طريقة الانتخابات هي المواضيـع الاساسية التي تعتمد عليها حركـــة « داش » للفوز في الانتخابات المقبلـة · ويجمع المعـلقون ان هذه الحركة تعتبـر خـطرا عـلى المعـراخ والليكود فـي ان واحد ، حيث تضم اشخاصا عديدين مـن هذين المعسكرين ، وهذا يجعـلها قـوة اساسية في الخريطة السياسية بعـــد

الانتخابات ، حيث يحتمل ان يتوقف تشكيل الحكومة القادمة على قرارها النهائي بشأن من ستأتلف معه · ويمكن القول، باختصار ، ان حركة يدين تراهن على ضيق الاسرائيليين من حكم المعراخ ، « فالجمهور تعب من التقصيرات ، والفشل والفضائح ، وبات ينشد التغيير ـ هذا ما يقوله احد اعلاناتها » (يونيل ماركوس ـ هارتس ، ٧٧/٣/٢٥ ) ·

**الموقف من القضية الفلسطينية سبب الخلاف داخل الاحرار المستقلين**

عقد حزب الاحرار المستقلين مؤتمره العاشر وسط اجواء مشحونةبالخلافات ووجهات النظر المتباينة · وقد حاولت مجموعة واسعة داخل الحزب ، ايجاد مخرج للازمة داخله ، عن طريق تبديل القيادة في الكنيست وفي الحكومة· « الا انه اتضح في المؤتمر ان مشكلة الحزب الاساسية لا تتمثل في تبديل القيادة القائمة ، وانما في عدم وجود بديل حقيقي لها · فحتى اذا انسحب الوزير موشي كول من قائمة المرشحين للكنيست ، فانه سيبقى زعيم الحزب غير المنازع ، تماما كمئير يعري في مبام او بن غوريون في حركة العمل» ( يهوديت فينكلر ـ هآرتس ، ٧٧/٣/٢)· وقد ادت الانتخابات داخل الحزب ، لاختيار مرشحيه للكنيست ، الى ابعاد عضو الكنيست يهودا شعاري الذي يترأس وسط يهود رومانيا داخل الحزب، وانتخاب الاعضاء جدعون هاوزنر ونسيم اليعاد وابراهام حسون وتسفي نير · ويبدو ان الخلاف داخل الحزب قد بدأ قبل مدة مع بدء الحوار في مركز الحزب حول القضية الفلسطينية · فقد ذكر المحامي يتسحاق ناتر ، رئيس ادارة حزب الاحرار المستقلين المستقيل ، في حديث مع يهوشواع بيشور ( معاريف ، ٧٧/٣/٢٢ ) ، ان الخلاف قد « بدأ قبل سنة تقريبا ، عندما جرى في مركز الحزب نقاش صاخب حول المشكلة الفلسطينية · وتركز الصراع بين اولئك الذين اعتبروا حزب الاحرار المستقلين حزبا وسطا بين الحمائم والصقور ، ذا اعتدال متزن ، يقترب في سياسته تقريبا من مواقف التيار المركزي في حزب العمل ، وبين نشيطين كثيرين من جيل الشباب ، الذين حاولوا بكل قوتهم جذب الحزب نحو التيار الحمائمي المتطرف ، كما هو مقبول عندنا في الاساس لدى معسكر اليسار المتطرف· ويؤيد هؤلاء بصورة مبدئية العودة الى حدود ١٩٦٧ ( مع تغييرات طفيفة حسب صيغ روجرز وكارتر ··· ) ومنح حق تقرير المصير للفلسطينيين ، الامر الذي يعني عمليا ، الموافقة على اقامة دولة ثالثة ، فلسطينية ، بين اسرائيل وبين الاردن » · ويذكر المتحدث انه خلال التصويت الذي جرى حول رجهتي النظر ، فازت المجموعة الثانية، اي جماعة الشباب ، على المجموعة الاولى التي كانت تمثل الخط التقليدي للحزب ، والمتمثل في السياسة المقبولة لدى الاكثرية داخل الحكومة ، « وبموجبه ينبغي الموافقة على تنازلات اقليمية في اليهودة والسامرة ايضا ، بشرط انيكون الاردن الحد الامني ، وان يكون شرقي اسرائيل دولة واحدة فقط ، اردنية ـ فلسطينية » · ويذكر المتحدث ان عضو الكنيست يهودا شعاري رئيس كتلة الاحرار المستقلين في الكنيست وكان يتزعم جماعة الشباب ، حيث اعرب في كل نقاش سياسي داخل الكنيست عن مواقف حمائمية متطرفة ، وكان يعمل على تنظيم مجموعة تترأس قائمة المرشحين للكنيست ، وتكون اراؤها مماثلة لاراء مجموعته · وقد نجح في ذلك الى حد بعيد ، حيث جهز قائمة متفق عليها داخل الحزب ، تضمه هو وكل من الوزير جدعون هاوزنر ، وابراهام حسون ممثل الاحرار

المستقلين في اللجنة التنفيذية في الهستدروت ، والمسؤول عن تنظيم الشباب تسفي نير · الا ان معارضة عضو الكنيست نسيم اليعاد ، الذي يعتبر رجل الطوائف الشرقية داخل الحزب ، قد اثمرت ، حيث نجح في ابعاد يهودا شعاري والحلول مكانه · الا ان هذا الامر يعتبر صراعا على المقاعد اكثر من كونه هزيمة لشعاري داخل الحزب ، رغم ان البرنامج السياسي الذي تبناه المؤتمر ، يعتبر برنامج خيارات مفتوحة لجميع الاتجاهات · « فالاحرار المستقلون يؤيدون التسوية الاقليمية على جميع الجبهات ، ويؤيدون الاستيطان من على جانبي الخط الاخضر بموجب قرارات الحكومة ومتطلبات الدولة السياسية والامنية · كذلك يؤيد الحزب الذهاب الى مؤتمر جنيف ، والمفاوضات مع الفلسطينيين بشرط ان يعترف هؤلاء بدولة اسرائيل ، ويعربوا عن استعدادهم لاقامة علاقات سلام معها ··· وعلى اساس هذا البرنامج يستطيع الاحرار المستقلون ان يشاركوا حتى في ائتلاف مع الليكود ، حيث ان كل شيء يتعلق بالتفسير الذي يعطى لهذه البنود » ( يهوديت فينكلر ـ هآرتس ، ٢ـ٣ـ٧٧ ) ·

## حركة « شالوم تسيون » تخوض الانتخابات بمفردها ·

فشلت المفاوضات بين اللواء ( احتياط ) اريئيل شارون زعيم حركة « شالوم تسيون » وبين الليكود بشأن الاندماج بينهما ، وقرر شارون في اللحظة الاخيرة خوض الانتخابات بمفرده ، متهما اعضاء ليكود ، خاصة زعيم الاحرار سيمحا ارليخ ، « بمحاولة التلاعب عليه ، من اجل اضاعة الوقت وعدم تمكينه من تقديم لائحته المستقلة الى الانتخابات » ( رأ ، ١٣ـ٤ـ٧٧ ) · ولكن شارون عاد واكد انه سيحاول تشكيل جبهة مع الليكود بعد الانتخابات · ويقول ان اكثر من ٢٠ الف نشيط يعملون مع حركته ·

وفي مقابلة مع معاريف ( اجراها دوف غولوشتاين ـ معاريف ، ٢٥ـ٣ـ٧٧ ) تحدث شارون عن مبادئه والاسس التي تقوم عليها حركته فقال : « في نظري ، فان كل ارض اسرائيل ، بما في ذلك شرقي الاردن ، هي وطن الشعب اليهودي ، ولم يكن ولن يكون هناك اي تحفظ حول ذلك·· ان هذه الارض تتحدث الي بالعبرية ، وبالعبرية فقط ··· ولو كنت مقتنعا ان كل يهودي ، في هذه الارض وفي العالم يسمع هذه العبرية ـ لما قلقت ابدا ، لا من التصريحات ولا من كارتر ولا من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة · ولكنني قلق ، قلق جدا · ان جذورنا ليست عميقة كفاية ، باستثناء الجمهور المتدين · ان الشكوك تنتشر بين اليهود ، وشعورهم نحو الوطن غير كامل · ان ارض اسرائيل تتحدث اليهم ، تصرخ اليهم ـ ولكنهم لا يسمعون ، شبه اصماء » · ويضيف شارون قائلا انه مستعد للتحدث الى الفلسطينيين حول مستقبل عمان اكثر من كونه مستعدا للتحدث مع حسين حول مستقبل نابلس والخليل · ان شارون يؤيد فكرة الحل الفلسطيني داخل الاردن، وباعتقاده ان هناك سببين يدفعانه الى ذلك : « (١) نظريا تستطيع اسرائيل الوصول الى اتفاقات سلام مع جميع الدول العربية ، ولكن اذا لم تجد حلا للمشكلة الفلسطينية فسيعود الوضع كما هو عليه بعد مضي وقت قصير ، ففي نهاية الاربعينات ومطلع الخمسينات ، وصلت اسرائيل الى شبه علاقات قريبة مع الدول العربية· ولكن العامل الذي ادى الى تدهور الوضع هو الفلسطينيون ، بسبب اعمال الارهاب القاسية ، وردود الفعل والحروب ـ وهذا هو الوضع حتى اليوم ··· « لذلك محظور علينا التقليل من وزن المشكلة الفلسطينية والتوهم بأنه يمكن فصلها عن قضية السلام مع الدول العربية » ··· والسبب الثاني، هو نصف مليون عربي اسرائيلي · انهم

فلسطينيون ولا يؤدون في هذا البلدواجبات المواطنين · انهم لا يدفعون ضرائب تقريبا، ولا يخدمون في الجيش · ولكنهم نشيطون بصورة كاملة في الحياة السياسية في اسرائيل ولهم تأثير عليها · انني اقول لعرب اسرائيل صراحة : ان اسرائيل ستضطر الى وضعهم امام الحقيقة : اما ان تكونوا مواطنين كاملين ، وتؤدوا جميع الواجبات بما في ذلك الخدمة في الجيش- وتحصلوا على جميع الحقوق ، او ان تفضلوا كونكم معفيين من اداء الواجبات- وعندئذ تكونون قاطنين في اسرائيل ، حيث يعيش هنا ٨٠ الف يهودي بهذه الصفة ، لا ينتخبون للكنيست ولا ينتخبون ( نتوري كارتا ) · بدلا من ذلك ، تكونون انتم عرب اسرائيل ، مواطني دولة اخرى، ومن الطبيعي ان تكونوا مواطني دولةفلسطينية لانكم فلسطينيون » ·

ويؤيد شارون المفاوضات مع وفد عربي مشترك يضم الفلسطينيين ، وذلك تجنبا للتنازلات التي ستقدمها اسرائيل لكل دولة على حدة ، في حال التفاوض مع وفود مستقلة · وبالنسبة له فان المسألة لاتتعلق بما سيحصل عليه العرب ، وانما ماذا تستطيع اسرائيل ان تمنحهم ، « وهي التي لا تستطيع ان تعطي شيئا يمس بأمنها ويشكل خطرا على وجودها » · فالبنسبة لهضبة الجولان لا تستطيع اسرائيل ، باعتقاده ، ان تنسحب ابدا، وكل ماتستطيع الموافقة عليه هو تجريد الجولان من السلاح ، اي خروج القوات العسكرية الاسرائيلية ، ولكن بشرط ان تبقى الهضبة مع اسرائيل · والدافع الاول لذلك هو المياه « التي تعتبر مسألة حياة او موت، حيث ان اكثر من ربع كمية المياه في اسرائيل مصدرها من منابع الاردن ·ان الحرب في الجولان لم تبدأ في ١٩٦٧ وانما في نوفمبر ١٩٦٤ عندما حاول العرب تحويل مجرى نهر الاردن · والسبب الثاني هو العمق الاستراتيجي ··· والسبب الثالث هو سيطرة سوريا على لبنان ···

من ينتبه في هذه اللحظة الى الحقيقة بان ميناء حيفا موجود تحت مرمى المدفعية السورية ؟··· »

كذلك يعارض الانسحاب ابدا من الضفة الغربية « لان جميع المراكز السكنية في اسرائيل موجودة تحت مرمى المدفعية من اليهودة والسامرة ··· كذلك فاذا اخرجت اسرائيل قواتها من الضفة الغربية ستتجدد اعمال الارهاب هناك خلال ٤٨ ساعة » · كذلك فهناك مشكلة المياه بالنسبة له «فثلث كمية المياه عندنا ، مصدرها مصادر جوفية في اليهودة والسامرة » · وبالنسبة للحرب ضد الفدائيين يقول شارون ان هذا هو « شعار فارغ ليس له مضمون ، فهو يؤيد التفاوض مع منظمة التحرير ، في آن واحد مع « حرب مخططة ضد الارهاب ، باستمرار وبحزم · ان اسرائيل شنتحربا مخططة ضد الارهاب في فترتين فقط :خلال عمليات الانتقام في الخمسينات واثناء القضاء على الارهاب في قطاع غزة في سنة ١٩٧١ » ( كان شارون مسؤولا عن هذه الحرب خلال الفترتين ) · ويتابع شارون قوله : « اليوم لا يستطيع اييهودي ان يدخل نابلس : ولا يستطيع جندي يهودي الدخول الى حي « القصبة » في نابلس ، بدون عملية عسكرية كاملة ـ وهذا هو استمرار لسياسة الحكومة ، التي ادت الى كوارث سنوات الخمسين والسبعينوما زلنا جميعا ندفع ثمنها ··· لا استطيع ان افهم كيف تستطيع حكومة اسرائيلمعارضة سفر بضعة عشرات من النشيطين العرب الى اجتماع المجلس الفلسطيني فيالقاهرة ـ ولكنها تتجاهل انهيار الوضع الامني في اليهودة والسامرة ، ان الحكومة تمنع زعماء الطائفة الدرزية من السفر الىلبنان لتعزية عائلة جنبلاط ··· ولكنها تتجاهل الحقيقة بأن اليهود لا يدخلون اليوم في الجليل الى قرى عرابة وسخنين ودير حنا، منذ احداث يوم الارض · يوجد هنا تقصير سياسي وامني من جانب حكومة اسرائيل » ·

### كتلة يسارية جديدة ـ « شلي »

اسفرت الاتصالات التي تجري منذ فترة طويلة بين موكيد ولوبا الياف ( الاشتراكيون المستقلون ) ودوائر وشخصيات حمائمية اخرى مثل اوري افنيري ، متتياهو بيلد ، ويعكون ارنون ، عن ولادة جبهة يسارية جديدة اطلق عليها اسم « شلي » ـ جبهة السلام والمساواة . وعلم ان المرشحين الاربعة الاوائل في قائمة الجبهة هم لوبا الياف ، مئير بعيل ، اوري افنيري ، وسعاديا مرتسيانو عن الفهود السود . واعلن اوري افنيري في مقال له في مجلته ( هعولام هازيه ـ ٢٣ـ٣ـ٧٧) ، انه لا شك ان هناك خلافات كبيرة في الرأي بين حركته وبين موكيد والقوى الاخرى التي انضمت الى المعسكر . « ولكننا متحدون اليوم في امر يتعلق بالحياة وبالموت : الطريق نحو السلام . فاذا كان السلام هاما لنا ، واذا كنا مؤمنين حقيقة انه اهم من اي شيء آخر في حياة الدولة ـ فكيف يمكننا ان نترك امورا اقل اهمية ان تؤدي الى انقسام بيننا في هذه الانتخابات المصيرية ؟ كذلك توحد هذه القوى ، الرغبة العميقة في العدل الاجتماعي ، والمساواة الكبرى ، وحكم اكثر انسانية » . وفي مقابلة مع زعيم الحركة لوبا الياف ( في معاريف ، ٢٥ـ٣ـ٧٧ ) اعلن انه هو ورفاقه لم ينشئوا حزبا ، وانما معسكرا يوحده عاملان مشتركان : الطريق نحو السلام والمساواة الاجتماعية » . « اننا على يقين كبير بان الهوة الاجتماعية في اسرائيل هي على اساس طائفي ، وكل حل يجب ان يعترف بخطورة المشكلة الطائفية ، التي تتطابق مع مشكلة الهوة الاجتماعية » . ويقول الياف ان قائمته ستفوز باربعةنواب وما فوق .

### تأييد اقامة دولة فلسطينية

تعتبر مبادىء الحركة الجديدة « شلي » مطابقة لمبادىء مجلس السلم الاسرائيلي ـ الفلسطيني . ومن اهمها « (١) ان ارض اسرائيل هي وطن للشعبين ـ لشعب اسرائيل وللشعب العربي ـ الفلسطيني . ثانيا : ان لب النزاع بين اليهود والعرب هو المواجهة التاريخية بين الشعبين في هذا البلد ، العزيز عليهم . ثالثا ، ان الطريق الوحيد للسلام هو التعايش بين دولتين ذات سيادة ، تكون لكل واحدة منهما هوية قومية محددة : دولة اسرائيل للشعب اليهودي ، ودولة الشعب العربي الفلسطيني كتعبير عن حقه في تقرير مصيره ، في اي اطار سياسي يرتئيه . رابعا ، ان انشاء الدولة العربية الفلسطينية الى جانب دولة اسرائيل ، يكون ثمرة مفاوضات بين حكومة اسرائيل ، وبين هيئة معترف بها ومفوضة للشعب العربي الفلسطيني ،وذلك بدون رفض المفاوضات مع م.ت.ف على اساس الاعتراف المتبادل . خامسا ، ان ترتكز الحدود بين دولة اسرائيل والدولة العربية الفلسطينية على خطوط الهدنة ، كما كانت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، مع تغييرات يتفق عليها بين الاطراف ، وبعد تسوية مشكلة القدس ، سادسا ، ان القدس هي عاصمة اسرائيل الازلية ، ولكونها مقدسة لثلاثة اديان ، وسكانها من ابناء الشعبين ، فانها تستحق مركزا خاصا . يجب ان تبقى كاملة كوحدة رئيسية بلدية مشتركة ، ومفتوحة امام ابناء جميع الشعوب والاديان . تستمر القدس فيكونها عاصمة دولة اسرائيل ، ويكون جزؤها العربي ، بعد تحقيق السلام ، عاصمة الدولة العربية الفسطينية . وتدار الاماكن المقدسة لكل من الاديان الثلاثة ، بصورة مستقلة من قبل مؤسساتها . سابعا ، ان تكون الحدود بين اسرائيل وبين الدولة العربية الفلسطينية مفتوحة امام تنقل المواطنين والبضائع في انحاء البلد كلها . ولا يستوطن عرب فلسطينيون في اسرائيل، ولا اسرائيليون في الدولة العربية الفلسطينية الا بموافقة الحكومتين . ثامنا ، ان تساهم اقامة الدولة العربية

الفلسطينية بشكل حاسم في حل المشكلة القومية والانسانية للاجئين ، بحيثتساعد اسرائيل في هذا الحل · تاسعا ، تلتزم المراحل الاولى من التعايش الاسرائيلي ـ الفلسطيني ، ترتيبات أمن يتفق عليها بصورة متبادلة · ويتم الاتفاق على عدم دخول قوات عسكرية اجنبية الى اي من مناطق الدولتين · عاشرا ، ان تكون الدولتان ذات سيادة في جميع المجالات ، خاصة في مجالات الهجرة · وتحافظ دولة اسرائيل على ارتباطها الكامل بالصهيونية وبالشعب اليهودي في انحاء العالم ، وتحافظ الدولة الفلسطينية على ارتباطها بالشعب العربي · (١١ ) تعمل الدولتان على اجراء حوار دائم بينهما لتعميق العلاقات بينهما من اجل حل مشاكل مشتركة بروح التعاون ولمصلحة الشعبين· (١٢) ان مصلحة جميع شعوب المنطقة تلزم تعاونا اقليميا بينها ، تشارك به دولة اسرائيل والدولة العربية الفلسطينية ، ( معاريف ، ٢٤ـ٢ـ١٩٧٦ )·

**« الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة» تختار مرشحيها ·**

اعلنت « الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة » ( حداش ) بقيادة راكح (انظر شؤون فلسطينية ـ العدد السابق ص١٨٢) اسماء مرشحيها للانتخابات المقبلة ·واعلن عضو الكنيست مئير فيلنر في مؤتمر صحافي في تل ابيب انه يشترك في جبهة « حداش » ، راكح ، الفهود السود ،رؤساء مجالس محلية عربية ، الجبهة الديمقراطية لمدينة الناصرة ، لجنة المبادرة الدرزية ، و « الجبهة اليسارية » · وانه منحت اربعة مقاعد في المقاعد العشرة الاولى في قائمة المرشحين للكنيست لاشخاص غير منتمين لراكح وهم : تشارلي بيتون من الفهود السود في المكان الثالث ، حنا مويس رئيس لجنة المجالس المحلية العربيةورئيس مجلس محلي قرية الرامة ، في المكان الخامس ، حسان بشارة مدرس ثانوي في قرية الطيرة في المكان السابع ، والشاعر سميح القاسم في المكان التاسع ، والمرشحون الاخرون هم اعضاء راكح وهم: عضو الكنيست مئير فيلنر في المكان الاول ، توفيق طوبي في المكان الثاني ، رئيس بلدية الناصرة توفيق زياد في المكان الرابع ، عضو الكنيست ليفنبراونفي المكان السادس ، تمار جوزنسكي في المكان الثامن ودافيد حينين في المكان العاشر ( دافار ، ١ـ٤ـ٧٧) · ويتوقع المراقبون فوزا كبيرا للجبهة الجديدة « حداش » خاصة ان راكح استطاعت بواسطة ضم الفهود السود كسر العزلة حولها في الوسط اليهودي · كذلك فان مؤيديها بين العرب يزدادون يوما بعد يوم ، خاصة بعد احداث يوم الارض ،ومصادرةالاراضي العربية وموقف اسرائيل المعادي من الفلسطينيين ·

وقد تنبه حزب العمل لهذه الظاهرة،فقام بدمج القائمتين العربيتين ـ قائمة التقدم والانعاش والقائمة البدوية ـ في قائمة واحدة يترأسها عضو الكنيست سيف الدين الزعبي وهو من اكبر عملاء السلطة في الداخل وصاحب الماضي « العريق » في هذا المجال ، والعميل المعروف وعضو الكنيست الشيخ جبر المعدي ، ومحمد حسن الغدير ، وقد تم دمج القائمتين بواسطة القسم العربي في حزب العمل ·

كذلك ينشط حزب مبام بين العرب في الداخل ، حيث اقام مركز انتخابات مستقلا للوسط العربي ، ووضع المدعو ابراهيم شباط من الناصرة في المكان الخامس بين مرشحيه ·

وعلم ايضا ان حركة يدين ، تحاول كسب اصوات بين العرب ، خاصة بين الدروز ، وذلك بواسطة العلاقات التي تربط المستشار السابق للشؤون العربية شموئيل نولبرانو مع بعض العرب ، الا ان الانتخابات المقبلة ستظهر مدى صحة هذه الاخبار ·

**حنة شاهين**

(٢)

# خلاف أميركي - اسرائيلي حول التسوية ؟

تشير كافة التعليقات والتصريحات التي تناقلتها وسائل الاعلام الاسرائيلية ، الى وجود خلاف بين ادارة الرئيس الاميركي كارتر وبين اسرائيل حول التسوية وخاصة فيما يتعلق بالحدود الامنية · وقد ظهرت بوادر هذا الخلاف اثناء الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الاميركيةفانس الى اسرائيل واتسع الخلاف وظهر بصورة واضحة خلال الزيارة التي قام بها ، يتسحاق رابين الى واشنطن · كما تشير التعليقات الاسرائيلية الى وجود قلق لدى بعض الاوساط الاسرائيلية ، من احتمال قيام العرب بشن حرب جديدة ، اذا ما تماطلت عملية التسوية ، وفيما يلي اهم ما اوردته التعليقات الاسرائيلية الصحفيةحول ذلك ·

صرح رئيس الحكومة، يتسحاق رابين : « انه لا يتجاهل الحقيقة ، ففي مسألة الحدود لا يزال هناك اختلاف في مواقف اسرائيل والولايات المتحدة ، ولكنه طرأ تحسن ملحوظ على الموقف الاميركي ، سواء فيما يتعلق بموضوع ماهية السلام او فيما يتعلق بحاجيات اسرائيل الامنية في تحديد مختلف الخطوط في اطار اتفاقية سلام مكتوبة » ( هآرتس ١٣-٣-١٩٧٧ ) · وقد ذكر الصحافي دان مرغليت ، « بان رابين يشعر بان هناك استقطابا كبيرا في موقف الادارة الجديدة ، وتأزما في وجهة نظرها حول طابع الحدود النهائية مقابل التقدم الايجابي المهم في موضوع ماهية السلام » ( المصدر نفسه · واعترف رابين خلال عرضة نتائج زيارته الى واشنطن امام الحكومة ، « بان هناك خلافات اساسية في الرأي بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة حول الموضوع الاقليمي » ( معاريف ١٥-٣-٧٧ ) ·

كما تطرق المعلق يوسف حاريف ، الى قضية الخلاف ومحادثات رابين في واشنطن فذكر ان هناك خلافا في الرأي بين اسرائيل واميركا ، حول بعض القضايا وخاصة الحدود والقضية الفلسطينية · فقد تحدث الرئيس كارتر عن « تعديلات في الحدود» وذلك في اطار ٢٥ كلم · واعتمدت المصادر الاسرائيلية على مصدر موثوق · ولكن لم يمر وقت طويل حتى نفى ذلك المتحدث باسم مجلس الامن القومي · وقال انه ليس صحيحا ان الولايات المتحدة - اي الرئيس كارتر - قد حددت ماهية التغييرات الاقليمية التي ستحصل عليها اسرائيل في اطار « تعديلات الحدود » ( معاريف ٢٥-٣-٧٧) · وكانت المصادر الاسرائيلية قد هللت للخبر القائل بان الادارة الاميركية قد ابلغت السفير الاسرائيلي ، بانها تفهم الحدود القابلة للدفاع ، على انها بين ٢٠ - ٥٠ كلم · كما هللت لذلك اوساط الحكم الاسرائيلية ووسائل الاعلام ، واعتبرته بداية لمرحلة جديدة في العلاقات الاميركية - الاسرائيلية· ولكن عندما سئل المتحدث باسم مجلس الامن القومي عن ذلك قال : انه ليس مستعدا لان يرد على « محادثات شخصية » ، واضاف : ان الولايات المتحدة لم تحدد ما هو عمق « التعديل » ( المصدر نفسه ) ·

وتناقلت الصحف الاسرائيلية هذا الخلاف الاميركي ـ الاسرائيلي ، فذكرت صحيفة هارتس ( ١٤ـ٣ـ٧٧) ، على لسان احد معلقيها ، عاموس حداد ، انه لدى عودة رابين ، الى اسرائيل ، واثناء تحدثه الى الصحافيين في المطار ، لوحظ ان لهجته كانت تعبر عن عدم الرضا ، وخاصة فيما يتعلق بتصريحات الرئيس الاميركي حول الحدود . وعندما سئل رابين عن مسألة الحدود قال : لا شك ، انني كاسرائيلي ، كنت ارغب في الاستماع الى تعريفات اخرى من قبل الولايات المتحدة . ولكنني اسمح لنفسي بابداء ملاحظتين : فهذه هي المرة الاولى التي تسمع فيها رئيسا اميركيا ، يبرز مسألة الحدود القابلة للدفاع ويشير الى امكانية الفصل بين الحدود السياسية والحدود الامنية . انني اعتقد بان لهذا المبدأ اهمية بالنسبة لامن اسرائيل في المستقبل في اطار المفاوضات .

وتطرق رابين الى النقاط التي وجدت تفهما لدى الولايات المتحدة فقال :

● النقطة الاولى والرئيسية في نظري هي ان الادارة الاميركية تريد وتسعى الى ان تساهم بكل طاقتها للاسراع في الاجراءات التي تحقق السلام في المنطقة ، والتي تؤدي الى المفاوضات بين الاطراف للوصول الى سلام .

● والمبدأ الثاني البالغ الاهمية هو التفاهم الذي تم بين الولايات المتحدة واسرائيل ، بانه لا يوجد حل مفروض، حتى في حال وجود هذا الرأي او سواه للولايات المتحدة . وان الرئيس الاميركي يعترف ، بان مسؤولية القرار النهائي هو في ايدي اطراف النزاع . واضاف رابين ، ان هذا المبدأ هو مبدأ اساسي يضمن التفاهم الاميركي ـ الاسرائيلي .

● المبدأ الثالث هو ان الولايات المتحدة لا ترى ان مسألة اسرائيل قوية ، هي فقط مسألة اسرائيلية ، وانما هي امر ضروري للاسراع في اجراءات السلام . وقد تم اعطاء الوعد بتقديم كافة المساعدات من اجل ضمان اسرائيل قوية من الناحية العسكرية والاقتصادية .

● والمبدأ الرابع ، اننا لم نسمع في اية مرة من رئيس اميركي ـ منذ حرب الايام الستة ـ تعريفا بعيد المدى لماهية السلام ، كما حصل في المحادثات مع الرئيس كارتر . وانني ارى في هذا التغير في موقف الولايات المتحدة ، امرا جوهريا ذا اهمية من الدرجة الاولى . « وانني اعود واؤكد انه لم يحدد حتى الان تعريف اميركي قريب الى الموقف الاسرائيلي ، كما رسمه الرئيس كارتر » .

وعلى الرغم من تحفظات رابين بهذا الصدد وابرازه للامور الايجابية فقط ،فقد ذكر احد الدبلوماسيين الاسرائيليين في واشنطن : « ان هناك « انهيارا مخيفا »وانه لمن المشكوك فيه هل سيكون بالامكان اصلاح هذا الضرر » . ( معاريف ٢٤ـ٣ـ٧٧) .

## توتر بين دينيتس وبريزنسكي

هناك من يعزي أساس التوتر الى المعلومات التي ادلى بها مسؤول الامن القومي ، بريزنسكي الى دينتس في حديث خاص بينهما ، والتي ذكر فيها ، ان الولايات المتحدة تفهم الحدود القابلة للدفاع والتعديلات الطفيفة المقترحة وخاصة في سيناء ما بين ٢٠ ـ ٥٠ كلم . وقد تم الاتفاق على عدم ذكر اسم بريزنسكي بل يذكر « موظف كبير » . ولكن قبل ان تتمكن غالبية الصحف من تسجيل القصة ، خالف، مراسل « الاذاعة الاسرائيلية » ايلي نيسان هذا الاتفاق واذاع اسم بريزنسكي مما ادى الى اصدار نفي عنيف من قبل البيت الابيض ( معاريف ٢٤ـ٣ـ٧٧ ) . فبعد مرور يومين رأى الرئيس كارتر ان يوضح كافة الملابسات ، واتضح انه لم يطرأ اي اقتراب من المفهوم الاسرائيلي ، فبالنسبة لماهية السلام ، كرر كارتر عدة اسس كان قد

طرحها في بداية حملته الانتخابية في نيوجرسي · فقد تحدث في اجتماع يهودي عن معنى السلام قائلا انه حدود مفتوحة وانتقال حر للبضائع والاشخاص ،وعلاقات سياحية وتجارية وثقافية الخ · وتحدثفي تلك المناسبة للمرة الاولى عن « صيغة بريزنسكي » ، مستشار الرئيس للامن القومي ـ الذي قال خلال زيارته لاسرائيل وتجوله في طائرة هليكوبتر في منطقة الخط الاخضر ، ورأى المسافة بين قلقيلية وتل ابيب ، انه يوجد شيء ما في الادعاء الاسرائيلي حول « الخطوط القابلة للدفاع»، ولكنه اكد على ان الحدود الامنية ليس معناها مصادرة السيادة من الطرف الثاني وانما ترتيبات امنية من خلال الاتفاق المتبادل ، وربما تصل الى حد وجود عسكري اسرائيلي معين وراء الخط الاخضر · ( معاريف ١١ـ٣ـ٧٧ ) ·

وهناك من اتهم السفير الاسرائيلي في واشنطن ، سمحا دنيتس بالتقصير وحمله نتائج هذا التوتر ونتائج عدم نجاح زيارة رابين · فقد اشار ماتي غولان ، المعلق في « هارتس » ، الى ان دينتس حقق نجاحا كبيرا في دعوة رابين الى واشنطن قبل الزعماء العرب ، وخاصة قبل اجراء الانتخابات في اسرائيل · وبعد ان اثنى على دنيتس لتحقيقه هذا النجاح ، حمله نتائج فشل الزيارة · فقد ذكر ان رجال رابين يحملونه المسؤولية ، وانه اهمل القيام بواجبه وخاصة في الحصول على المعلومات والاتجاهات التي تدور في واشنطن · حيث كان عليه ان يعرف ما هي اراء الرئيس كارتر حول القضايا المختلفة قبل الزيارة ، « وانعدم معرفة دينتس قد افشلرئيس الحكومة» (هارتس٢٥ـ٣ـ٧٧)·

## وثيقة بروكينكز ومخاوف اسرائيل ··

كان معهد بروكينكز للابحاث في الولايات المتحدة ، قد اصدر عدة دراسات وتوصيات حول الشرق الاوسط ، قبل فترة، وقد رأت السلطات الاسرائيلية ، ان اهم النقاط الرئيسية في كافة الكلمات التي القاها الرئيس كارتر ، مأخوذة حرفيا من هذه الدراسات ، والتي اسمتها « بوثيقة بروكينكز » · ومن بين اعضاء هذا المعهد ، بريزنسكي ، وسايروس فانس ، وتشارلز يوست ( صاحب فكرة الحل المفروض ) ودين راسك وجورج بول ·هذا وترتكز اسس الحل حسب هذه الوثيقة على اربعة مبادىء :

- التعهد العربي بالسلام الكامل ·
- الانسحاب الاسرائيلي من المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ ، واجراء تعديلات خفيفة على الحدود ، والتي يتم الاتفاق عليها بين الاطراف ·
- القدس : بالنسبة للوضع السياسي هناك ثلاث امكانيات : سلطة اسرائيلية ، توزيع السلطة بين اسرائيل وبين بلدعربي، او سلطة دولية في منطقة معينة ولكن يجب ان تبقى المدينة موحدة ·
- بالنسبة للمسالة الفلسطينية ـ يجب تطبيق مبدأ الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وذلك باحدى طريقتين :كيان مستقل او وجود ارتباط بالاردن · ولكنه لا يمكن ان تتم تسوية دائمة ، حسب رأيهم، دون الاتفاق حول حق غالبية السكان الذين يعيشون اليوم في الضفة الغربية بتقرير مصيرهم · ( يوسف حاريف ـ معاريف ٢٥ـ٣ـ٧٧) ·

واما بالنسبة لمفهوم كارتر فيما يتعلق بالتسوية فيعتمد على اربعة اسس ، كما نقلتها ( معاريف ١١ـ٣ـ٧٧ ) ، والتي كان قد طرحها في بداية حملته الانتخابية كما ذكرنا :

- تنفيذ خطة شاملة على مراحل ·
- انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ واجراء تعديلات طفيفة على الحدود ·
- ترتيبات دفاعية وراء الخطوط الجغرافية ·

★ لن يكون السلام مفروضا وسيشمل الحدود المفتوحة بين اسرائيل وجاراتها ، واعتراف الدول العربية باسرائيل ،وعلاقات دبلوماسية بين اسرائيل وجاراتها ٠

ان اهم ما يقلق اسرائيل من هذه الوثيقة هو ما جاء فيها حول دور اميركا في الحل، والذي يقصد به الحل المفروض ٠ فقد جاء في البند المتعلق بدور الولايات المتحدة في عملية السلام : ان على الحكومات المتصلة مباشرة بالنزاع ، تقع مسؤولية المفاوضات لتحقيق اتفاقية ، ولكنه من غير المقبول انها ستنجح في الوصول الى اتفاقية بقواها الذاتية ٠ وان المبادرة والتشجيع يجب ان يأتي من الخارج ٠ والولايات المتحدة تتمتع بقسط وافر من ثقة الاطراف، وهي تملك امكانية مساعدتهم اقتصاديا وعسكريا ٠ والمساعدة الفعلية يجب ان تتعدى تهيئة اطار المفاوضات بل تقديم المقترحات ٠ وعلى الولايات المتحدة انتكون جاهزة لاتخاذ خطوات بناءة اخرى ٠ وقد فسرت الاوساط الاسرائيلية هذا الكلامبانه « حل مفروض » ٠ وترى هذه الاوساط ان الرئيس كارتر قد تبنى هذه الوثيقة كأساس لسياسته في الشرق الاوسط ٠ ولوحظ ان هناك استياء اسرائيليا من بريزنسكي حيث يحملونه مسألة تبني كارتر لهذه الوثيقة باعتباره احد الذين ساهموا في كتابتها ٠ وابدى الاسرائيليون مخاوفهم من فرض التسوية من قبل اميركا ٠ فقد ذكرت هذه الاوساط : « حيث ان امكانية الوصول الى اتفاقية من انتاج محلي ضعيفة ، فان اسرائيل ستواجه بعد الانتخابات الخيار الصعب : الموافقة على تسوية شاملة على غرار بروكينكز ( وروجرز ) او الاستعداد لاوقات صعبة » ( ماتي غولان ـ هارتس ٢٢ـ٣ـ٧٧) ٠

### وخلاف مع بعض اعضاء الكونغرس

اكد شموئيل سيغف ، انه لوحظ لدى زيارة رئيس الحكومة لواشنطن تحول كبير في مواقف ادارة كارتر في كل ما يتعلق بالحدود وفي حل المشكلة الفلسطينية فقد ذكر رابين خلال مقابلة له مع احدى الصحف الاسرائيلية ، انه وجه اليه ضغط من قبل عدد من اعضاء الكونغرس فيما يتعلق بالموضوع الفلسطيني ، وقد ذكراسم رئيس مجلس النواب ، توماس افنيلي ، الذي يعتبر صديقا حميما لاسرائيل ، حيث ابدى تأييده العلني لاشراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف ٠ كما ذكر زعيم الاغلبية الديمقراطية في الكونغرس ، حقيقة ان الولايات المتحدة قد اجرت مفاوضات في باريس مع « الفيتكونغ » ، بالرغم من انها لم تعترف بهذه المنظمة « كطرف » في المفاوضات بالنسبة لمستقبل فيتنام ٠ وذكر ان رابين استمع الى هذا الكلام بغضب وقال له : « ماذا عن الميثاق الفلسطينيهل قرأته » ؟ وعندها تدخل كارتر في النقاش لينقذ رابين فقال لرئيس مجلس النواب ، انه خلال محادثاته التي اجراها مع رابين « كان مسرورا لان يسمع » ان اسرائيل لا تنوي ان تضم الضفةالغربية، وانها تحتفظ بالمناطق « كورقة مساومة » للمفاوضات حول السلام مع الدول العربية ٠ ( معاريف ٢٥ـ٣ـ٧٧) ٠

### مشروع كارتر

اكد رابين ، عند زيارته لواشنطن ، على عدم ابراز توقعات مبالغ بها من هذه الزيارة ٠ فقد بنى رحلته وسياسته من اجل التنسيق الاستراتيجي مع الرئيس كارتر استعدادا لتجديد النشاط السياسي في النصف الثاني من هذه السنة ٠واعطى اوامره للسفير سيمحا دينتس للعمل من اجل الحصول على دعوته المبكرة للزيارة من اجل هدف واحد ووحيد : الوصول الى تنسيق استراتيجي مع الرئيس كارتر ،قبيل تجديد النشاط السياسي في أشهر الخريف ولكنه من الواضح حسب اقوال الرئيس كارتر خلال المؤتمر الصحفي ، « ان هذا الهدف الوحيد لم يتحقق وان رئيسالحكومة عاد الى البلاد بدون اتفاق حول التنسيق

الاستراتيجي مع الولايات المتحـــدة » ٠ ( شموئيل سيغف ـ معاريف ١٣ـ٣ـ٧٧) ٠

ويضيف سيغف ان رابيـــن قد ذهـب الى واشنطن املا في ان ينجح في اقنـاع الرئيس كارتر بالعودة الى أساليب التسوية على مراحل ٠ ولكنه عاد الى اسرائيـل « مقتنعا » بضرورة الذهاب الى جنيف ٠ وان رابين قد ذهب الى هناك من اجـل الحيلولة دون رسم اهداف اميركية للتسوية ومن اجل التمهيد للمفاوضات المباشرة بين الاطراف ولكنه عاد الى اسرائيل وهو يحمل معه « مشروع روجرز » بصيغة منقحة مـن قبل الرئيس كارتر والتي سماها المعلـق الاسرائيلي « بمشروع كارتر » ٠ ويـرى المعلق نفسه « انه من ناحية اسرائيل ، فقد عاد رابين من [واشنطن] وهو في وضـع اصعب مما كان عليه قبل سفره ٠ فقـد عاد وهو يحمل اقوال التقدير والثنـاء الشخصية العارمة ، ولكن الرئيس كارتـر ادخل الى جيبه «مشروع روجرز» ٠( المصدر نفسه ) ٠

## مشروع الون وتصريحات كارتر

هناك من يرى ان التصريحات الاخيرة التي ادلى بها كارتر حول الشرق الاوسط، تحتوي على مبدأين اساسيين مـن مشروع الون ٠ حيث ان اهم مبدأين فـي مشروع الون هما اولا ، ايجاد حل سياسي ـ امني للنزاع في منطقتنا ، من خلال اجـراء تسوية اقليمية وايجاد حـدود آمنـة لاسرائيل ، عن طريق احتفاظ اسرائيـل بمرتكزات عسكرية على امتداد الخطـوط الشرقية ، وهي نهر الاردن ٠ والثاني ،حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وسكان الضفة الغربية وقطاع غزة عن طريق اقامة قطـر مستقل في الضفة الغربية له علاقات فيدرالية او كونفدرالية مع اسرائيل او الاردن ٠هذا ونرى الرئيس كارتر يميز بين الحـدود السياسية والحدود الامنية ٠ فالحـدود السياسية كما يراها كارتر هي حدود ١٩٦٧ مع تعديلات طفيفة ، واما الحدود الامنية فمختلفة عن الحدود السياسية ٠ وهكذا فقد تبنى كارتـر الرأي الاسرائيلي بالنسبة للحـدود ( أبراهام برير ـ دافـار ٢٨ـ٣ـ٧٧ ) ٠

واما بالنسبة لتصريح كارتر حول حق الفلسطيني بوطن ، وان هذا الوطن يجب ان يقوم في اطار علاقات مع الاردن او في اطار آخر ٠ فاذا ما قورن ذلك بمشـروع الون ، «فانه لا يوجد تناقض بين المشروع الاميركي والاسرائيلي ، فالـون وكارتر ، يريان تخصيص منطقة محددة تستعمـل « كوطن » للفلسطينيين ٠ وكلاهما يعتبـر الضفة الغربية كمنطقة طبيعية لهـذا الغرض » ( المصدر نفسه ) ٠

## « الضربة الفلسطينية »

وصل القلق في اسرائيل من التصريـح الذي ادلى به الرئيس كارتر حول حـل مشكلـة الفلسطينيين وضرورة انشـاء « وطن » لهم ، الى حد اعتبره بعـض الاسرائيليين بمثابة « ضربة » لاسرائيل ٠ فقد علق ماتي غولان على ذلك بقوله : « تم انزال الضربة الفلسطينية عندما عاد رابين الى اسرائيل » ٠ وقد حدث انزعاج كبيـر في اسرائيل فأخذ الناس يتساءلون : ماذا حدث ؟ لماذا لم يقل كارتر ذلك لرابين عندما كان في واشنطن ، وما هو سبب هذه الركلة ولماذا ؟ ( هارتس ٢٥ـ٣ـ٧٧ )٠

هذا ويرى الاسرائيليون انه بالنسبـة لاشراك الفلسطينيين في المفاوضات وفـي مؤتمر جنيف ، فان هناك خلافا بين اسرائيل وواشنطن ، حيث ان السياسة الاميركيـة مستعدة للقبول باشتراك الفلسطينيين ،على شرط اعترافهم باسرائيل والاعتراف بقرارات مجلس الامـن بالنسبة للشرق الاوسط ، ولكن رابين ابدى تشددا في هذا المجال ٠ ( المصدر نفسه ١٣ـ٣ـ٧٧ ) ٠ ويعتقـد الرئيس كارتر ، ان الموضوع الفلسطيني يجب ان يبحث في البداية بين الفلسطينيين وبين الدول العربية ، وبعد ذلك بين الدول

العربية واسرائيل · ولكن بالرغم من ذلك، كما يقول يوسف حاريف ، يشعرون في الحكومة ان الهوة بين مواقف اسرائيل والولايات المتحدة لا تزال كبيرة في موضوعين اساسيين : في مسألة الحدود القابلة للدفاع وكذلك بالنسبة للمسألة الفلسطينية حتى بعد التوضيح المسكن من قبل البيت الابيض بالنسبة لهذه المسألة ( معاريف ٢١-٣-٧٧) ·

هذا وقد حاولت الحكومة الاسرائيلية من جانبها القيام بنشاط معاكس لتغطية النتائج السلبية لزيارة رابين الى واشنطن وما تركته من اثر سلبي · فقد اقرت الحكومة البدء بحملة اعلامية كبيرة في الولايات المتحدة حول موضوع الحدود القابلة للدفاع وكذلك الكيان الفلسطيني · كما ذكرت بعض الاوساط الاسرائيلية ، ان رابين قد أجرى حديثا مع وزير الدفاع شمعون بيرس ، بعد ثلاثة ايام من عودته من واشنطن ، اقترح عليه السفر الى واشنطن لاجراء محادثات مع وزير الدفاع الاميركي ، هارولد براون ، وبهذه المناسبة اجراء محادثات مع الادارة الاميركية حول القضايا الرئيسية - ماهية السلام ، والحدود الامنة والمسألة الفلسطينية ،ولكن بيرس تردد في القيام بذلك · ( معاريف ٢٥-٣-٧٧) ·

## العرب يستعدون للحرب ؟

تحدثت بعض الجهات الاسرائيليةمؤخرا عن احتمال قيام العرب بشن حرب على اسرائيل خلالهذا الصيف او خلال الخريف القادم · وكان على رأس هؤلاء الجنرال « احتياط » اريئيل شارون ، وقد ايده في ذلك المعلق العسكري لصحيفة هارتس ، زئيف شيف وكذلك الدكتور امنون سيلع· وقد كتب شيف ، مقالا تحت عنوان «العرب يستعدون للحرب » ، ذكر فيه ان العرب وفي مقدمتهم المصريون مستعدون للتوصل الى تسوية تستجاب فيها كافة مطاليبهم بمساعدة الولايات المتحدة · ولكن بموازاة ذلك ، فان العرب يستعدون بكامل الجدية لحرب أخرى يبادرون اليها في اللحظة المناسبة لهم ·

ويضيف شيف ، انه يؤمن باقوال السادات المتكررة بأنه سيبدأ الحرب اذا لم يحصل على التسوية التي يريدها · وان السادات والجيش المصري يستعدون لذلك علانية ، وذلك لاضفاء الشرعية الدوليةعلى عمل عسكري عربيضد اسرائيل ·ويضيف، بان « من المهم التأكيد للجمهور الاسرائيلي بان لدى الجيوش العربية القدرة الكاملة للبدء بعمليات عدوانية في اية لحظة ·وانه باستطاعتهم ان يفعلوا ذلك حتى خلال المحادثات معنا ، او خلال الانتظار المستمر لمحادثات جنيف » ·

وحذر شيف من الرأي القائل ، بان العرب لن يخرجوا الى الحرب الا اذا تأكدوا من فشل المحادثات ، او ضمان اشتراك الاردن او تجميع سوريا لوحداتها في لبنان ، او تأمين قطع الغيار للجيش المصري ، وان محطات الانذار الاميركية في سيناء ستمنع الحرب ، وان التمسك بهذه التبريرات يمكن ان يضللنا كما حدث قبل ١٩٧٣ · ويتوقع شيف ، ان تكون الحرب التي سيشنها العرب ، حربا محدودة ذات اهداف محددة ، حربا هدفها توجيه ضغط دولي على اسرائيل واحداث هزة داخلية فيها · وان ذلك يمكن ان يبدأ باغلاق الملاحة في البحر الاحمر وادخال قوات كبيرة الى سيناء دون اطلاق النيران ، او بالهجوم على اهداف مختارة دون تحريك القوات ، او محاولة السيطرة على مناطق معينة مثل خليج السويس وشرم الشيخ ، وكذلك الهجوم الشامل على كافة الجبهات· وان مجرد بدء المعركة ، حتى ولو لم يحققوا شيئا ودفعوا بخسائر كثيرة ،فانهم ( العرب ) يستطيعون ان يروا في ذلك عملية تنطوي على فرص سياسية » (هارتس ٢٥-٣-٧٧ ) ·

ودعا الدكتور امنون سيلع اسرائيل الى شن هجوم على الدول العربية قبل انتقوم هي بذلك ، فقال : تستطيع حكومة اسرائيل ان تقرر ، ان الوقت الحالي هو الملائم للقيام بهجوم وذلك لمنع العرب من انيخلقوا لانفسهم ظروفا مريحة للهجوم في المستقبل . ( وعلق على موضوع وجود الجيش السوري في لبنان فقال : لو كان الخيار بايدي اسرائيل فمن المؤكد انها كانت تفضل لبنان الصغير كما كان قبل الحرب الاهلية ، وبالرغم من النشاط التخريبي المستمر على الحدود الشمالية ) . ( دافار ١-٤-٧٧) .

**حمدان بدر**

( ٣ )

# سلطات الاحتلال الاسرائيلية ماضية في تغيير معالم القدس وتهويدها

رغم كل الاحتجاجات والقرارات الدولية التي تندد بسياسة تهويد القدس وتغيير معالمها ، ورغم كل التظاهرات الشعبية وموجات السخط التي اثارتها وتثيرها سياسة التهويد في القدس وتهجير السكان الفلسطينيين وهدم بيوتهم ، لا تزال سلطات الاحتلال الاسرائيلية ماضية في تنفيذ مخططها ، والذي شرعت في تنفيذه بعد الاحتلال مباشرة ، بتهجير اهالي حي المغاربة وهدمه ، وتحويله الى ساحة عامة امام حائط المبكى ، حيث عمدت بعد ذلك الى تهجير سكان الحي اليهودي وهدم بيوتهم الواقعة ضمن دائرة الـ ـ ١١٦ دونما ، صادرتها الحكومة في نيسان عام ١٩٦٨ بقرار من وزير الاقتصاد ، بحجة ترميم الحي اليهودي وتطويره ٠

وقد هجرت سلطات الاحتلال في السنوات الاخيرة من المنطقة المصادرة « حوالي ٦٥٠٠ عربي ، ولم يبق فيها الان سوى ٢٠ ـ ٢٥ عائلة عربية فقط » ( هآرتس ، ٧ـ١ـ٧٧ ) ٠

وكان البروفيسور عوزي اورنان عضو لجنة الاديان التي تضم اعضاء من اليهود والمسيحيين والمسلمين والذي يعمل في السنوات الاخيرة ضد تهجير العائلات العربية من المنطقة المصادرة ، قد كتب الى رئيس بلدية القدس ، تيري كولاك في بداية العام ١٩٧٥ ، كتابا يقول فيه « ٠٠٠ وقبل سبع سنوات ، في ابريل عام ١٩٦٨ ، نشر في مجموعة النشرات الرسمية ، اعلان وزير الاقتصاد في ذلك الوقت ، بشأن مصادرة مساحة من الاراضي الموجودة في البلدة القديمة من القدس ٠٠٠ واتضح ان الذي امر بمصادرة هذه المساحة من الارض بين اسوار البلدة القديمة ، قد ضم ارضا وبيوتا لم تكن في يوم من الايام جزءا من الحي اليهودي ، ويقطنها اناس غير يهود ، ومثال على ذلك اذكر ـ حي المغاربة ـ فقط، والذي كان مأهولا بالسكان المسلمية ، من هاجر آباء آبائهم الى القدس منذ ٦٠٠ عام تقريبا وسكنوه ٠٠٠ » ( هآرتس ، ٧ـ١ـ٧٧ ) ٠

وفي سياق كتابه ، طالب البروفيسور اورنان ، بوقف تهجير العائلات ، والغاء اوامر المصادرة بالنسبة اليهم او لغيرهم ، وان تضم هذه العائلات الى قائمة اصحاب الحق في الحصول على بيت في الحي ٠

الا ان طلب البروفيسور عوزي اورنان وجماعته في « لجنة الاديان » لم يحظ بأي رد حتى الآن ، بينما استمرت « لجنة ترميم وتطوير الحي اليهودي » مدعومة بقوات الشرطة ، في تهجير العائلات العربية ، سواء كان ذلك داخل الحي اليهودي ، او من المباني المجاورة له ، والواقعة خارج نطاقه ٠

ففي تاريخ ٢٨ـ١٢ـ٧٦ داهم موظفوا الشركة وقوات الشرطة ، ثلاثة بيوت بالقرب من الحي اليهودي ، وشرعوا في اخراج وتهجير العائلات الثلاث التي تسكنها بالقوة ، وفي عملية بوليسية مخططة ٠حيث

سارع عمال البناء التابعين للشركة الى هدم البيوت ومسحها ، في نفس الوقت الذي كانت « اللجنة لشؤون القدس » تواصل فيه مباحثاتها في عمان ، باشتراك ممثلين عن ١٢ دولة اسلامية ومنظمة ف٠ت٠ف ٠

وقد كتب مراسل صحيفة عل همشمار، جبريئيل شترن ، في صحيفته الصادرة في ٢٩ـ١٢ـ٧٦ ، يصف عملية التهجير بقوله « ٠٠٠ وقد وصلت حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر بيت الامين على الوقف المغربي، محمد ابراهيم عبد الحق في شارع حباد ، والذي كان يعج بعدد كبير من رجال الشرطة باللباس الرسمي والمدني، وبموظفي الشركة وغيرهم ٠ وردا على سؤال احد الضباط عما ابحث اجبت : اريد ان اتحدث مع الحق ٠ وكان جواب الضابط : هذا غير ممكن ، لانه موجود عندنا » ٠ ( عل همشمار ٢٩ـ١٢ـ٧٦ ) ٠

واضاف جبريئيل شترن : « ٠٠٠ وتبين ان صاحب البيت كان قد اعتقل في الساعة العاشرة صباحا ، ولم يطلق سراحه الا بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر ، بعد الانتهاء من عملية التهجير ، ولم يبق في البيت سوى زوجته والاولاد وجدة عجوز ، وبعض ابناء العائلة وجيران ذاهلين وعاجزين عن فعل اي شيء » ٠ ( المصدر نفسه ) ٠

وحين رفض الصحافي جبريئيل شترن الابتعاد عن المكان حسب اوامر الضابط مخرجا بطاقته الصحفية ، اعتقلته الشرطة، وابعدته بالقوة حيث راح يشاهد « تلك المسرحية الفظيعة من بعيد » ( المصدر نفسه ) ٠

ويستطرد الصحافي جبريئيل واصفا عملية التهجير « ٠٠٠ وقد صودر الاثاث ونقل الى مخزن الشركة المحاذي مع اثاث المهجرين الاخرين ، عمر المغربي والارملة نعمت المغربي وابنتها عائشة ٠٠٠ اما الحاجات الشخصية التي تحتوي على كتب الاولاد ولعب الاطفال ، وبعض الفواكه والغذاء ، فقد حملتها النساء والاولاد بانفسهم الى الشارع الضيق ، وعندما خيم الظلام ، راحوا يبحثون بها عن ملجأ مؤقت عند اقربائهم في البلدة القديمة » ( المصدر نفسه ) ٠

وكان عدد من الاسرائيليين التقدميين قد وصلوا الى المكان ، من بينهم البروفيسور عوزي اورنان ودانيال عميت ، حيث اعربوا عن شجبهم « لهذا العمل المتوحش » وعن تضامنهم مع ضحاياه ، كما كان من بين شهود العيان بعض المراقبين الاجانب من منظمات الشؤون الاجتماعية العالمية ، ممن توجهت هذه العائلات اليهم كي يقفوا الى جانبها ضد عملية التهجير ، وبعض السواح الامريكيين الذين مروا بالمكان صدفة ، فتسمروا في مكانهم مصعوقين لهذا المشهد الهمجي ، وحين شرع احدهم بتصوير ما يجري ، امر الضابط المسؤول رجاله « بمصادرة الالة المصورة وكسرها ، وهكذا حصل » ( عل همشمار ٢٩ـ١٢ـ٧٦) ٠

وكان مختار حي المغاربة محمد ابراهيم عبد الحق ، قد توجه في عام ١٩٧٦ بطلب الى محكمة العدل العليا ، لاصدار قرار مع وقف التنفيذ ، ضد وزير الاقتصاد ،لتغيير قراره ، الا ان القضاة ي٠ كوهين وشرشفسكي ومريم فورات ، رفضوا النظر في هذا الطلب قبل اسبوع من عملية التهجير فقط ، بحجة انه كان على المشتكي ان « يبكر في شكواه ولا ينام على حقوقه» ( عل همشمار ٢٩ـ١٢ـ٧٦) ٠

واضافت المحكمة انه « من المعروف ان تدخل المحكمة في القرار الذي اصدره وزير الاقتصاد في ابريل عام ١٩٦٨ ، حسب قانون الاراضي بالمصادرة لصالح الجمهور، هي محدودة جدا » ( المصدر نفسه ) ٠

وقد اثارت عملية التهجير هذه موجة من السخط والمظاهرات في القدس الشرقية والضفة الغربية ، لا سيما وانه في الوقت

نفسه الذي كانت تتم فيه عملية التهجير وهدم البيوت كانت « لجنة شؤون القدس» تواصل البحث في جدول اعمالها في عمان باشتراك ممثلين عن ١٢ دولة اسلامية و م٠ت٠ف ، حيث هاجم المؤتمرون هذا العمل الهمجي ٠

اما على صعيد القوى التقدمية الاسرائيلية في الارض المحتلة ، فقد ابرق عضو الكنيست مئير باعيل ( موكيد ) ، الى وزيري الشرطة والعدل ، والى رئيس بلدية القدس طالبا اليهم ، وقف عملية تهجير العائلات الثلاث ، ذاكرا ان هذا العمل يشكل « وصمة عار في جبين دولة اسرائيل» ٠ (عل همشمار ، ٢٩ـ١٢ـ٧٦)٠

كما واصدرت مجموعة من الشخصيات التقدمية واساتذة الجامعات والكتاب والصحافيين والفنانين التقدميين ، بيانا، يندون فيه بعنف اعمال التهجير ضد العائلات العربية من البلدة القديمة ، وهدم بيوتهم ، مطالبين سلطات الاحتلال بالتخلي عن سياستها العدوانية واللا انسانية هذه٠

وقد خرجت الضجة التي اعقبت هذا التهجير النطاق المحلي ، حيث غطت صحيفة « التايمز » اللندية اخبار عمليات التهجير هذه ، ونشرت رسالة عنيفة جدا موجهة الى رئاسة التحرير ، وبتوقيع عدد من رجال الدين الانجيليين البارزين في القدس ، يصفون فيها عمليات التهجير وهدم البيوت هذه بانها « اعمال لاسامية » ( عل همشمار ١٠ـ١ـ٧٧) ٠

وفي ٩ـ١ـ١٩٧٧ عقدت « لجنة السلام العادل بين اسرائيل والدول العربية » مؤتمرا صحفيا للعائلات الثلاث التي هجرت وغيرها من العائلات المهددة بالتهجير وهدم بيوتها ، حيث تكلم افرادها شارحين للصحافيين ما تعرضت له عائلاتهم من وحشية وظلم في مسلسل التهجير ، وكان من بين الذين تكلموا مختار حي المغاربة محمد ابراهيم عبد الحق ، شارحا كيف انه قد هجر وهدم بيته للمرة الثالثة ، اذ كانت المرة الاولى عام ١٩٤٨ حين احتلت القوات الصهيونية قريته بير ـ معين بالقرب من اللطرون ، والمرة الثانية عام ١٩٦٧ بعد احتلال القدس وتهجير وهدم معظم البيوت في حي المغاربة لاقامة ساحة امام الجدار الغربي ، وها هو يرحل ويهدم بيته للمرة الثالثة ٠

اما الشيخ العجوز عبد الغفور مسواده فقال : « ٠٠٠ ومنذ ان طردت من بيتي في حي الجاعوني في البلدة القديمة ، على ايدي الشرطة الاسرائيلية في شهر اب ١٩٧٣، لا يزال بيتي خاليا ، بينما تسكن عائلتي المؤلفة من ١٣ شخصا في مسجد صغير ٠٠ انني اصر على حقي في بيتي ، وغير مستعد لقبول اية تعويضات» (عل همشمار، ١٠ـ١ـ٧٧) ٠

كما وتكلم محمد سعيد بركان الذي كان من المفروض ان يتم تهجيره وهدم بيته في ٧ـ١ـ٧٧ ، الا انه استطاع بواسطة محاميه د٠ شغر ان يؤجل ذلك لمدة عشرة ايام ، وشرح للصحافيين كيف ان الشرطة استدعته في ٦ـ١ـ٧٧ بعد اصراره على عدم اخلاء بيته وبحضور السكرتير العام للجنة الاديان يوسف عمانوئيل الذي رافقه ، وطلبت اليه مهددة ، ان « يعد بعدم اثارة المشاكل ، وان تتم عملية تهجيره بهدوء وصمت » ( عل همشمار ٩ـ١٠ـ١ـ٧٧ )٠

اما البروفيسور ـ دانيال عميت ، ود٠ يسرائيل لاف ، عضوي اللجنة ، فقد نددا بنوايا التهجير الاضافية والتي خرجت عن اطار الحي اليهودي واعربا عن رايهما في انه بغض النظر عن المسالة الانسانية والاجحاف الاجتماعي فان في ذلك « معنى سياسيا لهذا التهجير ، حيث يزيدون من حالة التوتر في المنطقة ، ويعرقلون فرص السلام التي بدأت تظهر في الافق » (المصدر نفسه ) ٠

كما وتوجهت جماعة اخرى من رجال المجتمع والثقافة البعيدين عن النشاطات السياسية ، برسائل الى رئيس الحكومة،

والى وزير الاسكان بالوكالة ، والى وزيري العدل والاديان ، والى رئيس بلدية القدس، يطالبونهم فيها بوقف عمليات التهجير وهدم البيوت الموجهة ضد العائلات المسلمة المتبقية في اطراف الحي اليهودي في القدس القديمة ، لا سيما وان المنطقة التي تشغلها هذه العائلات « لا تقع في اطار الحي اليهودي اصلا » ( عل همشمار ١٧-١-٧٧) ٠

وقد رد رئيس بلدية القدس تيدي كولاك على هذه الضجة والاحتجاجات بقوله ان « عملية التهجير للعائلات العربية الثلاث من الحي اليهودي في البلدة القديمة ، قد نفذت لان عملية البناء والتطوير كانت مستحيلة من غير تهجيرهم ٠٠٠ ولا ينبغي النظر الى هذه القضية على انها قضية سياسية » ( عل همشمار ٢٩-١٢-٧٦ ، هآرتس ٧-١-٧٧ ) ٠

وبعكس ما قاله رئيس البلدية تيدي كولاك فقد اجاب أحد المسؤولين الكبار في «شركة ترميم وتطوير القدس » على سؤال وجهه اليه مراسل صحيفة هآرتس يهودا ليطاني، بأن « المسألة بسيطة جدا ، فالحي اليهودي مخصص لليهود فقط ، وقد قدمت للمهجرين العرب اقتراحات معقولة ، فاذا كانوا يرفضونها فهذه مشكلتهم » ٠ ( هآرتس ٧-١-٧٧) ٠

واضاف الموظف المسؤول « ٠٠٠ اسأل اي ساكن يهودي في الحي ، وسيرد عليك بان السكن مع هؤلاء العرب ليس متعة كبيرة » ( المصدر نفسه) ٠

اما « الشركة لترميم وتطوير الحي اليهودي » فقد تابعت عمليات التهجير بالقوة مدعومة بقوات الشرطة ، حيث داهمت في ١٩-١-٧٧ بيت محمد سعيد بركان ، الواقع في حوش الشاي ، بعد ان ظل مصرا على عدم اخلاء بيته وقبول اية تعويضات عنه ، وقذفت به وبوالديه العجوزين واخويه المتزوجين واولادهما الاثني عشر الى الشارع ، وقد غطى الصحافي المبامي جبريئيل شترن عملية التهجير هذه ، في ملحق صحيفته عل همشمار ، كشف فيه النقاب عن الاساليب الوحشية والهمجية التي رافقتها ، وعن سياسة التضليل والخداع واشاعة الشائعات حول المهجرين ، بانهم كانوا قد منحوا بيوتا غير بيوتهم او انهم تسلموا من الشركة المذكورة تعويضات عنها ٠ وجاء في تقرير شترن ان عملية التهجير « ٠٠٠ تمت هذه المرة في الظهيرة تماما ، كفعل السارقين في الليل ، ودون شاهد عيان من الخارج تقريبا ، وبنفس الطريقة التي تم فيها سلب وتهجير وتهديم بيوت العائلات الثلاث من قبل ٠٠ وحتى السيدة نويمان الامريكية . احدى رؤساء جماعة الكويكريين فقدابعدت عن البيت بسرعة وبفظاظة همجية ، حين لم تفهم ما معنى الامر الذي وجه اليها: انصرفي من هنا» (عل همشمار ٢١-١-٧٧)٠

واضاف الصحافي جبريئيل شترن ان « عائلة بركان لا تريد تعويضات ولا ترغب في سكن بديل حتى ولو كان هذا السكن ( الفيلا ! ) المقترحة عليها ، او التي ( سلمت ! ) لها وفقا لتلك الاكاذيب التي باعها مدير الشركة الكولونيل شنيؤر بيلغ، للسيدة الامريكية وللصحافة ٠٠ تماما كما اشاعوا حول عبد الحق الشائعات الكاذبة عن النقود التي تسلمها منهم حسب زعمهم. واذا لم يأخذ بعد ، فلا بد وانه سيأخذها قريبا ، واذا لم يحدث هذا ايضا ، اذن ، فانه قومي سيء ، ويعمل بدوافع سياسية» ( المصدر نفسه ) ٠

وهنا يتساءل الصحافي « ٠٠٠ اليس كل موضوع ترميم الحي اليهودي وتطويره نابعا من حسابات قومية وسياسية وحتى دينية أيضا ؟ فلماذا يجوز لنا ذلك ، مع انه يتعدى حدود الاخرين ، ومحرم على غيرنا !؟ » ( المصدر نفسه ) ٠

ويضيف شترن « ٠٠٠ وكان محمد عبد

الحق وجميع افراد عائلته يقفون امام بيتهم في حوش الشاي ، بائسين وخالسي الوفاض ، الا انهم كانوا فخورين وصلبين بروحهم ومعنوياتهم ٠٠ وكان ابنه هانسي البالغ من العمر ١١ سنة ، يتشبث بكرة حمراء ، وهو الشيء الوحيد الذي لم تستولي عليه الشركة ، من بين كل الاشياء ، التي وضعتها في مخازنها ، قصاصا للعائلة على رفضها التوقيع على الاوراق التي قدمت اليها ٠٠٠

وكان هاني ينظر ويصغي للحديث ولا يعقب ٠ ماذا كان يدور في خلد وقلوب هؤلاء الاولاد والفتيات ؟ لا ادري ، ولكنني تذكرت ما قاله المربي اليهودي المعروف البروفيسور ع٠ سيمون عن هذه القضية المخزية في هآرتس ٩-١-٧٧ انه حقيقة لم يكن ثمة ضرب او جراح في الجسم ، الا انها تركت جراحا نفسية ، وخاصة عند هؤلاء الاطفال من المهجرين ، وان ليست هذه هي الطريقة ابدا لتثقيفهم وتثقيفنا على علاقات حسن الجوار في المنطقة ، وتهيئة الاجواء في قلوبنا جميعا للسلام الذي لا بد وان يأتي في المستقبل القريب ، هذا اذا كنا نرغب في الحياة فعلا ؟ » ( المصدر نفسه ) ٠

وقد عقب جبريئيل شترن « لا بد وان نشعر كذلك ، بمدى القذارة والاجحاف في ادعاء الناطقين باسم الشركة ، بأن كل المشاكل جاءت من دعم بعض المؤسسات اليهودية ، ومن بعض الصحف التي تساند المهجرين ٠٠ انها ذهنية استيطانية قديمة ، تخرج من حناجر الجنرالات والكولونيلات الذين يقودون مجتمعنا ٠ فعندما جرني الشرطي بالقوة من بيت عبد الحق قبل هدمه ، كان لدي شعور غريب بانني اسدد دينا ، لاولئك الالمان القلائل جدا ، ممن تجرؤا على تخطي يافطات المقاطعة ، التي علقها النازيون على باب متجر والدي في البلدة الالمانية في ١-٤-١٩٣٣ ٠٠٠ انها مقارنة جارحة ؟ نعم جارحة ، ولكننا اذا لم نثبت الان القليل من الجرأة الادبية المطلوبة في مجتمعنا الديموقراطي في اصله ، فلا بد وان نصل الى ظواهر اكثر تجريحا ، ( المصدر نفسه ) ٠

وقد انهى جبريئيل شترن تقريره الصحفي مدافعا عن ملكية العرب في الحي اليهودي ، ومفندا ادعاءات سلطات الاحتلال ، والشركة لترميم وتطوير الحي اليهودي ، بملكية اليهود فيه تحت عنوان : الحي ـ ليس غيتو قائلا ، « الموضوع يتعلق بممتلكات عربية منذ القدم ، والحقيقة ان قسما كبيرا ، بل الجزء الاكبر من البيوت في الحي اليهودي ، كان ملكا لعائلات اسلامية عريقة ، الا انه كان لبعض اليهود حقا في مساكن داخل هذه البيوت الكبيرة ، علاقات اشبه ما تكون بالعلاقات الاقطاعية ، اذ ان العائلات الاسلامية منحت اولئك اليهود الذين كانوا يعيشون بينهم حمايتها ، ودافعت عنهم لدى السلطات التركية ٠٠٠ ولم يكن الحي اليهودي كما يدعون غيتو مغلقا في حينه ، او كما يبغي له مرمموه الان ان يكون ٠ بل كان العرب واليهود يعيشون في اطار جوار متداخل في الحي ، كما كانوا يعيشون في اماكن متفرقة بين العرب من القدس الشرقية والقدس الغربية على السواء » ٠ ( عل همشمار ـ ملحق ٢١-١-٧٧) ٠

**توفيق فياض**

# جدول بالعمليات العسكرية لقوات

| الرقم | تاريخ العملية اليوم | تاريخ العملية الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ١/١٢ | ١٫٣٠ | قبعات مردخاي ـ القدس | هجوم | سكين | |
| ٢ | ١/١٣ | ١٥٫٠٠ | شارع بن يهودا ـ تل ابيب | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | |
| ٣ | ١/٢٣ | ١٨٫١٥ | رامات جان | تفجير | عبوات ناسفة | |
| ٤ | ١/٣٠ | ٧٫٠٠ | نابلس | اطلاق صاروخ | كاتيوشا | |
| ٥ | ٢/ ٧ | ١٨٫٠٠ | تل ابيب ـ مصنع تجميع اجهزة الاتصالات التابع للجيش | تفجير | عبوات ناسفة مشركة | |
| ٦ | ٢/١١ | ٧٫٤٥ | « مفراتس » شمالي مدينة حيفا | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | |
| ٧ | ٢/١٢ | ١٨٫٤٥ | القدس ـ محطة الباصات المجاورة لمتحف روكفلر | القاء قنبلة على سيارة عسكرية | قنبلة حارقة | |
| ٨ | ٢/١٢ | ٢٠٫٥ | بئر السبع ـ الطابق الاول لمنزل شابط مؤلف من ثلاثة طوابق | تفجير | عبوات ناسفة شديدة الانفجار | |
| ٩ | ٢/١٤ | ١٤٫٤٥ | الخليل ـ محل تجاري صهيوني حول الحرم الابراهيمي الشريف | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | |
| ١٠ | ٢/١٤ | ٩٫١٥ | تل ابيب ـ مصنع « تيسهار » للزيوت | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | |
| ١١ | ٢/٢٢ | ١٥٫٠٠ | كريات برنتساك ـ جنوب حيفا ـ منزل احد ضباط المخابرات لجيش العدو | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | |
| ١٢ | ٢/٢٣ | ١٣٫٠٠ | الطريق بين مستوطنة نوت هكيكار والبحر الميت ٠ | تفجير | الغام مزروعة | |

# الثورة الفلسطينية من ١/١-١٩٧٧/٣/٣١

| خسائر العدو البشرية | | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة | | | المصدر البلاغ العسكري | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| قتيل | جريح | | شهيد | جريح | مفقود | رقم | تاريخ |
| - | ١ | الاستيلاء على سلاح فردي | - | - | - | ٧٧/ ١ | ١/١٤ |
| - | غير محدد | ١ - احراق فندق ديبورا والمكون من ١٣ طابقا . | - | - | - | ٧٧/ ٢ | ١/٢٤ |
| - | ٢ | ١ - تدمير سيارة لضابط صهيوني<br>٢ - اصابة عدد من السيارات<br>٣ - تحطيم معظم زجاج الابنية | - | - | - | ٧٧/ ٣ | ١/٢٤ |
| - | غير محدد | ١ - اصابة دائرة الحاكم العسكري باشرار .<br>٢ - تحطم عدد كبير من السيارات | - | - | - | ٧٧/ ٤ | ١/٣١ |
| - | غير محدد | ١ - تدمير جميع محتويات المستودع .<br>٢ - تصدع احد جدران المستودع<br>٣ - تحطم معظم زجاج المصنع | - | - | - | ٧٧/ ٥ | ٢/ ٩ |
| غير محدد | غير محدد | ١ - تدمير واحراق مصنع التروكيماويات الرئيسي<br>٢ - احراق المواد البتروكيماوية<br>٣ - خسائر بملايين الليرات . | - | - | - | ٧٧/ ٦ | ٢/١٤ |
| - | غير محدد | اندلاع النار داخل السيارة | - | - | - | ٧٧/ ٧ | ٢/١٤ |
| غير محدد | غير محدد | ١ - تدمير معظم محتويات الطابق الاول<br>٢ - اصابة عدد من السيارات المتراجدة داخل المبنى | - | - | - | ٧٧/ ٨ | ٢/١٤ |
| - | غير محدد | ١ - تدمير معظم محتويات المحل واتلافها<br>٢ - تحطيم زجاج وبعض اثاث المحلات المجاورة . | - | - | - | ٧٧/ ٩ | ٢/١٥ |
| - | - | ١ - خسائر اولية بمقدار عشرة ملايين ليرة<br>٢ - اندلاع النيران داخل الاهداف المحددة وامتدادها الى الاقسام الاخرى في المصنع . | - | - | - | ٧٧/١٠ | ٢/١٥ |
| - | - | ١ - اندلاع النار في انحاء المنزل .<br>٢ - تصدع احد الجدران من شدة الانفجار<br>٣ - اصابة سيارة قرب المنزل | - | - | - | ٧٧/١١ | ٢/٢٣ |
| ٣ | غير محدد | انفجار في سيارتين | - | - | - | ٧٧/١٢ | ٢/٢٤ |

| الرقم | تاريخ العملية اليوم | الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٣ | ٢/٢٥ | ٨ر١٥ | نابلس ـ شارع فيصل | هجوم | قنابل يدوية | |
| ١٤ | ٢/٢٥ | ٦ر٤٥ | نابلس ـ مكتب العمل الصهيوني | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | |
| ١٥ | ٢/٢٢ | ٢١ر٠٠ | حيفا ـ احد المحلات التجارية الصهيونية | تفجير | عبوات ناسفة | |
| ١٦ | ٢/٢٣ | ١٩ر١٥ | تل ابيب ـ مبنى البلدية | تفجير | عبوات مشركة | |
| ١٧ | ٣/٢٧ | ١ر١٥ | بتاح تكفا ـ مقهى هيجل ـ شارع المستدروت | تفجير | عبوات ناسفة | |
| ١٨ | ٢/٢٨ | ٧ر١٥ | جنوب النقب ـ الطريق الترابي الواصل بين نيتسانا ورأس الرمان | تفجير | الغام مضادة للاليات | |
| ١٩ | ٣/ ١ | ٨ر١٥ | الطريق من ديمونا الى القدس | تفجير | عبوات ناسفة مشركة | |
| ٢٠ | ٣/ ٢ | ١٨ر٤٥ | القدس ـ تجمع لجنود العدو في محطة باصات « ايجد » | هجوم | قنبلة يدوية | |
| ٢١ | ٣/ ٢ | ١٩ر١٥ | رامات جان ـ محطة الباصات المركزية لشركة دان | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | |
| ٢٢ | ٣/ ٢ | ٢١ر٢٥ | تل ابيب ـ النادي الليلي الصهيوني شارع برتسن | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | |
| ٢٣ | ٣/ ٣ | ١٠ر٢٥ | بتاح تكفا | تفجير | عبوة لاصقة في سيارة جيب | |
| ٢٤ | ٣/ ٦ | ١٧ر٠٠ | معسكر جيش العدو الواقع جنوب مدينة العريش ومحطة الباصات الخاصة بالجنود في المدينة | تفجير | لغم ارضي للاليات | |
| ٢٥ | ٣/ ٧ | ١٣ر٠٠ | نابلس ـ الشارع الرئيسي | هجوم | قنابل يدوية | |
| ٢٦ | ٣/١٠ | ١٩ر٠٠ | القدس ـ تجمع لجنود العدو في محطة باصات « ايجد » | هجوم | قنابل يدوية | |
| ٢٧ | ٣/١٢ | ١ر٣٠ | تل ابيب ـ مصنع صناعة الذخيرة التابعة لجيش العدو | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | |
| ٢٨ | ٣/١٣ | ١٩ر٣٠ | نابلس ـ شارع فيصل | هجوم | قنابل يدوية | |
| ٢٩ | ٣/١٨ | ١٧ر٠٠ | القدس ـ متحف روكفلر | هجوم | قنابل يدوية | |
| ٣٠ | ٣/٢٥ | ٢٠ر١٥ | تل ابيب ـ مركز الشرطة الصهيوني | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | |
| ٣١ | ٣/٢٥ | ١٧ر٣٠ | تل ابيب ـ شارع هيلل | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | |
| ٣٢ | ٣/٢٦ | ١٤ر١٥ | نابلس ـ الساحة الرئيسية | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | |
| ٣٣ | ٣/٣١ | ٢ر٠٠ | تل ابيب ـ منزل احد ضباط جيش العدو | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | |

| خسائر العدو البشرية | | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة | | | المصدر البلاغ العسكري | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| قتيل | جريح | | شهيد | جريح | مفقود | رقم | تاريخ |
| غير محدد | غير محدد | ـ تدمير سيارة وقتل وجرح | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٣ | ٢/٢٧ |
| ـ | ١ | جميع من فيها من جنود العدو ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٤ | ٢/٢٧ |
| ـ | ـ | ـ تدمير مكتب العمل السهيوني واتلاف محتوياته ٠<br>١ ـ اصابة المحل باضرار بالغة<br>٢ ـ اتلاف معظم محتوياته<br>٣ ـ تحطم واجهات بعض المحلات | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٥ | ٢/٢٨ |
| ـ | ـ | ـ ـ ـ ـ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٦ | ٢/٢٨ |
| غير محدد | غير محدد | اصابة المقهى باضرار | | | | ٧٧/١٧ | ٢/٢٨ |
| ٢ | ١ | انفجار سيارة عسكرية تحمل العقيد يرسي يافي وسائقه وقد قتل يافي وسائقه كما جرح معاونه ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٨ | ٣/ ١ |
| ـ | ـ | انفجار باص وتدمير جزء كبير منه | ـ | ـ | ـ | ٧٧/١٩ | ٣/١ |
| غير محدد | غير محدد | ـ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٠ | ٢/ ٤ |
| ـ | ـ | ١ ـ انفجار باص واشتعال النار داخله وتدميره كاملا ٠<br>٢ ـ تضررت عدة باصات مجاورة ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢١ | ٣/ ٤ |
| غير محدد | غير محدد | ١ ـ اندلاع النار داخل المبنى في النادي ٠<br>٢ ـ تقدر خسائر العدو بانها كبيرة جدا ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٢ | ٢/ ٤ |
| ٢ | ـ | تفجير السيارة وتدمير جزء كبير منها | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٣ | ٣/ ٥ |
| غير محدد | غير محدد | تدمير السيارة تدميرا كاملا | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٤ | ٣/ ٨ |
| غير محدد | غير محدد | اصابة سيارة باضرار بالغة | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٥ | ٣/ ٨ |
| غير محدد | غير محدد | ـ ـ ـ ـ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٦ | ٣/١١ |
| غير محدد | غير محدد | تدمير جزء كبير من المصنع واتلاف عدد من الالات لصنع الذخائر ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٧ | ٣/١٣ |
| غير محدد | غير محدد | اصابة سيارة وتدميرها وقتل وجرح جميع من فيها من افراد العدو ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٨ | ٣/١٤ |
| غير محدد | ٤ | اصابة سيارة عسكرية ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٢٩ | ٣/١٩ |
| غير محدد | غير محدد | اندلاع الغيران داخل المركز ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٣٠ | ٣/٢٦ |
| ١ | ـ | ١ ـ تدمير السيارة واحراقها ٠<br>٢ ـ اصابة السيارات المجاورة باضرار ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٣١ | ٣/٢٦ |
| ـ | ـ | تدمير السيارة تدميرا تاما واحراقها | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٣٢ | ٣/٢٧ |
| ـ | ـ | ١ ـ اصابة المبنى باضرار بالغة<br>٢ ـ تحطيم محتويات الدور الاول ٠<br>٣ ـ تحطم زجاج الابنية المجاورة لمكان الانفجار ٠ | ـ | ـ | ـ | ٧٧/٣٣ | ٣/٣١ |

## جدول بالتوزيع الجغرافي للعمليات (من ١-١ - ٣١-٣-١٩٧٧)

| المواقع | عدد العمليات | المواقع | عدد العمليات |
|---|---|---|---|
| تل ابيب | ٩ | القدس | ٦ |
| رامات جان | ٢ | الخليل | ١ |
| بتاح تكفا | ٢ | نابلس | ٦ |
| مفراتس - شمالي حيفا | ١ | البحر الميت | ١ |
| كريات برتساك - جنوبي | ١ | بئر السبع | ١ |
| حيفا | | العريش | ١ |
| حيفا | ١ | جنوب النقب | ١ |

## جدول بعدد العمليات والسلاح المستخدم ( من ١/١ - ١٩٧٧/٣/٣١ )

| الشهر | عدد العمليات | عبوات حارقة | عبوات ناسفة | عبوات مشركة | صواريخ | الغام | قنابل | اسلحة فردية | عبوة لاصقة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| كانون ثاني | ٤ | ١ | ١ | | ١ | | | ١ | |
| شباط | ١٤ | ٣ | ٥ | ٣ | | ٢ | ٢ | | |
| اذار | ١٥ | ٤ | ٣ | ١ | | ١ | ٥ | | ١ |

مروان حميد